المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم التاريخ



الأسر والأسرى في عصر النبوة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب:

أحمد يوسف آدم آدم

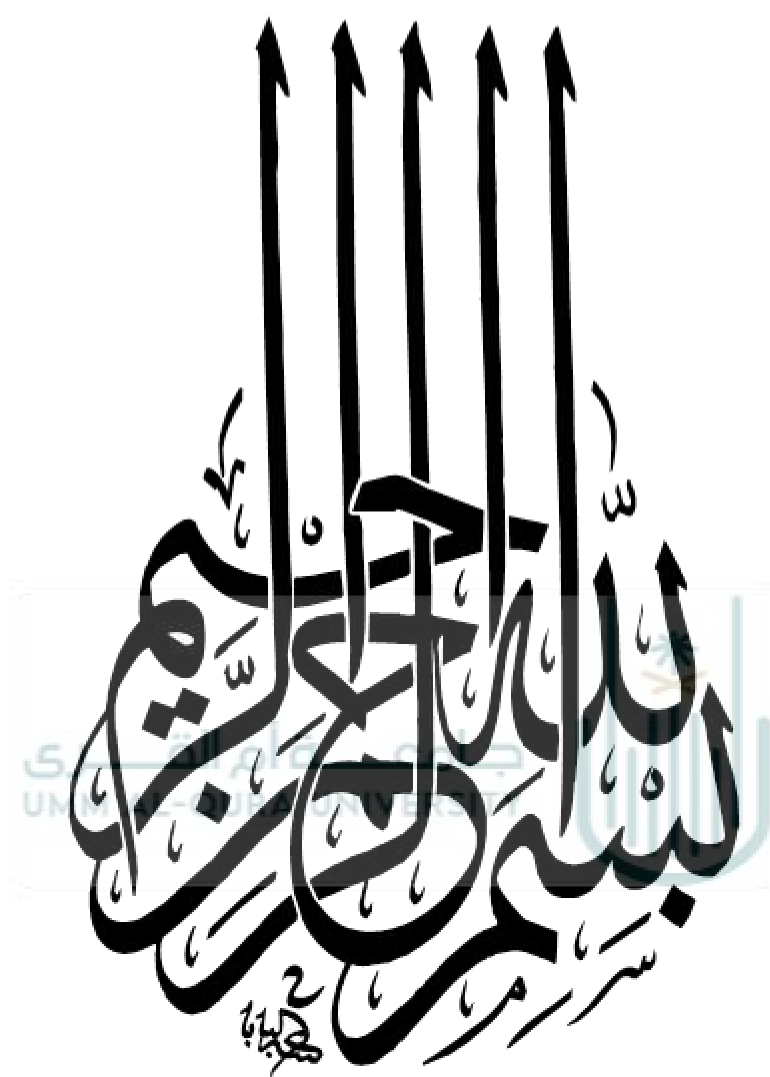
الرقم الجامعي: ٤٩٢٨٠٥٢٦

إشراف:

الاستاذ الدكتور/ سعد عبد الله البشري

الفصل الدراسي الأول: ١٤٣٣-١٤٣٤هـ


جامعة أم القرى
UMM AL-QURA UNIVERSITY


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والآه واهتدى بهداه، اللهم اجعل عملنا كُلَّه صالحًا خالصًا متقبلاً، ولا تجعل للشيطان فيه حظًا ولا نصيبًا، ووفقنا اللهم لما تحب وترضى، وارزقنا خير الآخرة والأولى.

أما بعد: فإنَّ من أكبر الأعمال شأنًا وأكثرها فضلاً وأعظمها نفعًا وأجراً، خدمة السيرة النبوية الشريفة - والتي هي سنة رسول الله ﷺ الفعلية- دراسةً وتحليلاً واستنباطاً إذ هو القدوة المثلى لكل مسلم، كما جاء في كتاب الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب: ٢١.

وهي المعين السلسال، والأنموذج المشرق الكمال، الهادي دون مَباءة الضلال، والنّور الوضّاء لكل المجتمعات والأجيال، وإن التَّوارد على حكمها وآدابها، وفقهها ولبابها، والذبّ عن مقاصدها وآرابها (١) لمن دلائل النصح والتوفيق، والاهتداء إلى أقوم طريق، ومن أعظم الجوانب المهمة من السيرة النبوية المباركة، والتي تحتاج إلى مزيد من التأمل والتحقيق والتحليل، هو علم المغازي، الذي اعتنى السلف بجمعها ودراستها.

وقد بلغ من حرص سلفنا الصالح على تعليم مغازي رسول الله ﷺ وسراياه، أنهم كانوا يعلمونها صبيانهم كما كانوا يعلمونهم سور القرآن، وكأنهم جعلوها قرينة القرآن.

قال الإمام زين العابدين علي بن الحسين – رحمه الله –" كنا نُعَلَّمُ المغازي كما نُعَلَّمُ السورة من القرآن (٢)".

---

١) آراب: اسم جمع مآرب، مرامٍ، أغراض، مقاصد، ورأب بين القوم يرأب رأبا: أصلح ما بينهم. وكل ما أصلحته، فقد رأبته؛ ومنه قولهم: اللهم ارأب بينهم أي أصلح. ابن منظور، محمد بن مكرم، ت ٧١١هـ، لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ، جـ١ص٣٩٨.

٢) الطبراني، سليمان بن أحمد، ت،٣٦٠هـ،المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض بن محمد، و، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة، دار الحرمين، الطبعة ١٤١٥هـ،جـ ٧ ص ٢٢٢. وانظر أيضا: البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، ت ٤٦٣هـ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان الرياض، مكتبة المعارف،١٤٠٣هـ، جـ ٢ ص ١٩٥.

وعن إسماعيل بن سعد بن أبي وقاص-رحمه الله ورضي عن أبيه وجده-أنه قال: "كان أبي يُعَلِّمُنَا المغازي وَيُعِدُّهَا علينا ويقول: يَا بَنِيَّ هذه مآثر آبائكم فلا تضيِّعوا ذكرها(١)".
وقال الإمام الزهري- رحمه الله -في علم المغازي" علم الآخرة والأولى(٢) ".

وقد كان للأستاذ المشرف- حفظه الله- دور في إرشادي إلى دراسة موضوع " الأسر والأسرى في عصر النبوة " وأهمية هذا الموضوع الذي يُجَلِّي دور الإسلام في معالجة هذه القضية الإنسانية بطريقة حكيمة تتسم بالعفو والعطف والتي تفتقر إليها البشرية، وخاصة في عصرنا هذا الذي يموج بالكثير من ألوان البطش والقهر للإنسانية، وفيه تَبَيُّنٌ لعظمة الإسلام وتسامحه مع الأسرى من الأعداء، وكيف أن العداء لم يحل دون أن يمنحهم المسلمون حقهم من الإنصاف والإنسانية الرحيمة.

ومما عزز هذا البحث وقوى ميولي نحوه ما يلي:
١ – حبي لله تعالى ولرسولهﷺوصحابته الكرام الذين جاهدوا معه في سبيل نشر هذا الدين وبذلوا مُهَجَهُمْ وأرواحهم وباعوا نفوسهم لله طلبا لرضاه والجنة، مما دفعني للبحث والكتابة في سيرة رسول اللهﷺوصحابته، والوقوف على غزواته وسراياه رجاء النفع بهم، وأن يحشرني الله معهم ويجمعني مع رسوله في مستقر رحمته في الفردوس الأعلى.
٢-إن دراسة المرحلة الجهادية في السيرة النبوية، زاد نافع للدعاة والمجاهدين والمصلحين، يُشْحذ الهمم ويقوي العزائم لإعزاز هذا الدين.

---

١) البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، جـ ٢ ص ١٩٥. ابن منظور، محمد بن مكرم، ت ٧١١هـ مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا الطبعة الأولى،١٤٠٢هـ/١٩٨٤م، جـ٢ص١٨٦
٢) البغدادي، أحمد بن ثابت، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، جـ ٢ص١٩٥.

٣ – المعاملة المثلى الَّتي عُومِلَ بها الأسرى وحفظتها كتب التاريخ بمواقفَ وحوادثَ جَليَّة رغم محاولات المعاندين على طمسها، مع توضيح حال الأسرى قبل الإسلام، وكيف كانت تتم معاملتهم بأسواء أساليب التعذيب، والإساءات المهدرة لكرامة الإنسانية.

٤ – رغبتي في المشاركة في نشر التراث الإسلامي بدراسة سيرة المصطفىﷺ لكونه القدوة والأسوة لكل مسلم.

٥ – محاولة جمع شتات مواقفه وتعامله ﷺمع الأسرى، وتنظيمه ليسهل الوصول إليه في سفر واحد.

٦ – أنه بالرغم من ظهور رسائل علمية كثيرة في دراسة سيرة رسولﷺ ومغازيه، إلا أنه لم يتصد لأحد- في حد علمي- لجمع بحث حول معاملة الأسرى في عصر النبوة بصفة خاصة، وإن كل ما لدينا حولها كانت من منطلق شرعي" و" قانوني ك –

أحكام الأسرى والسبايا " لـ" عبد اللطيف عامر " دار الكتاب المصري.

– معاملة الأسير في ضوء الكتاب والسنة " لـ " عبد الله الأزدي. رسالة ماجستير بجامعة أم القرى.

– قانون الحرب الدولي وتطبيقاته في الحرب العراقية الإيرانية " لـ" سهيل الفتلاوي، دار القادسية للطباعة

– الأسر والسجن في الشعر العربي " لـ" أحمد مختار البرزة " دمشق، مؤسسة علوم القرآن وغيرها.

ويتناول هذا البحثُ دراسةُ أحوالِ الأسرى من المسلمين ومن غيرهم في عهد النبوة، ويوضح موقف الإسلام من الأسرى، وكيف عامل الرسولﷺوأصحابه الأسرى من الأعداء بالحسنى، والتي هي من أكبر مظاهر عظمة الدين، وقد قسمت هذا البحث كما يلي:

التمهيد.

وفيه التعريف بمفهوم الأسر لغة واصطلاحا، وما يتصل بذلك من توضيحات، ويلي ذلك توضيح حال الأسرى قبل الإسلام، وكيف كانت تتم معاملتهم بصورة وحشية تتنافى مع قيم العدل والإنسانية.

الفصل الأول.

وفيه الحديث عن الأسرى المسلمين وأحوالهم، ويتناول بالدراسة أحوال المسلمين الذين وقعوا في أيدي المشركين وكيف آلت إليه أحوالهم، وتبتدئ الدراسةُ بالتطرق إلى حال الأسرى المسلمين عند قريش ومَنْ مُنِعَ مِنَ الهجرة من المسلمين، ويشير الباحث إلى مساعي قريش للقبض على النبيﷺ وصاحِبه أبي بكرؓ،للحيلولة دون هجرته.

ثم ينتقل الباحث إلى دراسة أحوال الأسرى المسلمين في مواقع مختلفة، فيتعرض لذكر المحاولة الآثمة، التي دبرها كسرى للقبض على الرسولﷺعن طريق عامله في اليمن باذان، وكيف قصم الله كسرى فقتله ابنه شيرويه، والذي أمر باذان ألا يعرض للنبيﷺبشيء، ويشير الباحث إلى أسرى المسلمين في الرجيع وبئر معونة، والبعض الآخر عند ثقيف.

كما يشير إلى أسرى المسلمين في بعض الزعامات، مثل سفير النبيﷺ إلى شرحبيل بن عمرو الغساني- حاكم بصرى- الحارث بن عمير الأزديؓ.

ومثل ما وقع لفروة بن عمرو الجذاميؓالذي كان قائدا لإحدى الفرق الرومانية، ولما أسلم قبض عليه هرقل، وطلب منه العودة عن الإسلام فرفض فقتله".

الفصل الثاني.

كان الحديث عن الأسرى المشركين، مثل أسرى المشركين من قريش في موقعة بدر والأسرى المشركين في عدد من السرايا، كسرية عبد الله بن جحش إلى نخلة، وأسرى دومة الجندل، ثم أسرى بني المصطلق، ثم أسرى هوازن وغيرهم من الأسرى الذين سوف نتعرض لذكرهم لا حقا بالتفصيل.

الفصل الثالث.

تناول الباحث أسرى أهل الكتاب، مثل ما وقع لأسرى بني قينقاع، الذين أجلاهم الرسولﷺ عن المدينة، ثم الحديث عن أسرى وسبي بني قريظة، الذين نكثوا العهود ونقضوا المواثيق، ثم الإشارة إلى بعض أسرى خيبر من اليهود الذين قتلهم الرسول ﷺلنكثهم العهد الذي أبرموه مع الرسول بألا يخفوا من أموالهم، وغير ذلك من الوقائع.

الفصل الرابع.

يتناول الباحث معاملة الأسرى وحقوقهم،وفيه يُبَيِّنُ كيف عامل النبيﷺوأصحابه أسراهم بصورة تنم عن الرحمة والرفق والإنسانية، وكانوا يوصون بهم خيرا.
وفي هذا الفصل أيضا يشرح الباحث تقرير مصير الأسرى في الخيارات الأربعة حسب ما تقتضيه المصلحة العليا، فقد يرى الإمام أن يمن على الأسرى بإطلاق سراحهم، أو افتدائهم بالمال، أو قتلهم أو استرقاقهم.

وقد سرت في إعداد هذا البحث وفق المنهج التالي:

١- قصدت بـ "الأسرى" المسلمون الذين حبسوا أو أُسروا من قبل المشركين، والمشركون الذين أسرهم المسلمون، وصح عن النبيﷺ أنه أعطي امرأة من سبي فزارة ففدى بها ناسًا من المسلمين كانوا أسرى بمكة ([1]) وسوف أُدخل في الأسر كل من كان محبوسا.

٢- اعتمدت على القرآن وتتبعت الآيات القرآنية في الموضوع، ونظرت إلى كلام المفسرين حولها وأخذت منها ما يختص بالموضوع وركزت غالبا على كتب التفسير المعتمدة كالطبري والقرطبي وابن كثير وغيرهم.

[1]) ينظر في هذا البحث ص ١٩٢.

٣- اجتهدت في تخريج بعض الأحاديث من مصادرها الأصلية، وتركت بعضها لورود معناها في السيرة، واعتمدت على الصحيحين والسنن الأربعة والمسانيد وغيرها.

٤- ركزت الحديث عن الأسرى في عصر النبوة قبل الهجرة وبعدها.

٥ - جعلت لكل فصل مباحث، ولكل مبحث مطالب.

٦ - كتبت الآيات القرآنية بالرسم العثماني وبين قوسين مزهريين ﴿.......﴾ وأشرت بعدها إلى اسم السورة ورقم الآية.

٧- شرحت الكلمات الغريبة، وأسماء الأماكن والبلدان معتمدًا على المعاجم اللغوية والجغرافية.

٨- أضفت بعض الخرائط في آخر البحث لخدمة البحث وتوضيح أماكن الغزوات.

٩- ترجمت للأعلام الواردة في البحث الذين لهم صلة مباشرة في الموضوع ترجمة موجزة أول ورودها، عدا أسماء الأنبياء وأبنائهم والخلفاء، والأئمة الأربعة.

١٠- وضعت فهارس علمية تخدم البحث وتسهل الاستفادة منه، ورتبتها على الطريقة الأبجدية.

ثم إني أشكر - بعد شكر الله - من وصى الله بهما، وقرن الأمر بشكرهما- والدي الكريمين اللَّذين كان لهما الفضل- بعد الله تعالى-في الأخذ بيدي وشحذ همتي لمواصلة التعليم منذ خطواتي الأولى في سبيل العلم والمعرفة. فجزاهما الله عني خير الجزاء وأجزل لهما الأجر والمثوبة، وبارك في عمرهما وعملهما، وغفر لي ولهما وللمؤمنين والمؤمنات يوم يقوم الحساب.

وأتقدم بجزيل شكري وامتناني إلى سعادة الأستاذ الدكتور/ سعد بن عبد الله البشري لتفضله بقبول الإشراف على هذه الرسالة، ومنحه لي الكثير من وقته وتوجيهاته وعلمه، فقد استفدت من أرائه النَّيرة وتوجيهاته السَّديدة، وخلقه الرفيع، فله مني جزيل الشكر والعرفان، وأسأل الله أن يمنحه العفو والعافية في الدنيا والآخرة، وأن يبارك في عمره وفي علمه وعمله وذويه، إنه سميع مجيب.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى سعادة الأستاذ الدكتور/ محمد بن صامل السلمي. والأستاذ الدكتور/ سليمان صالح كمال، على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وتصويب خطئها وتقويم مُعْوَجِّهَا، فلهما مني جزيل الشكر وخالص الدعاء، وجزاهما الله خير الجزاء.

وأوجه شكري إلى المملكة العربية السعودية ممثلة في حكومتها الرشيدة، حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود – حفظه الله لجهودها المتواصلة، في خدمة العلم والإسلام والمسلمين في مختلف أنحاء العالم، فلهم مني جزيل الشكر وحسن الثناء وخالص الدعاء.

وأشكر جامعة أم القرى ممثلة في مديرها، معالي الأستاذ الدكتور/ بكري بن معتوق عساس، لما تقدمه لأبناء الأمة الإسلامية من تعليم وتوجيه، وأسأل الله أن يبقيها صرحا من صروح العلم والإيمان، وأن يجزي القائمين عليها أفضل الجزاء وأكمله.

وأشكر فضيلة الأستاذ الدكتور/ غازي بن مرشد العتيبي، عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، على جهوده المتواصل في توفير المناخ العلمي لطلاب وطالبات الدراسات العليا، كما أوجه شكري إلى سعادة الأستاذ الدكتور/ طلال بن شرف البركاتي، رئيس قسم التاريخ وإلى جميع أعضاء هيئة التدريس بالقسم لما لمسته منهم من تشجيع ونصح وتوجيه كان له الأثر الأكبر في نفسي في التغلب على بعض المصاعب.

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى كلٍّ من الأستاذ/ مسعود سلاح ممثل سفارة جرز القمر، والأستاذ/ مصطفى بوجانج، القنصل العام لجمهورية دولة جامبيا الشقيقة، على تفضلهما للمشاركة في المناسبة، رغم أشغالهما، فلهما مني خالص الشكر ووافر الامتنان.

وأشكر جميع مشايخي ومُعَلِّميَّ وكلّ من تَتَلْمَذْتُ على يديه، رحم الله أمواتهم ووفق أحياءهم، وأشكر كل من ساهم في إنجاز هذا العمل الجليل، وجزى الله الجميع عني خير الجزاء، هذا وما كان من صواب فمن الله، وما كان من خطإ فهو من لوازم البشر، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



أحمد يوسف آدم
جامعة أم القرى مكة المكرمة

تاريخ المناقشة ٨/ ٥/ ١٤٣٤هـ.

التمهيد

ويشتمل على مبحثين

المبحث الأول : مفهوم الأسر.



المبحث الثاني : أحوال الأسرى قبل الإسلام.

المبحث الأول: مـفهـوم الأســــر

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: تعريف الأسر في اللغة.

المطلب الثاني: تعريف الأسر في الاصطلاح.

المطلب الثالث: مشروعية الأسر والحكمة منه.

المطلب الأول: تعريف الأسر في اللغة.

الأسر في اللغة: مصدرٌ فِعلُه مِن أَسَرَ، يَأْسِرُ، أَسْرًا، أي: شَدَّه بالإِسار وهو القِدُّ. ومنه سمِّي الأَسِيرُ، وكانوا يشدّونه بالقِدِّ، فسُمِّيَ كلُّ أَخِيذٍ أَسيراً وإنْ لم يُشَدَّ به. وفعل " أسر" الهمزة والسين والراء أصل واحد، وقياسه مطرد، وهو الحبس والإمساك من ذلك الأسير، وكانوا يشدونه بالقد وهو الإسار، فسمي كل أخيذ وإن لم يؤسر أسيرًا.

قال الأعشى (١).

وقيَّدني الشعر في بيته كما قيَّد الآسرات الحمارَا (٢).

أي أنا في بيته يريد بذلك بلوغ النهاية فيه (٣).

والحمار ثلاث خشبات أو أربع تعترض عليها خشبة وتؤسر بها، والآسرات: النساء اللواتي يؤكدن الرحال بالقد ويوثقنها (٤).

ويستوي فيه المذكر والمؤنث، فيقال رجل " أسِير" وامرأة " أسِير" أيضا لأن فعيلا بمعنى مفعول ما دام جاريا على الاسم يستوي فيه المذكر والمؤنث.

---

[١]) هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف، ويكنى أبا بصير، وكان يقال قتيل الجوع، سمي بذلك لأنه دخل غارا يستظل فيه فوقعت صخرة عظيمة من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعا، كان أحد أعلام شعراء الجاهلية وفحولهم. أنظر الأصبهاني، أبو الفرج، ت ، ٣٥٦هـ، كتاب الأغاني، تحقيق: علي مهنا، لبنان دار الفكر، الطبعة ١٩٩٤م، جـ ٩ ص١٢٧.

[٢]) ابن قتيبة،عبد الله بن مسلم الدينوري، ت٢٧٦هـ، الشعر والشعراء، القاهرة، دار الحديث، الطبعة ١٤٢٣هـ جـ ١ص ٢٥٢.

[٣]) ابن فارس، أبو الحسين أحمد، ت، ٣٩٥هـ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق دار الفكر، الطبعة ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م، جـ ١ص ١٠٧.

[٤]) ابن منظور، محمد بن مكرم، ت ٧١١هـ ، لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ، جـ ٤ ص٢١٤. وانظر أيضا: الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيرت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى٢٠٠١م جـ ٥ ص٣٦.

فإن لم يذكر الموصوف ألحقت العلامة وقيل قتلت " الأَسيرة "كما يقال رأيت القتيلة وهو خلاف القياس (١).

وجمع " الأسير " أسرى " و " أُسَارى " بالضم مثل: سَكرَى وسُكارى و" أَسَرَهُ الله " أَسْرًا " خلقه خلقا حسنا. ومنه التقوية: يقال شد الله أسر فلان، أي: قوة خلقه. قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ الإنسان ٢٨. أي قوينا خلقهم (٢).
والمشهور أنه من باب " ضرب " وهو الذي نزل به القرآن. قال تعالى : ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ الأحزاب : ٢٦.

يقال: أَسَرْتُ الرجلَ أَسْراً وإساراً، فهو أَسيرٌ ومَأْسورُ، والجمع أَسْرى وأُسارى. وتقول: اسْتَأْسِرْ، أي كنْ أَسيراً لي.
والاستئسار هو: تسليم النفس للأسر. وهذا الشيءُ لكِ بأَسْرِهِ، أي بِقدِّهِ، تعني بجميعه، كما يقال : برُمَّتِهِ (٣).
فهو متعد يقال: " أَسَرَ زَيْدٌ سَعْدًا " فهو " مأْسُوْر".
والأَسْرُ: الشَّدُّ والعَصْبُ وشِدَّةُ الخَلْقِ والخُلُقِ، والأُسْرُ بالضم: احْتِباسُ البَوْلِ.

[1]) المطرزي، ناصرالدين بن عبد السيد بن علي، المغرب في ترتيب المعرب، تحقيق: محمود فاخوري، وعبد الحميد مختار، حلب، مكتبة أسامة بن زيد، الطبعة الأولى ١٩٧٩م، جـ ١ص٣٨.
[2]) الفيومي، أحمد بن محمد علي المقري،ت،٧٧٠هـ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، بيروت، المكتبة العلمية، جـ ١ص١٤
[3]) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ٦٦٦هـ، مختار الصحاح، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، جـ ١ص ٢٦

ولهذا الأصل عدة معان في الاستعمال منها ما يلي.

١ - الشد وثاقا: ومنه الشد بالإسار، والقد، وشدة الخَلْق والخُلُق.

٢ – الحبس: وهو ضد التخلية، والمحبوس: الممسك عن التوجه حيث يشاء والحبس أعم من الأسر. وكلاهما متعد.

٣ - التقوية: ومنه قوله تعالى : ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ الإنسان : ٢٨.

٤ – السبي: وهو أخذ الناس عبيدا وإماء.

والفقهاء يطلقون لفظ السبي على من يظفر به المسلمون حيا من نساء أهل الحرب وأطفالهم ويخصصون لفظ الأسير بالرجال المقاتلين إذا ظفر بهم المسلمون أحياء.

٥ - والأُسرَةُ - بالضم –الدرع الحصين، ورهط الرجل، ومنه سمي الأقارب.

العلاقة بين الأسر والسبي.

الأسر هو الشد بالإسار: هو ما يشد به، وقد يطلق الأسر على الأخذ ذاته.

والسبي هو الأسر أيضا، ولكن يغلب إطلاق السبي على أخذ النساء والذراري.

والأسر مرحلة متقدمة على الاسترقاق في الجملة، وقد يتبعها استرقاق أولا يتبعها إذ قد يؤخذ المحارب، ثم يمن عليه، أو يفدى، أو يقتل ولا يسترق.

ويختلف حكم الاسترقاق باختلاف المسْترَقّ - بفتح الراء–فإن كان الأسير ممن يجوز قتله في الحرب فلا يجب استرقاقه بل يجوز، ويكون النظر فيه إلى الإمام حسب المصلحة العامة إن رأى في قتله مصلحة للمسلمين قتله، وإن رأى في استرقاقه مصلحة للمسلمين استرقه، كما يجوز المن عليه والفداء أيضا أما إن كان ممن لا يجوز قتله في الحرب فقد اختلف الفقهاء فيه على اتجاهين.

الوجه الأول: ذهب الشافعية والحنابلة إلى وجوب استرقاقه، بل إنهم قالوا إنه يسترق بنفس الأسر.

الوجه الثاني: ذهب الحنفية والمالكية إلى جواز استرقاقه، حيث يخير الإمام بين الاسترقاق وغيره، كجعلهم ذمة للمسلمين، أو المفاداة بهم، أو المن عليهم – كما فعل الرسولﷺفي فتح مكة – على ما يرى من المصلحة في ذلك (١).



[1]) الموسوعة الفقهية الكويتية،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،الكويت،دار السلاسل،الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ١٤٢٧هـ، جـ ٣ص ٢٩٧

المطلب الثاني: تعريف الأسر في الاصطلاح.

وفيه مايلي.

أولا: تعريف الأسر في الاصطلاح الفقهي.

عرّف علماء الإسلام الأسر بتعريفات عديدة، مختلفة في اللفظ متّحدة في المعنى منها ما يلي:

تعريف الماوردي: فقد عرف الماوردي الأسرى بقوله" هم الرجال المقاتِلُون من الكفار إذا ظفر المسلمون بأسرهم أحياء (١).

وهذا التعريف قاصر لأن الأسر قد يكون في الحرب وبأسباب أخرى كما يأتي.

وأضاف شيخ الإسلام ابن تيمية على تعريف ‌الماردي قائلا: والأسر قد يكون بغير قتال، مثل أن تلقي السفينةُ شخصًا من الكفار إلى ساحل بلاد المسلمين أو يضل أحدهم الطريق أو يؤخذ بحيلة (٢).

---

(١) الماوردي، علي بن محمد حبيب البصري البغدادي، ت سنة ٤٥٠هـ، الأحكام السلطانية، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص١٤٨. وانظر أيضا: الفراء، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف، ت، ٤٥٨هـ الأحكام السلطانية،تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ص ١٤١.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، ت ٧٢٨هـ، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، المملكة العربية السعودية، وزارة الشئون الإسلامية والدعوة والأوقاف، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ص ١٠٠.وانظر أيضا : مجموع الفتاوى لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، جـ ٢٨ص٣٥٥.

المطلب الثالث: مشروعية الأسر والحكمة منه.

الأسر مشروع في الإسلام، بدليل من الكتاب والسنة وبعمل الصحابة

أما في الكتاب فقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة : ٥.

فبعد الاقتتال يقع " الأخذ والحصر " وهو الأسر كما جاء في القرآن الكريم أيضا.

قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ محمد : ٤

يقول القرطبي: "فشدوا الوثاق " أي إذا أسرتموهم والوثاق اسم من الإيثاق وقد يكون مصدرا، يقال: أوثقته إيثاقا ووثاقا (١).

ومن الآيات التي تؤكد على مشروعية الأسر قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ الأحزاب : ٢٦.

---

١) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، ت ٦٧١هـ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، الطبعة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، جـ ١٦ص٢٢٦

أما الأدلة على مشروعية الأسر في السنة وعمل الصحابة.فمنها ما يلي:

١ - روى مسلم عن أنس بن مالكﷺ: أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول اللهﷺمن جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبيﷺ فأخذهم سلماً فاستحياهم، فأنزل ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾ الفتح : ٢٤ (١).

٢- وروى أبو هريرةﷺ أن رسول اللهﷺ بعث خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال (٢) - سيد أهل اليمامة - فربطوه بسارية من سواري المسجد (٣).

ونستفيد من هذه القصة على جواز دخول الكافر المسجد للحاجة، وفي ربط ثمامة في المسجد حكم عديدة: ليرى ثمامة بعينيه وليسمع بأذنيه عظمة هذا الدين، وكلام رب العالمين، ويرى النبيﷺ ويسمع كلامه، ويلمس أخلاقه مع أصحابهﷺ

وهناك العديد من الآيات والأحاديث الدالة على مشروعية الأسر كما ثبت أيضا بفعل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

---

١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، ت، ٢٦١هـ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل، كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى "وهو الذي كف أيديهم عنكم " ح ١٨٠٨، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، جـ ٣ص١٤٤٢.

٢) هو ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة بن عتبة بن ثعلبة الدؤلي الحنفي، أبوأمامة اليمامي، كان قد خرج يريد العمرة فأسرته خيل المسلمين وجيء به فربط بسارية المسجد أسلم ثم رجع اليمامة فمنع الميرة عن قريش. أنظر ابن حجر، أحمد بن علي،ت،٨٥٢هـ، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد عوض، بيروت ، دار الكتب العلمية ،الطبعة الأولى١٤١٥هـ جـ ١ص٥٢٥.

٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، ٢٥٦هـ، الجامع المسند الصحيح ، كتاب الغسل، باب الاغتسال إذا أسلم، وربط الأسير أيضا في المسجد، ح ٤٦٢، تحقيق: محمد زهير ناصر، دار طوق النجا، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ، جـ ٣ ص١٢٣.وانظر أيضا: ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي، فتح الباري، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الطبعة: الثانية، السعودية / الدمام، دار ابن الجوزي ١٤٢٢هـ جـ ٢ص ٥٣٧

وبناء على ما سبق فإن الأسر مشروع في الإسلام بحكمة إلهية، والتصرف في الأسرى هو حسب المصلحة الشرعية، وما يراه الحاكم المسلم أو من ينوب عنه.

ويجوز أسر كل من وقع في يد المسلمين من الحربيين، صبيا كان أو شابا أو شيخا أو امرأة، الأصحاء منهم والمرضى، إلا من لا يخشى من أسره ضرر وتعذر نقله، فإنه لا يجوز أسره كالشيخ الفاني والزمن والأعمى والراهب إذا كانوا ممن لا رأي لهم على تفصيل بين المذاهب في ذلك (١).

الحكمة من مشروعية الأسر.

إن الحكمة من مشروعية الأسر: هي كسر شوكة العدو ودفع شره، وإبعاده عن ساحة القتال، لمنع فعاليته وأذاه، وليمكن افتكاك أسرى المسلمين به (٢).

ويقول الشيخ الشعراوي: " أن كلمة "الأسر" أخذت من أجل تهدئة سعار اللقاء فكأن الله أراد أن يحمي القوم من شراسة نفوسهم وقت الحرب فقال لهم:

استأسروهم لا تقتلوهم إلا إذا كنتم مضطرين للقتل، ولكن خذوهم أسرى، وفي ذلك مصلحة لكم ولهم لأنكم ستأخذون منهم الفدية.

وهذا تشريع من ضمن تشريعات الرحمة؛ لأنه لو لم يكن الأسر مباحا لكان لابد إذا التقى مقاتلان أن يقتل أحدهما الآخر، لذلك يقال خذه أسيراً إلا إذا كان وجوده خطرا على حياتك (٣)".

---

[1]) الموسوعة الفقهية الكويتية، جـ ٤ ص ١٩٦

[2]) الموسوعة الفقهية الكويتية، جـ ٤ ص ١٩٦

[3]) محمد متولي الشعراوي، ت ، ١٤١٨هـ، تفسير الشعراوي،راجعه، أحمد عمر هاشم،نائب رئيس جامعة الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، إدارة الكتب والمكتبات، أخبار اليوم قطاع، الثقافة جـ ١ ص ٤٣٨.

ومما سبق نستنتج ما يلي:

أن أسرى الحرب من جملة من الغنائم وهم قسمان.

١ – النساء والصبيان.

٢ – الرجال البالغون المقاتلون.

وللحاكم الحق في أن يفعل بالرجال ما هو أنفع، من المن أو الفداء أو القتل.أو الاسترقاق

والمن: إطلاق سراحهم مجانا.

والفداء: قد يكون بالمال، وقد يكون بأسرى المسلمين.

المبحث الثاني: أحوال الأسرى قبل الإسلام

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: الأسرى عند الإغريق (اليونان).

المطلب الثاني: الأسرى عند الرومان والفرس.

المطلب الثالث: الأسرى عند اليهودية والمسيحية.

المطلب الرابع: الأسرى عند عرب الجاهلية.

أحوال الأسرى قبل الإسلام.

تعتبر مسألة الأسرى إحدى النتائج المترتبة علا الحرب، وكان المنتصر في العصور القديمة لا يبقي على أسراه من الرجال، إنما يقتلهم في ساحة المعركة تخلصا منهم ومن إطعامهم، وإرهابا لأقوامهم، أو يقدمون قربانا لمعبوداتهم ويذبحون في معابدهم أما الأطفال فكانوا يضمون إلى القبيلة ليزداد عددهم، ولأنهم كانوا أقل خطورة من المقاتلين، غير أن تطور المفاهيم الإنسانية وحاجة الدولة أو القبيلة إلى أفراد يعملون في الزراعة والرعي والصناعة وفي مختلف المجالات، أدت إلى العزوف عن قتل الأسرى والاستفادة منهم في هذه المجالات، بصورة مباشرة، أو عن طريق بيعهم إلى الغير وصار الأسرى بعد ذلك يستعبدون ويعرضون كالسلع للبيع والشراء (١).

ومن أمثلة الأمم التي عاملت الأسرى بقسوة لا هوادة فيها، الإغريق والروم والفرس، فقد كانوا ينكلون بأسراهم ويعرضونهم للتعذيب والصلب والقتل (٢).

وهناك بعض القبائل العربية التي تعاملت مع الأسرى بقسوة، رغم أن العرب غلب عليهم الإحسان للأسرى وكانوا يفخرون بذلك في أشعارهم.

وكانت عادة الغزو والقتال المنتشرة بين القبائل عادة ما تخلف وراءها الأسرى والسبايا، ومن ثم كان الأسرى معرضين للقتل والاسترقاق حسب مشيئتهم (٣).

وسوف نتناول في هذا المبحث لمحة موجزة عن معاملة الأسرى في الحضارات القديمة وأساليب تعذيبهم في السجون.

---

[١]) سهيل الفتلاوي، نظام أسرى الحرب في القانون الدولي، بغداد، أعظمية، دار القادسية للطباعة، ١٩٨٢م ص ١١.

[٢]) عبد اللطيف عامر، أحكام الأسرى والسبايا، القاهرة، دار الكتاب المصري، و، بيروت، دار الكتاب اللبناني الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ٩١.

[٣]) صبحي محمصاني، القانون والعلاقات الدولية في الإسلام، بيروت، دار الملايين، ١٤٩٢هـ/١٩٧٢م. ص ٢٥٠

المطلب الأول: الأسرى عند الإغريق "اليونان".

كان اليونانيون يعتبرون أنفسهم عنصرا مميّزا وشعبا فوق الشعوب الأخرى، يعتقدون أن من حقهم إخضاع الآخرين والسيطرة عليهم، ومن هنا كانت علاقاتهم بالشعوب الأخرى تحكمية لا ضابط لها، وكانت غالب هذه العلاقات عدائية وحروبا مشوبة بالقسوة، لا تخضع لأي قواعد ولا تراعى فيها أي اعتبارات إنسانية (١).

ومن الواضح والمفهوم أن تظل أمة كهذه في علاقاتها الخارجية في عداء ونزاع مستمر ومملوءة بالقسوة والجبروت مع الآخرين.

عرف اليونان نظام السجون وأماكن الحبس منذ قيام حضارتهم، فكانوا يأسرون أعداءهم ومن يخرجون على طاعتهم ويعذبونهم بأساليب التعذيب المرعبة (٢).

ولم تكن هذه المعاملة القاسية تخصص للعبيد والأسرى فحسب بل إن كثيرا من المواطنين الأحرار كانوا يعذبون على نفس الأسلوب،"كما استخدموا المخلعة والمشهرة التي استخدمها الرومان أيضا، وكانت أداة أثيرةً من الأدوات التي استعملتها محاكم التفتيش الأسبانية في تعذيب الأسرى (٣)".

---

[1]) وهبة الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، دمشق، دار الفكر، الطبعة الثالثة،١٤٠١هـ ١٩٨١م ص ٤٠١

[2]) محمد بن عبد الله الجريوي، السجن وموجباته في الشريعة الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م جـ ١ص١٧٣ وما بعدها.

[3]) الموسوعة العربية العالمية، دائرة المعارف العالمية World Book International، السعودية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،١٩٩٦م، جـ ١ص١.

والمخلعة: هي آلةُ تعذيب كانت تستخدم غالبًا في القرون الوسطى في أوروبا، حيث كان الضحيّة يُقيَّدُ على هيكل خشبي مستطيل، مزّود ببكرة عند كلِّ طرف من طرفيه، وإذا ما رفض الردَّ على الأسئلة التي تُوجَّه إليه، تُلفّ البكرتان، حتّى تنتزعَ مفاصله من مواضعها. أما المشهرة: أداة للتشهير تدخل فيها يدا المجرم ورأسه بين لوحين خشبيين، وهي إطار خشبي شُقّت به فتحات لذراعي المذنب ورأسه، وكانت المشهرة تُنصب في ميدان عام.

اعتبر اليونان التعذيب وسيلة لانتزاع الحقيقة والوصول إليها، وزعم الفيلسوف أرسطو المقدوني ([١]) أنه نوعا من الدليل الذي يحمل على المصداقية.
ومن الواضح أن الفيلسوف لم يدرك أن هناك كثيرا ممن يعترفون بأي شيء تحت التهديد والضرب وهم أبرياء كما كانت الأمة اليونانية تتفنن في اختراع الآلات لتتنوع في تعذيب الأسرى وغيرهم ممن وقعوا في قبضتها (٢).

كان اليونانيون لا يعترفون بالمساواة البشرية، فهذا أفلاطون يقول في الاسترقاق: أنه مشروعية لا يحتاج تبريره إلى برهان، وكل ما يمكن أن يقال فيه إيصاء مالكي الرقبة بالعدل مع الأرقاء وحسن معاملتهم ([٣]).
وجاء بعده تلميذه أرسطو فلم يرى عيبا فيما قاله أستاذه في نظام الرق، بل إنه يرى أن أصل الدولة يرجع إلى الأسرة، والأسرة في نظره تشمل الرقيق، ومن مجموعة الأسرة تكونت القرية ثم المدينة، ومن مجموعة قرى كانت الدولة ([٤]).
ولم يكن في الفلاسفة الكثيرين الذين تفتخر بهم هذه البلاد من أنكر الاسترقاق أو اعتبره مخالفًا للعدالة والآداب ومكارم الأخلاق، بل إن أرسطو نفسه أيد صحته، وأثبت مشروعيته، معتمدًا في رأيه على اختلاف السلائل البشرية.

---

[١]) هو أرسطو المقدوني، من أهل مقدونيا من بلاد الروم ، أحد تلامذة أفلاطون، وهو معلم الأسكندر ويسمونه على الإطلاق، أنه المعلم الأول في صناعة المنطق إذ لم تكن قبله مهذبة، وهو أول من رتب قانونها واستوفى مسائلها وأحسن بسطها. أنظر القنوجي، صديق بن حسن ، ت ١٣٠٧هـ ، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق : عبد الجبار زكار، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة ١٩٧٨م، جـ ٢ ص ، ٤١٨. وانظر أيضا، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ت ٧٨٤- ٨٠٨هـ مقدمة ابن خلدون تحقيق : محمد الأسكندراني، بيروت دار الكتاب العربي، الطبعة ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م. ص ٢٤٨.

[٢]) بيرنهاردت ج هروود، التعذيب عبر العصور، ترجمة: ممدوح عدوان، اللاذقية، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٨٤م ، ص ١١

٣) أحمد أمين- زكي نجيب، قصة الفلسفة اليونانية، القاهرة، مطبعة دار الكتاب المصرية ،١٩٣٥م، ص ١٧٦.

٤) المصدر السابق ص ٢٥٦.

وتنوع أصناف بني آدم، وقد عرَّف الرقيق بأنه. " آلة ذات روح أو متاع قائمة به الحياة" ثم قسم الجنس الشري إلى قسمين؛ وهما "الأحرار والأرقاء بالطبع " ([1]).

"وقد ذاق اليونان وفلاسفتهم ذل الرق، فقد سلط الله عليهم الرومان فغزوهم وأسروا عددا من الفلاسفة من أمثال أرسطو، وأفلاطون، واسترقوهم وطبقوا عليهم نظرياتهم وجعلوهم آلات مسخرة تماما كما كانوا ينظرون إلى غيرهم نظرة الرقيق في تصورهم العنصري (٢).

ولا ندري لو عاش أرسطو وغيره إلى ذلك الزمن الذي أغار فيه الرومان على بلاده وأسر الكثير من بني جنسه أكان على فلسفته أم كان ينقض آراءه و يعترف أن من كان يتحدث عنهم ليسوا آلات وإنما هم بشر مثله ؟؟".



[1]) أحمد شفيق، الرق في الإسلام، ترجمة، أحمد زكي، القاهرة ص ١٨.

[2]) إبراهيم الفلالى، لا رق في القرآن، القاهرة، دار القلم، شارع سوق التوفيقية، بدون تاريخ طباعة،ص ١٦.

المطلب الثاني: الأسرى عند الرومان والفرس.

انقسم العالم قبل الإسلام إلى قوَّتين عظيمتين الفرس والروم، وكانت بينهما حروب ومناورات، وكان طبيعيًّا أن يكون بينهما أسرى، ولكلٍّ من الدولتين قوانينُ في كيفيَّة معاملة الأسير، فكانت دولة الرومان تقتل الأسير حتى أواخر عهدها، ثم رأت بعد ذلك تشريع قوانينَ الهدف منها إبقاء الأسير حيًّا للاستفادة منه مع نزع كل حقوقه الإنسانيَّة، وربما يُسَخَّر للعمل في الأعمال الشاقَّة، والمهن الدنيَّة كما فعل الأسكندر في مصر إبَّان حروبه فيها ([1]).

كانت الدولة الرومانية الشرقية هي الدولة الأوربية الأسيوية الأولى التي اصطدمت بالفتوح الإسلامية في حوض البحر المتوسط حيث كانت تسيطر على أغلب شواطئ البحر المتوسط وجزره وعاصمتها بيزنطة أو- القسطنطينية ([2]) وقد كانت هذه الصفة الرومانية هي التي انتشرت عند العرب قبل الإسلام وبعده، فقد عرفوا بهذا الاسم في النقوش العربية القديمة باسم الروم، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم. قال تعالى﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ ﴾ الروم: ١ – ٣. وقد اشتهر الرومان في تاريخهم بالقوة والجبروت، وكانت لهم حضارة عظمى ورثوها عن أسلافهم اليونان، وأمة كهذه لها تاريخ مديد وكيان كبير، وحضارة مشهورة لا بد أن يصيبها الغرور والعُجب، اعتبر الروم من سواهم من البشر عبيدا، وعامل الروم من عاصرهم من العرب وغيرهم في جاهليتهم وبعد الإسلام على أساس تلك النظرة البغيضة والفكرة الدنيئة (٣).

---

[1]) الفلالي، لا رق في القرآن، ص ١٩.

٢) القسطنطنية: وتسمى بيزنطة أو إصطنبول، كانت رومية دار ملك الروم، عمرها ملك من ملوك الروم يقال له قسطنطين فسميت باسمه، وقد وردت حكايات كثيرة عن حسنها وجمالها، لها خليج من البحر يطيف بها من وجهين مما يلي الشرق والشمال، وجانباها الغربي والجنوبي في البر، كما عرف بكثرة أبوابها وسورها. انظر ياقوة الحموي، معجم البلدان، ج٣ص ٣٢٧.

٣) عبد الله سيف قائد الأزدي، معاملة الأسير في ضوء الكتاب والسنة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، عام ١٤٠٢. ١٤٠٣هـ، ص ٧٣.

كما اتبعوا في حروبهم سياسة تخريب وحرق الأراضي الزراعية المحيطة بالمدن والقرى التي يقصدونها، ويأسرون العاملين بها ويحرقون الغلال هادفين لإضعاف تموين البلاد التي يريدون الاستيلاء عليها حتى تضطر في النهاية إلى التسليم (١)

وكانت الحروب الطويلة التي خاضها الروم قد أمدت روما بحشود لا حصر لها من العبيد والرجال المحطمين، وأسرى الحروب، رجال ولدوا أحرارًا ولكنهم وقعوا في الأسر وسيموا كالسائمة، وبيعوا كالبهائم في سوق العبيد (٢).

" وكان ممن سخر الشعوب المغلوبة، واستعبد الأسرى، واسترق الأحرار هم الرومان (٣) ".

وكان النصر الروماني في العهد الجمهوري شرفا يطمح إليه كل قائد روماني منتصر فيدخل القائد المنتصر المدينة في عربة يجرها أربعة خيول، ويكلل بالتاج، ويحمل بيده الصولجان وعلى رأسه التاج وقد لبس رداء خاصا، فيكون في مظهره كالملك. ويسير أمام عربة القائد الأسرى والغنائم التي غنمها في الحرب.

ويأتي خلف العربة الجنود، وكانت المسيرة تمر من طريق (via sacra) " الطريق المقدس" إلى معبد جوبتر على تل الكابيتول حيث تقدم القرابين وتكون مراسم الشكر العام لعدة أيام (٤).

ولقد كان المشرعون الرومان، شأنهم في ذلك شأن أسلافهم الإغريق، يقدمون تبريرات لاستخدام التعذيب، وكانت القواعد والإجراءات مطبقة في البدء على العبيد والأسرى والمجرمين المتمردين (٥)".

[1]) محمود سعيد عمران، تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، الطبعة ١٩٩٧م، ص١٥٠ وما بعدها.

[2]) عبد الله الأزدي، معاملة الأسير، ص ٧٤.

[3]) صبحي الصالح، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م، ص ٤٦٦.

[4]) آبترى، مدخل إلى تاريخ الرومان وأدبهم وآثارهم، ترجمة : يوئيل يوسف عزيز، الطبعة ١٩٧٧م ص، ٨٠.

[5]) بير نهاردت ج هروود، التعذيب عبر العصور. ص ١٣. ١٤.

- معاملة الرُّوم للأسرى.

لا شك أن معاملة الأسرى عند الرومان كانت قاسية إلى حد كبير وبعيد، إذ خلت هذه المعاملة من كل القيم الإنسانية ونزعت عنها الرحمة التي فطر عليها الإنسان حيث لقي الأسرى في أحضان الرومان أنواعا شتى من أضرب العذاب وصنوف التنكيل والقتل والصلب والتمثيل.

" استخدم الرومان الأسرى في العمل، وكلفوهم بأعمال قاسية وأعمال مهينة ودنيئة كانوا يرون أنها لا تليق إلا بالأسرى دون غيرهم، وأكثر من تعرض لمثل هذه الأعمال المهينة كانوا من الأرقاء والأسرى،كما كان السكان الآمنون يتعرضون في ديارهم لغزو الروم الذين لا يتورعون عن قتلهم وأسرهم ويبيعونهم عبيدا (١). "

يقول" جستنيان " في مدونته لتنظيم العلاقة بين الأب الأسير وأولاده الطلقاء: "إذا وقع الأب أسيرا في يد الأعداء، فلا شك في أنه صار مسترقا لهم، ومع ذلك فإن حالة أولاده تبقى موقوفة، إذ من المقرر أن الذين أخذهم الأعداء أساري تبقى لهم جميع حقوقهم السابقة يباشرونها متى رجعوا من الأسر، فيكون مما يعود إلى الأسير الراجع حق ولايته على أولاده، وفي حالة موت الأب يعتبر ابنه مستقلا من تاريخ وقوع الأب في الأسر، وإذا كان الابن هو الذي يأسره الأعداء فإن السلطة الأبوية تظل موقوفة (٢)".

كان للروم سجون وأماكن للأسر على شكل أقبية تحت قصورهم مظلمة وليس فيها أي تهوية، والنزيل بها لا يرى بصيص النور إلا في حالة خروجه من التعذيب ولم تكن مثل هذه الألوان من التعذيب خاصة بالأسرى والسجناء بل وحتى الرعايا المحكوم عليهم بالموت.

---

[١]) عبد الله الأزدي، معاملة الأسير، ص ٧٥.

[٢]) أحمد شفيق، الرق في الإسلام،ص٢٠.وانظرأيضا: عبد اللطيف عامر، أحكام الأسرى والسبايا ، ص ٩١.

فمثلا: كان القديس " مانتاليمون " بعد ما حكم عليه بالموت على الخشبة ظل محتجزا حتى صنعت عجلة خاصة فربط بها على محيط العجلة وتمت دحرجته من أعلى جبل إلى الصفوح الصخرية (١) فاندفعت العجلة بين المتفرجين فقتلت عددا كبيرا منهم، وهذه العملية كانت تستغرق فترة غير قصيرة (٢).. كان الرومان يضعون الأسرى مع الوحوش المفترسة في أقفاص مغلقة، ليستمتع الأمراء والوزراء بمشاهدة الوحوش وهي تفترسهم ويستخدمونهم كوسائل للترفيه والتسلية؛ كما حدث في عهد الإمبراطور " فسبسيان " الذي حاصر اليهودَ في عهده بالقدس ونكّل بهم في أشد هزيمة مهينة عرفها التاريخ كما سيأتي(٣).

معاملة الفرس للأسرى.

أما فارس التي شاطرت الروم في حكم العالم المتمدن، فقد كان الأكاسرة (٤) يدعون أنه يجري في عروقهم دم إلهي، وكان رعاياهم ينظرون إليهم كآلهة، ويعتقدون أن في طبيعتهم شيئا علويا مقدسا، وينظرون إلى الأمم حولهم نظرة ازدراء وامتهان فلم يختلف الوضع عند الفرس كثيرًا عن الرومان، وقد نكَّل الفرس بأسراهم وجعلوهم عرضة للتعذيب والإيذاء والاضطهاد والقتل ولكن رأوا بعد ذلك أنه من الممكن استخدامهم، فعدلوا عن فكرة القتل واسترقُّوهم، وباعوهم رقيقًا بعد أن كانوا أحرارًا، واستخدموهم في الأعمال الشاقَّة الصعبة، أما باقي الحضارات التي كانت موجودة بأحجام أقل من الفرس والروم الذين كانوا يحتلون نصف العالم الآخر فقد حكموه بالحديد والنار والظلم (٥) .

---

١) الصُّفوح بضم الصاد والفاء: الملق اللينة الملتزقة من الجبل، ابن منظور، لسان العرب، جـ ١٠ص ٣٤٨.

٢) محمد: الجريوي، السجن وموجباته، جـ ١ص ١٧٤.

٣) عبد القادر عبار، المسلمون وضرورة الوعي التاريخي، مجلة الأمة، العدد٤٢، جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ ص ٢٤.

٤) هم آوا خر مملكة ساسان في فارس وآخر ملوكهم يزدجرد . أنظر البكري، عبد الله بن عبد العزيز، ت ٤٨٧ هـ، المسالك والممالك، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة ١٩٩٢م، جـ ١ص ٢٦٥ .

٥) الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص٤٠٤. وانظر أيضا: أبا الحسن علي الندوي، ت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، تحقيق: مصطفى أبو سليمان الندوي، مكة المكرمة، مكتبة الباز ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ص ٢٦ وما بعدها.

المطلب الثالث: الأسرى عند اليهودية.

عندما نزلت الأديان السماوية وقفت مع الحرب مواقف مختلفة فالدين اليهودي لم يحظر الحرب بل اعتبر فكرة الحرب عند اليهودية فكرة أساسية تعبر عن علاقاتهم بغيرهم من الأمم، وقانونهم هو السن بالسن، وربهم هو رب الانتقام، وهم يعتقدون أنهم أرقى الشعوب،وأن تميزهم على سائر الأجناس منحة إلهية ربانية أعطاهم إياها (وقد جاء في سفر التثنية (٢/١٤) " لأنك شعب مقدَّس للرب إلهك، وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض (١).

"ويروي العهد القديم- وقد دخله التحريف والتبديل- الكثير من القصص عن حروب اليهود المبنية على تلك الفكرة ومن ثم يمكن القول أن الحرب في الديانة اليهودية وكما جاء في كتبهم غير محرمة بل تعتبر مشروعة، ولم تضع الديانة اليهودية قيودا على ممارسة الحرب أو على أساليب القتال أو معاملة الأسرى، بل كانت القاعدة أن كل شيء مباح، فهم لا يبدأون بإعلان الحرب بل يبدؤونها فجأة وغدرا دون إنذار، ولا دعوة للإيمان بدينهم وحتى ولو قبل أعداؤهم الدخول في دينهم فلا يعصمهم إيمانهم من الفناء بل ولا يسمح لهم بالرحيل والجلاء عن بلادهم لتخلو لليهود، فإذا ما فتحوا أي بلد وجب قتل جميع سكانها لا فرق بين مسلح محارب، ولا آخر مدني، ولا شيخ فان أعزل، ولا امرأة ولا طفل ولا عامل ولا أجير، الكل طعمة للنار والحديد تطبيقا لما جاء في إحدى كتبهم " تمحو اسم من تحت السماء لا يقف إنسان في وجهك حتى تفنيه تدريجيا لئلا تكثر عليك وحوش البرية " (٢).

ينقسم البشر عند اليهود إلى قسمين: بنو إسرائيل قسم، وسائر البشر قسم آخر.

---

[1]) عبد اللطيف عامر، أحكام الأسرى والسبايا، ص ٣٨ .

[2]) عبد الواحد محمد يوسف الفار، أسرى الحرب، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة، ١٩٧٥م ص ٢٦

فأما بنو إسرائيل فيجوز استرقاق بعضهم حسب تعاليم معينة نص عليها العهد القديم، وأما غيرهم، فهم أجناس منحطة، يمكن استعبادها عن طريق التسلط والقهر، لأنهم سلالات كتبت عليها الذلة باسم السماء ([1]).

ومن خلال دراستنا لهذه النصوص المحرفة من كتبهم المزورة والمنسوبة إلى أنبياء بني إسرائيل - عليهم السلام - كذبا وزورا، نجد أن اليهود كانوا قساة تجاه الأسرى وكانوا يعاملونهم بوحشية تامة.

كما يوصي الإصحاح العشرون من سفر التثنية بقتل الذكور من سكان المدن التي تفتح بالقوة وأخذ النساء والأطفال والمواشي كغنائم، وتوزيعها على الزعماء والقادة اليهود، أما المدن التي لا تدخل الحرب معهم وتقبل الصلح، فإن جميع سكانها يعتبرون من الأسرى ويسخرون لخدمتهم (٢).

وعندما بدأ الصدام بين اليهود والعماليق في المرحلة الأولى من التيه حيث هاجم العماليق بني إسرائيل المنهكين بعد خروجهم من مصر، وأسروا كثيرا من مقاتليهم وغنموا الكثير من أموالهم وحيواناتهم.

وبدأ الإسرائيليون يفكرون في الانتقام من العماليق ([3]) وكان " شار " "١٠٢٠-١٠٠٠ق م " أول ملك إسرائيلي يحارب العماليق ويستولي على ممتلكاتهم، وفي أيام داود "١٠٠٠ق م " دقت الحرب طبولها من جديد بين بني إسرائيل والعماليق، فقد غزا هؤلاء بني إسرائيل "وضربوا صقلغ ([4]) وأحرقوها وسبوا نساءها " .

---

[1]) تلبيس مردود، صالح بن عبد الله بن حميد، مجلة البحوث الإسلامية، العدد الثاني والثلاثون – الإصدار: من ذو القعدة إلى صفر لسنة ١٤١١هـ ١٤١٢هـ، ص١٩٦

[2]) سهيل حسين الفتلاوي، نظام أسرى الحرب في القانون الدولي،بغداد، دار القادسية، الطبعة ١٩٨٣م ص ١٧.

٣) العماليق: هم أولاد عملاق بن سام بن نوح . العليمي، محمد بن عبد الرحمن الحنبلي، ت ٩٢٨هـ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، عمان، مكتبة دنديس، جـ١ ص ٦٧. وانظر أيضا: العصامي، عبد الملك بن حسين، ت ١١١١هـ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل عبد الموجود – علي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة ١٤١٩هـ /١٨٨٩م جـ ١ ص ٢١٧.

٤) صقلغ: مدينة في الجنوب الأقصى من يهوذا، قاموس الكتاب المقدس، صموئيل الأول،٢٧، تفسير سفر صموئيل أول داود يلتجيء إلى صقلغ، الكتابية المسيحية، الطبعة الأولى عام ١٨٩٤.دائرة المعارف الكتابية المسيحة.

إلا أن داود قد كتب له نجاحا بعيد المدى في رد الغزاة واسْتِعَادة الغنائم منهم، بل واستعادة بعض السبايا – ومنهم امرأتيه – أخينوعم، وأبيجايل ([١]).

كما استطاع قائده "يؤاب" ([٢]) أن يخرجهم من ديارهم الأولى، وإن ظلت بقية منهم تسكن الجزء الجنوبي من جبل سعير([٣]) حتى أتى المهاجرون من قبائل شمعون فاحتلوا ديارهم، ومن ثم لا نجد للعماليق بعد ذلك أثرا في النصوص (٤).

وقد اشترى اليهود الأسرى الذين تم أسرهم من بيت المقدس من قبل الفرس سنة ٦١٥م ليتمتعوا بتعذيبهم وقتلهم (٥).

وقد ذاق اليهود ذل الأسر في عهد الإمبراطور "فسبسيان "([٦]) حين حاصر الرومانُ اليهودَ في القدس- وكان اليهود يسمونها أورشليم- لمدة خمسة أشهر انتهت في سبتمبر سنة٧٠م، ثم سقطت المدينة في أشدّ هزيمة مُهينة عرفها التاريخ؛ حيث أمر الرومان اليهودَ أن يقتلوا أبناءهم ونساءهم بأيديهم، وقد استجاب اليهود لهم من شدّة الرعب، وطمعًا في النجاة!! ثم بدأ الرومان يجرون القرعة بين كل يهوديّين، ومن يَفُزْ بالقرعة يقوم بقتل صاحبه حتى أُبِيد اليهود في القدس تقريبا وسقطت دولتهم، ولم ينجُ منهم سوى الشريد وأولئك الذين كانوا يسكنون في أماكن بعيدة (٧).

---

١) أَخِينُوعَم، اسم عبري معناه " أخي نعيم أو بهجة " زوجة داود، امرأة من يزرعيل، وقد أخذها العمالقة في الأسر من صقلغ مع أبيجايل امرأته الأخرى، قاموس الكتاب المقدس/ دائرة المعارف الكتابية المسيحية.

[٢]) يُوآب ابن صروية بكر أولاد صروية أخت داود ورئيس جيشه وكان يوآب شجاعًا. غير أنه كان طموحًا، صارمًا، عديم الشفقة، شديد الانتقام. "١ اخبار ٢: ١٦ و١١: ٦".

[٣]) جبل سعير: كلمة عبرانية معناها "كثير الشعر" وهو جبل في أرض يهوذا. "يشوع ١٥: ١٠"

٤) محمد بيوم مهران،تاريخ العرب القديم،القاهرة، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ ص١٥٩ وما بعدها.

٥) الفريد بتلر، فتح العرب لمصر، تعريب، محمد فريد أبو حديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة ١٩٨٩م ، جـ ١ ص ٥٥.

[٦]) فسبسيان، سمي بقصاص الله العادل بعد هدم أورشليم. تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، مذكرات في تاريخ الكنيسة المسيحية – القمص ميخائيل جريس ميخائيل، خراب أرشليم.

٧) مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، جـ ٩ ص ٦٨ . ٧٠

المطلب الرابع: الأسرى عند العرب في الجاهلية.

كانت للعرب في الجاهلية وقبل الإسلام محاسن ومساوئ، ومن مساوئهم كثرة الحروب والنزاعات بين القبائل العربية بسبب الاختلاف على السيادة والسلطة أو التسابق على موارد المياه ومنابت الكلأ (١) مما أدى إلى انعدام الوحدة السياسية بينهم وإلى كثرة الحروب التي أريقت فيها الدماء، وقد عرفت بأيام العرب ووقائعها[٢] وكان الغزو والإغارة من أهم موارد الرزق عند الأعراب لاسيما عند انقطاع الغيث (٣).

وقد يقع الغزو لأسباب أخرى لا علاقة لها بانحباس المطر، كالعصبية والنجدة وغير ذلك، بل ربما بسبب طمع القبائل بعضها في بعض، وكانت العادة أن القبائل القوية تطمع في القبائل الضعيفة لتأخذ منها ما عندها من مال ورزق فتغزوها لتستولي على ما طمعت به، ولضرورة الدفاع عن النفس اضطرت القبائل الضعيفة إلى عقد التحالف مع القبائل القوية لمقاومة أي غزو يقع عليها من جانب آخر وهي كلها أسباب ترجع إلى مصالح خاصة ومنافع سياسية تتغير دوما بسبب تغير تلك المصالح ومن ثم فلا يمكن الاعتماد عليها (٤).

---

١) حسن، إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي، دار الساقي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثامنة ١٩٧٤م ص ٥٢ وما بعدها.

٢) قال المسعودي: وكان منها في الجاهلية والإسلام، كيوم الهَبَاءة، وحروب ذبيان وغطفان، وما كان بين عبس وسائر العرب من نزار واليمن. وحرب داحس والغَبْراء، وحرب بكربن وائل وتغلب، وهي حرب البَسوس، ويوم الكُلاب، ويوم خزاز، ومقتل شاس بن زهير، ويوم في قار، ويوم شِعْب جَبَلَة، وما كان من بني عامر وغيرهم، وحرب الأوس والخزرج، وما كان بين غَسَّان وعَك.المسعودي، علي بن الحسين، ت ٣٤٦هـ، مرج الذهب، جـ١ص ٢١٩.

٣) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الرابعة،١٤٢٢هـ ٢٠٠١م جـ ٧ ص ٣٢٧. وانظر أيضا توفيق برو، تاريخ العرب القديم، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ،٢٠٠١، جـ ١ص ٢١٤.

٤) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، جـ ٧ ص٣٤١.

وسبب الحروب في رأي ابن خلدون " إما غيرة ومنافسة، وإما عدوا، وإما غضب لله ولدينه، وإما غضب للملك وسعي في تمهيده، فالأول أكثر ما يجري بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة .

والثاني وهو العدوان، وأكثر ما يكون من الأمم الوحشية الساكنين بالقفر كالعرب والترك والتركمان والأكراد وأشباههم؛ لأنهم جعلوا أرزاقهم في رماحهم ومعاشهم بأيدي غيرهم ومن دافعهم عن متاعه آذنوه بالحرب (١)".

وهكذا كانت حال العرب في الجاهلية توقد الحروب وتراق الدماء بين القبائل بسبب وبغير سبب أحيانا، وكان منها حروب محمودة،كدفاعهم عن الأعراض ونصرتهم لمن يستنصرهم ويستجير بهم إن كان على حق، وحمايتهم للحليف، وقد أقر الإسلام أخلاق العرب المحمودة، وقضى على كل خلق دميم، ونقل العرب من بعض الجاهلية المظلمة إلى نور الإيمان الذي حمل في طياته كل معالم الحضارة الإنسانية المشرقة، كان القوم في العصر الجاهلي يحيون قبائل متفرقة لا تعرف الوحدة السياسية والاستقرار - اللهم إلا ما كان داخلا ضمن الحيرة وأعمالها (٢)- من الولايات وبعض جهات الشام وفلسطين أيام الغساسنة، وكانت الحروب سجالا بين القبائل في ذلك العصر وتستمر سنين طويلة ولأسباب تافهة كحرب داحس والغبراء (٣).

---

١) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٥٥.

٢) الحيرة بالكسر ثم السكون والراء: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف، كانت مسكن المناذرة ملوك العرب في الجاهلية، ياقوت الحموي ت ٦٢٦هـ، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، الطبعة الثانية ١٩٩٥، جـ ٢ ص ٣٢٨.

٣) ابن الأثير،علي بن أبي الكرم محمد، ت،٦٣٠هـ، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، جـ ١ ص ٥٠٩.

وحرب داحس و الغبراء : هي حرب من حروب الجاهلية كانت بين قبيلتي عبس وذبيان، وكان داحس فحلا لقيس بن زهير والغبراء لحذيفة بن بدر وتواضعا الرهان على مائة بعير وجعلا طرف الغاية شعاب كثيرة فأكمن حمل بن بدرفي تلك الشعاب فتيانا على طريق الفرسين وأمرهم إن جاء داحس سابقا أن يردوا وجه الغاية، وثارة الحرب بين عبس وذبيان فبقيت أربعين سنة لم تنتج لهم ناقة ولا فرسا وتعد من أطول حروب عاشها وخاضها العرب في الجاهلية. انظر ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، ت ٣٢٨هـ ، العقد الفريد ، بيروت ، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى١٤٠٤هـ، جـ ٦ ص ١٨.

ونتيجة لذلك يكثر الأسرى من كلا الفريقين، ولم يكن لدى العربي في الصحراء بناء يحبس فيه الأسرى، بل كان الأسير يسجن في خيمة للموكل له أمره أو حراسته، أويتم أسره في جذع شجرة،

وقد تحفر له حفرة في الرمل ويمنعه ثقل أغلاله من الخروج منها ويمضي وقته في شدة القيظ وحر الهاجرة يتناوب عليه أكثر من حارس، ويقضي حاجته في محبسه، وينام فيه ويرمى عليه أكله فيه بقدر ما ينقذ حياته من الموت، ويظل على هذه الحالة فترة سجنه وأسره، وفوق ذلك يثقل بالقيود والكبول الحديدية التي أخذت أنواعا وأشكالا متعددة مما يؤكد وجود الحبس والأسر (١).

وقد خلفت هذه الحروب كثيرا من الأسرى والسبايا، ولم تكن الحروب هي المصدر الوحيد للأسر، بل كان يحدث بواسطة القنص والغصب بالقوة كما كان العجز عن أداء الديون من ضمن أسباب الأسر والرق وإلى غير ذلك من الأسباب.

ومما وقع من الحروب بين العرب وغيرهم ما حدث بين العرب والفرس في موقعتين هما: يوم الصفقة (٢) ويوم ذي قار (٣) وحرب داحس والغبراء وغيرها من الوقائع.

---

١) محمد الجريوي، السجن وموجباته، جـ ١ص ١٨٣ وما بعدها.

[٢] يوم الصفقة : هو يوم من أيام العرب في الجاهلية، انتقم فيه الفرس من بني تميم لنهبهم عير كسرى إلى اليمن. وقد حرض هوذة بن علي الحنفي كسرى بالانتقام منهم لثأر بينه وبينهم قديم. أنظر العقد الفريد جـ ٥ ص ١٩٤. وانظر أيضا: المولى بك ، محمد أحمد وآخرون ، أيام العرب في الجاهلية ، مطبعة عبسى البابي وشركائهم بمصر ، دار إحياء الكتب العربية ، ص١ وما بعدها. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ ١ص ٥٥٥

٣) يوم ذي قار: يوم لبني شيبان أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم ويقال إنه حدث في زمن النبي ﷺوقع فيه القتال بين العرب والفرس في العراق وانتصر فيه العرب. وكان سببه أن كسرى أبو وزير عضب على النعمان بن المنذر ملك الحيرة،وقد أوغر صدره عليه زيد بن عدي العبادي لأنه قتل أباه عدي بن زيد، فلجأ النعمان إلى هانئ بن مسعود الشيباني، فاستودعه أهله وماله وسلاحه، ثم عاد فاستسلم لكسرى فسجنه وقتله، وأرسل كسرى إلى هانئ بن مسعود يطلب إليه تسليم وديعة النعمان، فأبى هانئ تسليمها إليه دفعا للمذمة، فغضب كسرى على بني شيبان وعزم على استئصالهم، فجهز لذلك جيشا ضخما من الأساورة الفرس يقودهم الهامرز وجلابزين، ومن قبائل العرب الموالية له من تغلب والنمر بن قاسط وقضاعة وإياد، وولي قيادة هذه القبائل إياس بن قبيصة الطائي، وبعث معهم كتيبة الشهباء والدواسر، فلما بلغ النبأ بني شيبان استجاروا بقبائل بكر بن وائل، فوافتهم طوائف منهم واستشاروا في أمرهم حنظلة بن سيار العجلي، واستقر رأيهم على البروز إلى بطحاء ذي قار، وهو ماء لبكر بن وائل قريب من موضع الكوفة فدار

" وحالة الأسر عندهم في الغالب تنتهي بإحدى ثلاث خصال: إما القتل، أو الفداء، أو العفو، وهو المن على الأسير وإطلاق سراحه دون فدية، وإلى جانب هذه الأمور كان استرقاق الأسرى وبيعهم في الأسواق أمرا مشهورا لدى العرب كما سيأتي بيان ذلك، واتسمت معاملة الأسير بضروب من القيد والتصفيد، وكان الأسير يجلد تارة بحبل أو سلسلة من حديد تارة أخرى وتارة بهذه وتلك معا فالتصفيد مرتبط بالأسر ملازم للأسير (١).

وكان كثير من الآسرين يتجاوزن الحد في شد وثاق أسراهم خشية فرارهم أو لغلظ قلوبهم، وربما ترك الآسر أسيره مدة من الزمن ينوء بأغلاله الثقال، وقد تباهى العرب في الجاهلية بأسر الأعداء، فهذا عمرو بن كلثوم يفتخر بأسر قومه الملوك وتصفيدهم فقال:

فآبو بالنهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفدينا ([٢]).

فلم يكن نعتهم لحال الأسر للتألم مما حل بالقوم أو الحدب عليهم أو تصوير معاناتهم، بل كان نعتا غايته إبراز علو يد الشاعر وقومه وتمكنهم من إخضاع خصمهم وخضد شوكته برغم سطوته وجبروته، والفخر بأسر الملوك بأسر والسادة في الشعر الجاهلي كثير، ويعد أسر العدو وإن لم يكن من علية القوم مفخرة ليس يكل الشعراء من الافتخار والمدح بها.

القتال بين الطرفين وانتصر على العرب الفرس .أنظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ ١ص٤٣٦. وانظر المولى بك، أيام العرب في الجاهلية، ص ١١ وما بعدها.

١) أحمد مختار البرزة، الأسر والسجن في الشعر العربي، بيروت، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. ص ٢٨

[٢]) القرشي، محمد أبي الخطاب، ت،١٧٠هـ، جمهرة أشعار العرب، تحقيق : علي محمد البيجادي، نهضة مصر للإنتاج والتوزيع، ص ٢٩٢.

" وقد كان الشعراء يعييرون على خصومهم في الجاهلية بما جرى لأقوامهم من أسر، فهذا جرير يعير على مجاشع بأسر بني جعفر بن كلاب من بني عامر سيدهم معبد بن زرارة يوم "رحرحان" (١) ورماهم بالجبن واتهمهم بأنهم أسلموه وتخلو عنه.

كما عيرهم باضطرارهم إلى النزول على حكم أسيدة أم مالك ذي الرقيبة الذي أسر في يوم " شعب جبلة "(٢) سيدهم الآخر الذائع الصيت حاجب بن زرارة وإعطائها ما طلبت من فداء (٣).

وقد كرر تعييرهم بإسلامهم سيديهم هذين، وعدم دفعهم عنهما، فوقعا في الأسر، وذاقا مرارته وغُلاّ بالأغلال والسلاسل فقال:

وعرَّدْتُمْ عن جعفر يوم معبد فأسلم والقَلْحَاءُ (٤)عانٍ أسيرها(٥).

وقوله:

وما نحن أعطينا أسيدة حكمها لعان أعضت في الحديد سلاسله (٦).

[1]) يوما رحرحان ، مشهور أغار فيه بنو حنيفة وبنو قيس بن ثعلبة على بني الحريش بن كعب فركب بنو جعدة وبنو بكر واستنقذوا بني الحريش وقتلوا من بني حنيفة عددا وهزموهم . أنظر الأصبهاني ، كتاب الأغاني،جـ ٥ ص٢٤.
ورحرحان، اسم واد عريض في بلاد قيس، وقيل رحرحان موضع وقيل اسم – جبل قرب عكاظ – له يوم معروف لبني عامر على بني تميم .أنظر القلقشندي، أحمد بن علي الفزاري، ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م، صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، تحقيق : عبد القادر زكار، دمشق، وزارة الثقافة، الطبعة ١٩٨١م ، جـ ١ ص ٤٤٧. وانظر أيام العرب في الجاهلية ، ص ٣٧٤.

[2]) يوم شعب جبلة، هو أعظم أيام العرب، وقعت قبل الإسلام بأربعين سنة، بين عامر وعبس على ذبيان وتميم . أنظر النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت ٧٣٣ هـ ، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ جـ ١٥ ص ٣٥٠.

٣) المبرد، محمد بن يزيد، ت ٢٨٥هـ ، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٧م جـ ٢ ص٦٢.

[4]) القلحاء: مؤنث " الأقلح " و من بأسنانه " قلح " هو صفرة تعلو الأسنان. أنظر أحمد الزيات، المعجم الوسيط تحقيق مجمع اللغة العربية، الإسكندرية. دار الدعوة، جـ ص ٧٥٤.

[5]) الصاوي، محمد إسماعيل، ديوان جرير، تحقيق : بيروت، بدون تاريخ طباعة، دار الأندلس، ص ٤٨٣.

[6]) المرزباني، محمد بن عمران، ت ٣٨٤هـ، معجم الشعراء، تصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، بيروت مكتبة القدسي، الطبعة : الثانية، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م ، جـ ١ ص ٣٦٠.

- تعذيب الأسرى عند العرب في الجاهلية.

كان الأسير عند العرب في الجاهلية في أحيان كثيرة مهضوم الحقوق، محروما من كل الرعاية الإنسانية، لا يجد من المعاملة إلا أقساها وأشدها نكالا، وكان للآسر أن يختار أي نوع من العقوبة لتعذيب أسيره دون رحمة أو شفقة أو إنسانية وقد لقي كثير من الأسرى على يد من أسروهم أنواعا من العذاب. " ومن ذلك ما حصل للأسرى من " بني محارب" الذين أسرهم " الأسود بن المنذر" ملك الحيرة.

حيث عذبهم عذابا شنيعا فقد أمر جيشه فأحمي لهم الحجارة وقال لهم: إني أحذيكم نعالا؛ ثم أمشاهم على الصفا المحمى فتساقط لحم أقدامهم.

وقد بَجِحَ شاعر كندي بهذه الممارسة الهمجية الحاقدة، وعير محاربا بتلقيهم هذا النكال الأليم فقال:

على عهد كسرى نعلتكم ملوكنا صفا من أُضاخ حاميا يتلهب (١).

وهذا عبد يغوث بن صلاءة ([2]) سيد بني الحارث يأسره فتى من بني عمير بن عبد شمس "يوم الكلاب الثاني" وانطلق به إلى أهله، فقالت أمه - وقد رأت عبد يغوث رجلا عظيما جميلا – من أنت ؟. قال: أنا سيد القوم، فضحكت وقالت: قبحك الله من سيد قوم حين أسرك الأهوج. ثم قال لها: أيتها الحرة ؛. هل لك إلى خير؟ قالت : وما ذاك ؟ قال أعطي ابنك مائة من الإبل، وينطلق بي إلى الأهتم.

---

[1]) البكري، عبد الله بن عبد العزيز، ت ٤٨٧هـ، معجم ما استعجم، بيروت عالم الكتب، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ، جـ ١ ص ١٦٤ وانظر أيضا : الأصفهاني، أبو الفرج، كتاب الأغاني، جـ ١١ ص ١١٦ وانظر أيضا البغدادي: عبد القادر عمر، ت ١٠٩٣هـ ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب تحقيق : محمد نبيل طريفي أميل بديع اليعقوبي، بيروت، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م جـ ٩ ص٥٧٥.

[2]) هو عبد يغوث بن وقاص بن صلاءة الحارثي، كان من شعراء الجاهلية وفرسانهم وسيد بني الحارث وقائدهم في يوم الكلاب الثاني، أسره عصمة بن أبير التيمي ودفعه إلى الأهتم فرفع قيس قوسه فضرب فم الأهتم بها فهتم أسنانه ومن يومئذ سمي بالأهتم. الأصفهاني، كتاب الأغاني ، جـ ١٤ص ٨١.

فإني أخاف أن تنتزعني سعد والرباب منه فضمن لها مائة من الإبل وأرسلها إلى بني الحارث فوجهوا بها إليه. وأنشأ يقول:

أأهتم يا خير البرية والدا   ورهطا إذا ما الناس عدوا المساعيا
تدارك أسيرا عانيا في حبالكم   ولا تثقفني التيم ألقى الدواهيا (١).

ولكنه لم يلبث حتى سلمه الأهتم إلى بني تميم، فقال عبد يغوث: يا بني تميم اقتلوني قتلة كريمة ؛ اسقوني خمرا، ودعوني أَنُحُ على نفسي، فسقوه الخمر ثم قطعوا له عرقا يقال له" الأكحل"(٢) وتركوه ينزف حتى مات (٣).

وهذه معاملة غير إنسانية ليس فيها رحمة ولا كرامة، فلا هم أجهزوا عليه ولا هم تركوه سليما.

وهذا نوع آخر من المعاملة للأسير في الجاهلية حيث نجدهم يمنعون الأسير من الماء فيموت عطشا، وكان المهلهل أخو كليب المشهور قد أُسر في حرب البسوس التي استمرت أربعين عاما، ولكنه خدع من أسره فلم يعلم أنه المهلهل فجز ناصيته (٤) وأطلقه، والملوك لا تجزُّ نواصيها، وكان العرب إذا أسروا رجلا ثم مَنُّوا عليه فأطلقوه جزوا ناصيته ووضعوها في كنانة ثم أطلقوه. قالت الخنساء (٥).

جززنا نواصي فرسانهم   وكانوا يظنون أن لا تجزا (٦).

---

١) البغدادي، عبد القادر، خزانة الأدب، جـ ٢ ص ١٧٢.

٢) الأكحل.عرق في وسط الذراع يكثر فصده، وهو الوريد. أنظر الفيومي، المصباح المنير، جـ ٢ ص ٥٢٧

٣) الأصفهاني ،كتاب الأغاني، جـ ١٦ص٣٦٠

٤) الناصية: مقدم الرأس وشعر مقدم الرأس إذا طال، وكان العرب إذا أنعموا على الرجل جزوا ناصيته وأطلقوه، فتكون الناصية عند من جزها. المعجم الوسيط، جـ ٢ ص ٩٢٧.

٥) تُماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، السُّلَمية، من بني سُليم، من قيس عيلان، من مضر، أشهر شواعر العرب، وأشعرهن على الإطلاق. من أهل عالية نجد عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت، أنظر ترجمتها عند ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، ت ٤٦٣هـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البيجاوي، بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، جـ ٤ ص ١٨٢٧وما بعدها.

٦) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، جـ ١ ص ٤٦٥. وانظر أيضا : النويري، جـ ٣ ص١١٧

ثم أغار المهلهل على بني بكر فظفر به عمرو بن مالك أحد بني قيس بن ثعلبة فأسره وشد وثاقه، ومنع عليه الماء والخمر فمات عطشا (١).

وهذه المعاملات في حد ذاتها كانت سيئة، لأنهم لم ينعموا عليه بإطلاق سراحه ولم يقدموا له ما يلزم من الطعام والشراب ولم يقتلوه قتلة كريمة أو يبقوه دون أذى.

- قتل الأسير عند العرب في الجاهلية.

كان قتل الأسرى يتم أحيانا عند العرب في الجاهلية، وخاصة في ظل الزعامات السياسية كملوك الغساسنة والمناذرة، وكانت أساليب القتل عندهم متنوعة، ولربما قتل الأسير ومثل به، ولا سيما إن كان قد أوغر صدور آسريه بفعل فعله بهم قبل أسره، ومن أشنع أساليب القتل في هذا الشأن ما قام به المنذر بن امرؤ القيس اللخمي حيث أسر عددا كبيرا من بني بكر بن وائل وقتلهم على قُنَّة جبل (٢).

حتى بلغت دماؤهم سفحه، كما أمر بالسبايا البكريات أن يحرقن، لكن كان الحضور الميمون لرجل من قيس من بطانته حال دون ذلك، إذ شفع فيهن فشفعه وأطلقهن (٣).

وهذا "عمرو بن هند" (٤) ملك الحيرة يقدم على إحراق مائة رجل من بني تميم حتى سمي " محرقا " (٥).

---

١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ ١ ص ٤٨٥.

٢) قُنَّةِ الجبل: أعلاه، ابن منظور، لسان العرب، جـ ٥ ص ١٢١.

٣) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، ت،٦٣٠هـ، الكامل في التاريخ. تحقيق: عبد السلام تدمري، بيروت دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، جـ ١ص٤٩٧

٤) هو امرؤ القيس " الثاني " بن عمرو بن امرئ القيس الأول، من بني لخم، من قحطان: ملك الحيرة وأعمالها. الزركلي، خير الدين بن محمود، ت ١٣٩٦هـ ، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر ٢٠٠٢ م جـ ٢ص١٢.

٥) المبرد، محمد بن يزيد، ٢٨٥هـ، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة،دار الفكر العربي، الطبعة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، جـ ١ص ١١٨.

وكان الحارث بن عمرو ([1]) من آل جفنة، أول من ابتدع هذه العقوبة الشنعاء، وقد عرف أيضا " بالمحرق".

ويمكن القول إن المناذرة أنزلوا ببعض أسراهم أقسى العقوبات وأنزلوا بهم ألوانا من التعذيب الذي يتنافى مع قيم الرحمة والإنسانية، وهذ ما سنجده أيضا في مواقع حدثت بين بعض القبائل كالذي وقع بين بني عامر وغطفان يوم الرقم (٢).

وكان على بني عامر فارسهم عامر بن الطفيل (٣) وبعد قتال عنيف انهزم بنو عامر. وأسرت غطفان من بني عامر أربعة وثمانين رجلا، دفعوهم إلى أهل بيت من أشجع كانت بني عامر قد أصابوا فيهم للثأر بهم فقتلوهم أجمعين (٤).

- فداء الأسير عند العرب في الجاهلية.

ومن الحق القول أن من عرب الجاهلية من كانت لهم أخلاق كريمة ونزوع للعفو والإحسان وترفع عن الأحقاد وسفك دماء الأسرى وكان من الشعراء من يباهي بإحسان قومه معاملة أسراهم، ويعير عدوه بالإساءة إلى من في أيديهم من الأسرى، فهذا أدهم بن حازم الضبي الذي يفتخر بأنه وقومه لا يسلبون مال أسراهم .

---

١) هو الحارث بن عمرو بن عدي بن نصر اللخمي: من ملوك الدولة اللخمية في الحيرة. ولي بعد موت أخيه امرئ القيس، الزركلي، جـ٢ص ١٤٦.

٢) يوم الرقم لغطفان على بني عامر، والرَّقَمِ بفتح القاف: ماء لبني مُرَّةَ وهو يوم بين بني فَزَارة وبني عامر وفي ذلك اليوم عُقِرَ قُرْزُل فرسُ عامرِ بن الطُّفَيْل. أنظر نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ ١٥ص٣٦٤. وانظر أيضا: الميداني، أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ طباعة، جـ ٢ص٤٤٠

٣) هو عامر بن الطفيل بن مالك، أحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية. كان من أشهر فرسان العرب بأسا ونجدة أدرك الإسلام لكنه لم يسلم. أنظر: البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، تحقيق: عبد العزيز الميمني، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م جـ ٢ ص ٨١٦

٤) الكامل جـ ١ ص ٣٩٣. وانظر أيضا : ابن عبد ربه، العقد الفريد، جـ ٦ ص ٢٦. والمفصل لتاريخ العرب جـ ٥ ص ٣٦٢

كما يصنع غيرهم، وأنهم لا يمنعونهم من الأكل والشرب لأن ذلك من أقبح ما يوجب الذم، كما أن إطعام الأسير من خير طعامهم ما يوجب الثناء، ويؤكد أنهم جميعا يسلكون هذا النهج الذي أوصاهم بالسير عليه آباؤهم، وما كانوا يخالفون وصاته في حالي عسرهم ويسرهم فقال:

فما نسلب الأسرى كما قد فعلتم ... ولا نمنع الأسرى من الأكل والشرب
ولبس ثياب الميت عار وذلة ... ومنع الأسير الأكل من أقبح السب
بذلك أوصانا أبونا ولم نكن ... لنترك ما وصاه في الخصب والجدب (١).

ولم تكن مفاداة الأسرى عند العرب في الجاهلية على صفة واحدة بل كانت تختلف من حال إلى حال حسب معاملة الأسير، وكان مقدار فداء الأسير عند العرب في الجاهلية يختلف حسب درجة الأسير، فربما بلغ فداء الأسير نحو ألف بعير في بعض الأحيان، وخاصة إذا كان الأسير عظيما في قومه أو ملكا، كما أن الفارس المشهور يفتدى بمأتي بعير، وإن كان غير ذلك قدرت فديته (٢).

وكان الأسير مُلْكًا لآسره إن شاء أفرج عنه وإن شاء عذبه أو قتله، بل إنه كان يحرص عليه للفدية، كما فعل عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي ببسطام بن قيس الذي فدى نفسه بأربعمائة ناقة ثم أطلقه عتيبة وجز ناصيته (٣).

ولربما اشترك أكثر من واحد في أسير واقتسموا فداء الأسير بينهم، كما فعلوا بأسيرهم " خزيمة بن طارق " من بني تغلب وقد فدى نفسه بمئتي بعير وفرس وزعت على من أسره (٤).

---

١) البصري، صدر الدين علي بن الحسن، الحماسة البصرية، تحقيق: مختار الدين أحمد، بيروت، عالم الكتب الطبعة ١٤٠٣/١٩٨٣م جـ ١ص٦٠. وانظر أيضا الدينوري، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد، المجالسة وجواهر العلم، دار ابن حزم، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى،١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م جـ ١ ص ٥٨٧

٢) محمد الجويوي، السجن وموجباته في الشريعة الإسلامية، جـ١ ص١٩٣.

٣) الحموي، معجم البلدان،جـ٤ ص ١٨٧.

٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، جـ ٦٤٩. وانظر أيضا: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ١٥ص ٣٨٣.

ومن ذلك أيضا ما حصل " يوم الغبيط " ([1]) الذي كان نتيجة لغزو بسطام بن قيس الشيباني ([2]) وبني ثعلبة بني يربوع ومن جاورهم من القبائل، وفي أثناء الكر والفر لحق عتيبة بن الحارث بسطاما وقال له: استأسر يا أبا الصهباء فأنا خير لك من الفلاة والعطش، فاستأسر له بسطام بن قيس، وكانت أمه ذات متاع ففدته بأربعمائة بعير، وقيل بألف بعير وثلاثين فرسا ([3]).

وهذا الفداء بلا شك يعد غنيمة عظيمة في نظر العرب في الجاهلية، لأن ذلك مما يزيدهم تجبرا وشراسة ويدفعهم إلى الغزو، وهكذا كان الفداء في أحيان متفرقة عند عرب الجاهلية بمثابة البيع والشراء، وكان الأسير يطلق ثم يعود إلى الغزو فيؤسر ويفدي نفسه ثانيا وكان الأسر والفداء يتم كما يتم بالبيع والشراء.

وكان للعرب في الجاهلية نوع من المعايرة فيما بينهم من القبائل، وهو تحقير الأسير والتشفي منه والحط من منزلته عند العرب من قبل الآسرين، كأن يطلب في فداء كبير القوم ورئيسهم بدابة خسيسة ليس مما يفدى بها مثله، كأن الأسير لا يساوي أكثر منها، أسرت مزينة ثابت بن المنذر والد الصحابي الشاعر حسان في الجاهلية فأراد أهله أن يفادوه، فقالت مزينة: لا نفاديه إلا بتيسٍ أجم ([4]) فقالوا والله لا نرضى أن يفتدى شاعرنا ولساننا بتيس..

فقال حسان: ويحكم أتغبنون أنفسكم عياناً، إن القوم تيوس، فخذوا من القوم أخاكم وأعطوهم أخاهم- يعني التيس.

---

[1]) يوم الغبيط من أيام العرب وهو اليوم الذي ظفرت بنو يربوع ببني شيبان . أنظر ياقوت الحموي، معجم البلدان،جـ ١ ص ٣٧٦.

٢) هو بسطام بن قيس بن مسعود الشيبانيّ، أبو الصهباء: سيد شيبان، ومن أشهر فرسان العرب في الجاهلية. الأعلام للزركلي،جـ ٢ص٥١.

٣) ابن الأثير، الكامل، جـ ١ ص ٤٧٥. وانظر أيضا : أيام في الجاهلية، وفيه أن أم بسطام أتت عتيبة بن الحارث على جملها وحدبها وبثلاثمأة بعير ففدته . ص ١٩٧.

٤) الأجم، الشاة التي لا قرن له، ابن منظور، لسان العرب، جـ ١٢ ص ١٠٨.

فلما رأوا أنه ليس لهم بد من ذلك جاءوا بتيس أسود أجم أخذوه في سوق عكاظ في مجمع من الناس فذبحوه وأطلقوا ثابت بن المنذر (١).

- المن على الأسير.

كان المن على الأسير في الجاهلية مفخرة يدعونها لأنفسهم ولقومهم، وممدحة يضفونها على من يمدحون، ويخلعونها عن أعدائهم إذ هو من أجمل القيم الخلقية والمثل الاجتماعية عند العربي، فقد كان كرام الناس يعدون قتل الأسير اقترافا معيبا ما لم يكن قاتلا أو ذا جريرة كبرى استحق عليها إهدار دمه، بل إن وفاة الأسير في الأسر ربما تحوشيت مخافة المذمة لظن الناس أنه إنما مات مما لقي (٢).

ولقد كان فك العاني من أسمى المكرمات لأن الكرام وذوي القلوب الرحيمة هم الذين يحملون هذه الصفة الكريمة، وتتحرك عواطفهم فتأبى عليهم مروآتهم إلا الوقوف مع الأسرى والمستضعفين في الأرض، وكان من أولئك الكرام عربي عاش في تلك الفترة يدعى " عمارة العبسي"(٣) الذي نذر نفسه لفك الأسرى وحلف بالله لا يسمع صوت أسير بليل إلا فكه ووهب له نفسه " وكان كثير المال واسع الجود، ولذلك سمي "عمارة الوهاب" (٤).

---

[1]) ابن عبيد، محمد بن سلاَّم،ت،٢٣٢هـ، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود شاكر،جدة، دار المدني جـ١ ص٢١٦. وانظر أيضا: ابن حمدون، محمد بن حسن بن محمد بن علي، التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس بكر عباس، بيروت، دار صاري، الطبعة الأولى١٩٩٦م جـ ٧ ص ٢٥٧

[2]) أحمد مختار البرزة، الأسر والسجن في الشعر العربي ص ٢٣وما بعدها.

[3]) هو عمارة بن زياد بن سفيان بن عبد الله ابن ناشب العبسي: من رؤساء القادة في الجاهلية. وكان عمارة يلقب بالوهاب، والربيع بالكامل ، وقيس بالجواد ، وأنس بأنس الحفاظ. ويقال لعمارة أيضا " دالق " بمعنى دلق الغارة وشنها على العدو. وقتله شرحاف بن المثلم الضبي . انظر: الزركلي، الأعلام ، جـ ٧ ص ١٥

[4]) أحمد مختار، الأسر والسجن في الشعر العربي .جـ ٧ ص ١٥.

وكان حاتم الطائي إذا أسر أطلق، وكان أقسم بالله لا يقتل واحد أمه، وهو القائل:

أماوي إني رب واحد أمه   أخذت فلا قتل عليه ولا أسر.

وكان بنو تغلب من أشد العرب في الجاهلية حتى قيل " لو أبطأ الإسلام لأكلت بنو تغلب الناس" أغار زعيمها عمرو بن كلثوم التغلبي على بني تميم في البحرين ثم مال إلى حي من بني قيس بن ثعلبة فأصاب مالا وأسارى وسبايا، حتى إذا انتهى إلى بني حنيفة في اليمامة، خرج إليه بنو سحيم وعليهم يزيد بن عمرو بن شمر وكان شديدا جسيما فحمل على عمرو فطعنه، فصرعه عن فرسه، وأسره وشده بالقيد ثم قال: أنت الذي تقول.

متى نعقد قرينتنا بحبل   تجذ الحبل أو تقص القرينا.

أما إني سأقرنك إلى ناقتي هذه فأطرد كما جميعا " فعز على عمرو أن يحقر ويهان، فصاح قائلا: " يا لربيعة ؟ أَمُثْلَةٌ؟!" (١).

فاجتمع قومه بني يزيد فنهوه ولم يكن يريد ذلك إنما أراد تبكيته فسار به حتى أتى قصرا بحجر (٢) من قصورهم وضرب عليه قبة، ونحر له وكساه ثم سقاه الخمر.

فلما أخذ برأسه أنشأ يمدحه بأبيات قال فيها:

جزى الله الأغر يزيد خيرا   ولقاه المسرة والجمالا (٣).

وهكذا يظهر لنا الكرم عند عرب الجاهلية في السلم والحرب وكان فك الأسرى من ممارسات الأجواد النبلاء، وقد عرف عن صعصة بن ناجية الدارمي (٤)

---

١) المثلة: هو التنكيل والتشنيع بالقتلى. وقوله: يا لربيعة، وهي القبيلة الجامعة التي ينتسب إليها بنو تغلب لأن قبائل البحرين وما يليها أكثرهم من ربيعة بن نزار، فهو يستغيث بأنسابه وأعدائه في وقت واحد.

٢) حجر. هو موضع باليمامة وهو الموضع الذي تحتله مدينة الرياض حاليا، عبد الله بن خميس، المجاز بين اليمامة والحجاز، موسوعة تهامة، ١٤٠٢هـ ، ص ٢٤.

٣) بطرس البستاني،أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار الكشوف، ودار الثقافة، لبنان، الطبعة العاشرة،١٩٩٨م، ص ١٥٥ وما بعدها.

٤) هو صعصة بن نَاجِية بن عقال بن مُحَمَّد بن سُفْيَان بن مجاشع أنظر ترجمة الفرزدق في طبقات فحول الشعراء جـ ٢ص ٢٩٨.

جدُّ الفرزدق مثلا، حيث عد من أجواد العرب، وكان يشتري البنات اللآتي سَيُئودنَ (١)كما عرف عنه المبادرة إلى فك الأسرى، وقد افتخر الفرزدق بهذا الضرب من العمل الإنساني الخيِّر به فقال:

أنا ابن عقال وابن ليلى وغالب وفكاك أغلال الأسير المكفر (٢).

وقوله:

غلام أبو المستجار بقبره وصعصة الفكاك من كان عانيا (٣) وحدث أن غزا عمرو بن المنذر اليمامة، ولما رجع منها مرَّ بطيئ، فأصاب نسوة وأزواجا بعد أن عاقدهم على عدم الغزو والنزاع، فتناوله الشعراء لغدره بطي بعد المعاهدة فقال قائلهم:

غدرت بأمر كنت أنت دعوتنا إليه وبئس الشيمة الغدر (٤).

فبلغ ذلك عمراً فغزى طيئا وأسر من بني عدي سبعين رجلا وفيهم قيس بن جحدر خال حاتم الطائي، فسار حاتم إلى عمرو بن هند وطلبهم منه فوهبهم له إلا قيس بن جحدر فقال حاتم في ذلك!

فككت عديا كلها من أسارها فأنعم وشفعني بقيس بن جحدر
أبو أبي والأمهات أمهاتنا فأنعم فدتك اليوم نفسي ومعشري.

---

١) من الوأد: مصدر وأد الرجل ابنته، إذا دفنها وهي حية، وهي موؤدة. القزويني، أحمد بن فارس بن زكرياء، ٣٩٥هـ، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية،١٤٠٦هـ ،١٩٨٦م جـ١ص٩١٣.

٢) إيلياء الحاوي، شرح ديوان الفرزدق، دار الكتب اللبناني، الطبعة الأولى١٩٨٣م جـ ١ص٦١٠. وفكاك الأغلال : هو ناجية بن عقال. والمكفر: الموثق. المعجم الوسيط، جـ٢ ص٧٩٢.

٣) إيليا الحاوي، شرح ديوان الفرزدق، جـ ٢ص٦٤٠. ابن عبيد، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء جـ ١ ص ١٨٢. والعاني : الأسير. ابن منظور، لسان العرب، جـ ١٥، ص ١٠١.

٤) التبريزي، يحي بن علي، ت ٥٠٢هـ ، شرح ديوان الحماسة، بيروت، دار القلم، جـ ٢ ص ١٩٨. وانظر أيضا: البغدادي، خزانة الأدب، جـ ٦ص ٤٧٥، والبيت لعارق: واسمه قيس بن جروة بن سيف بن وائلة بن عمرو أحد بني طيء. وهو شاعر جاهلي وإنما سمي عارقا لقوله من قصيدة " لئن لم نغير بعض ما قد صنعتم لأنتحين للعظم ذو أنا عارقه. انظر المصدر المذكور.

فقال عمرو بن هند: هو لك يا حاتم وأطلقهم جميعا." (١).

وما سبق ذكره كله يدل على أن الفضائل لم تمت في المجتمع الجاهلي، بل بقيت ولا زالت شامخة وذلك في مواقف كثيرة ذكرت بعضا منها.

هذه نبذة المختصرة عن بعض ما أوردته المصادر عن معاملة الأسرى وأساليب البطش الوحشي والقمع الشديد لدى الأمم القديمة من الإغريق والرومان والعبرانيين الذين كانوا ينزلون عقوبة الحرق والقتل والتمثيل والإبادة الجماعية بأسراهم في الحروب، ثم المحت إلى اختلاف معاملة العرب لأسراهم في العصر الجاهلي بين القسوة والأخذ بالعفو والصفح ومكارم الأخلاق

مشيرا خلال ذلك إلى بعض المواقع التي نجم عنها أسرى والتصرفات التي عوملوا بها بعد أسرهم، فكثيرا ما كان يعانون من معاملة غيرحسنة، وإن لم تبلغ مبلغ معاملة الأسرى لدى الأمم الماضية، كما ظهرت لنا نماذج طيبة من معاملة لأسرى لدى العرب في جاهليتهم تحمل كل معاني الكرم والجود والإنسانية من المن، والفداء.

هذه المقارنة بين معاملة الأسير في الأمم الماضية وعرب الجاهلية نعرف كيف ساهم الإسلام في الحفاظ على حقوق الإنسان ورعايته وحمايته، وكانت هذه الرعاية والحماية مستمدة على أساسين هما: كتاب الله- عز وجل- وسنة رسولهﷺ وكان الهدف منها القضاء على العادات والتقاليد الهمجية ومحاربة الأهواء والرغبات الشخصية والقبلية، وجمع الناس تحت سقف واحد تحت قول المولى- تبارك وتعالى

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات: ١٣.

(١) الأصفهاني، الأغاني، جـ ٢٢ ص ١٩٢. أيام العرب في الجاهلية، ص ١٠٠ وما بعدها

ولهذا جاء الإسلام ليخرج العالم من الظلمات إلى نور الهداية. قال تعالى﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ﴾ إبراهيم : ١

وقد وقف المشركون من أهل مكة وما جاورها من الإسلام موقف إنكار وعناد، حيث أخذوا يعذبون من دخل في الإسلام، ويفتنونهم عن دينهم حتى هلك بعضهم تحت التعذيب. وسوف نعرض صورا من مواقفهم نحو أسرى المسلمين في المباحث الآتية.



الفصل الأول: الأسرى المسلمون في عصر النبوة.

وفيه مبحثان.

المبحث الأول: الأسرى المسلمون عند قريش.

المبحث الثاني: الأسرى المسلمون في حوادث متفرقة.




جامعة أم القرى
UMM AL-QURA UNIVERSITY

المبحث الأول: الأسرى المسلمون عند قريش.

ويشتمل على ستة مطالب.

المطلب الأول: قريش تأسر سعد بن عبادة.

المطلب الثاني: هجرة أبي سلمة ، ومنع زوجه "أم سلمة" من السفر معه.

المطلب الثالث: هشام بن العاص، وعياش بن أبي ربيعة يؤسران.

المطلب الرابع: صهيب بن سنان يؤسر ويفتن في دينه وماله.

المطلب الخامس: قريش تضع الجوائز لمن يقتل الرسول أو يأتي به أسيرا.

المطلب السادس: فتية من المسلمين بمكة حبسهم أهاليهم عن الهجرة.

المبحث الأول: الأسرى المسلمون عند قريش

كانت بيعة العقبة الأولى التي وقعت في السنة الحادية عشرة من البعثة النبوية الموافق سنة ٦٢٠م. وفي موسم حج تلك السنة بمثابة اللبنة الأولى والبداية المثمرة للتوجه إلى المدينة ولتأسيس دولة الإسلام، جاء هذا الموسم يحمل الخير كله حيث قدم إلى ستة من أهل يثرب أراد الله بهم الخير والهداية والصلاح، وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة ([1]) وعوف بن الحارث ([2]) ورافع بن مالك ([3]) وقطبة بن عامر([4]) وعقبة بن عامر ([5]) وجابر بن عبد الله بن رئاب رضي الله عنهم ([6]) وغيرهم من بطون الأوس والخزرج، فعرض عليهم الرسول ﷺ دعوته ودعاهم إلى الله ووعظهم وذكرهم بعظمة الله ونفرهم من الأوثان، وعلمهم الخير والعفاف، ومنعهم المنكرات، ونور قلوبهم بآيات من القرآن الكريم.

---

[1]) هو أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، ويكنى أبو أمامة كان نقيبا، ابن سعد، محمد، ت ٢٣٠هـ الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م جـ ٣ص٤٥٦. قال ابن عبد البر: مات في شوال على رأس ستة أشهر من الهجرة، ودفن في البقيع. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، ت٤٦٣هـ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م جـ ١ص٨١.

[2]) هو عوف بن الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك النجاري الأنصاري، شهد بدرا مع أخويه معاذ ومعوذ، وأمهم عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن النجار، شهد العقبتين وهو أحد الستة ليلة العقبة الأولى. ابن سعد، الطبقات الكبرى جـ ٣ ص ٣٤٧.

[3]) هو رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق، أبو مالك له صحبة شهد العقبتين وكان نقيبا، قتلت يوم أحد شهيدا. ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٣ ص٤٤٦.

[4]) هو قطبة بن عامر بن حديدة الأنصاري، يكني أبو زيد، وقال ابن إسحاق: قطبة بن عمرو بن حديدة بن عمرو بن سواد الخزرجي، شهد العقبتين والمشاهد كلها مع رسول الله، توفي في خلافة عثمانب، انظر المصدر السابق، جـ٣ص ٤٣٤، وانظر أيضا ابن عبد البر، الاستيعاب جـ٣ ص ١٢٨٢.

[5]) هو عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، شهد العقبة وبدرا وأحدا، استشهد يوم اليمامة. انظر، ابن سعد الطبقات الكبرى، جـ٣ ص٤٢٨.

[6]) هو جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد، أحد الستة الذين أسلموا من الأنصار وأول من أسلم منهم بمكة، وشهد جابر بدرا، وأحدا، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وروى عن رسول الله ﷺ أحاديث، وتوفي وليس له عقب. ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٣ ص ٤٣١.

كان هؤلاء القوم عبدة أوثان، ومع وثنيتهم فقد كانوا يسمعون من حلفائهم من يهود المدينة أن نبيا من الأنبياء سيبعث في هذا الزمان، ولذلك بادروا إلى الإسلام وصدقوا ما جاء به، ورجعوا إلى المدينة دعاة مخلصين لقومهم، فكانوا أول موكب من مواكب الخير فقد وفَّ كُلٌّ منهم لدينه ورسوله، ولأجلهم أخذ الإسلام يشع رويدا رويدا حتى أضحى دين أهل المدينة فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ (١).

وفي العام التالي وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا، منهم معاذ بن الحارث بن رفاعة ([٢]) وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة رضي الله عنهم ([٣]).

وآخرون ممن شهدوا العقبة وتشرف هؤلاء بالإيمان على يد النبي ﷺ وبايعوه بيعة النساء ([٤]) وبعث الرسول إليهم ﷺ الصحابي الجليل مصعب بن عمير رضي الله عنه ([٥]) ليعلمهم القرآن وكان يسمى في المدينة " بالمقرئ".

[١]) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، القسم الأول، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٣٩٢. وانظر، ابن القيم محمد بن أبي بكر، ت ،٧٥١هـ،زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت مكتبة المنار الإسلامية، الكويت الطبعة السابعة والعشرون١٤١٥هـ/١٩٩٤م جـ ٣ص ٤٥

٢) هو معاذ بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك النجاري، أخو عوف بن الحارث الذي سبق ذكره، ويعرف بابن عفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجاري، وهي أمه، توفي معاذ بن الحارث بعد ما قتل عثمان بن عفان. رضي الله عنه أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٣ص٣٧٣.

[٣]) هو يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم البلوي حليف لبني سالم بن عوف بن الخزرج، ويكنى أبو عبد الرحمن شهد بدرا وأحدا والخندق وما بعد ذلك، مات بالمدينة سنة أربعين. الاستيعاب، جـ ٤ ص ١٥٧٢. وانظر أيضا. ابن أبي نصر، علي بن هبة الله، ت٤٧٣هـ، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى١٤١١هـ جـ ٢ص ٤٤٤.

[٤]) سميت ببيعة النساء لأنه لم يذكر فيها الجهاد. أنظر خريطة العقبة رقم (٤).

[٥]) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة، ويكنى أبو عبد الله أول من جمع الجمعة بالمدينة قبل الهجرة، استشهد يوم أحد، قتله ابن قمئة الليثي وهو يومئذ ابن أربعين سنة أنظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ،جـ ٤ ص ١٤٧٣.

ونجح مصعب في دعوته نجاحا باهرا فقد أسلم على يديه رجلان من زعماء أهل المدينة هما: سعد بن معاذ ([١])

وأسيد بن حضير ([٢]) فكان في إسلامهما خير عظيم وتابع مهمته حتى اتسعت دائرة العمل الدعوي وبدأت الثمار قريبة القطاف وانصرف أرباب البيعة الأولى وهم على موعد مع رسول الله في المكان ذاته وفي الموسم التالي ليعودوا إليه بعدد أوفر من المسلمين وليجددوا العهد والمبايعة، وفي العام الثالث عشر من البعثة وافى الموسم ثلاث وسبعون رجلا وامرأتان هما نسيبة بنت كعب ([٣]) وأسماء بنت عمرو([٤])

وقد أبدى الجميع رغبتهم في أن يقدم إليهم النبيﷺحتى ينتفعوا به، وخرج حجاج الأنصار من المسلمين مع حجاج قومهم من المشركين حتى وافوا العقبة في أوسط أيام التشريق، فلما كان ليلة الميعاد باتوا مع قومهم حتى مضى ثلث الليل.



---

١) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد، الأشهل. ويكنى أبا عمرو، وأمه كبشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن الأبجر، أسلم بدعوة مصعب بن عمير، وهو صاحب الحكم على بني قريظة، رمي بسهم في غزوة الأحزاب فأصاب أكحله فمات على أثر جرحه، قال رسول الله ﷺ لقد نزل سبعون ألف ملك شهدوا جنازة سعد أو سرير سعد ما وطئوا الأرض قبل اليوم. ابن سعد، الطبقات، جـ ٣ص٣٢٠.وما بعدها

٢) هو أسيد بن حضير بن سماك بن عتِيك بن رَافع بن امْرِئ الْقَيْس بن زيد بن عَبْد الْأَشهَل، وكنيته أَبُو يحيى وَقيل أَبُو عتِيك وَيُقَال أَبُو حُصَيْن من الْأَنصَار مات فِي خلَافَة عمر سنة عشرين وَكَانَ نَقِيبًا قد شهد الْعقبَة وَصلى علَيه عمر بن الْخطاب ﷺعَنه وَدفن بِالبَقِيعِ. ابن عبد البر، الاستيعاب جـ ١ص٩٢، وما بعدها.

٣) هي نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف النجارية، أم حبيب وعبد الله ابني زيد بن عاصم، قال ابن إسحاق: شهدت بيعة العقبة الثانية مع زوجها وابنيها، وشهدت بيعة الرضوان مع ابنها عبد الله، وقاتلت باليمامة، توفيت سنة ١٣هـ، في خلافة الفاروق ﷺ.ابن عبد البر، الاستيعاب، جـ ٤ ص ١٩٤٨.

٤) هي أسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن كعب بن سلمة، أم منيع الأنصارية من المبايعات بيعة العقبة.الاستيعاب، جـ ٤ ص ١٧٨٤.وانظر أيضا: ابن حبان، الثقات، جـ٥ ١٦٨.

وخرج القوم من رحالهم مستخفين يتسللون تسلل القطا ([1]) لم يوقظوا نائما ولم ينتظروا غائبا، فلما اجتمعوا بالشعب جاءهم رسول الله ﷺ ومعه العباس وهو يومئذ باق على دين قومه إلا أنه أراد أن يتوثق لابن أخيه، وربما أراد رسول الله في مجيئه معه ليؤمن اللقاء وكان العباس مأمون الجانب يطمئن إليه رسول الله اطمئنان الولد لأبيه ، فتكلم رسول الله ﷺ وتلا عليهم القرآن ووعظ ودعا ورغّب في الإسلام ثم طلب منهم أن ينصروه في نشر الإسلام ويمنعوه مما يمنعون أنفسهم وأزواجهم وأبنائهم ولهم الجنة ؟ ..

فرضي الأنصار بالثمن وقالوا: نعم يا رسول الله؛ فبايعوه على ذلك. فبسط يده ﷺ وكان أول من بايعه البراء بن معرور رضي الله عنه ([2]) فاعترض القوم أبو الهيثم بن التيهان ([3]) رضي الله عنه بخطاب موجه إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: إن بيننا وبين الرجال- يعني اليهود- حبالا وإنا قاطعوها، فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك، وتدعنا "؟. فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: "بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم " ([4]).

[1]) القطا: وَاحِدَة القطا وَهُوَ نوع من اليمام يُؤثر الْحَيَاة فِي الصَّحرَاء ويتخذ أفحوصة فِي الأَرْض ويطير جماعات وَيقطع مسافات شاسعة وبيضه مرقط ، وجمعه قطا وقطوات وقطيات، إبرهيم مصطفى، المعجم الوسيط، جـ٢ ص ٧٤٨.

[2]) هو البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي، وأمه الرباب بنت النعمان بن امرؤ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن الأوس أحد النقباء وأول من تكلم ليلة العقبة منهم مات قبل قدوم النبي ﷺ المدينة بشهر.أنظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ٣ ص ٤٦٤ وما بعدها.

[3]) هو مالك بن التيهان بن مالك بن عتيك بن عمرو من بني عبد الأشهل بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس وهو بدري، مات سنة عشرين في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابن عبد البرالاستيعاب،جـ ٣ ص ١٣٤٨.

[4]) ابن هشام، السقا، القسم الأول، ص ٤٠٢. ينظر أيضا: الكلاعي، سليمان بن موسى، ت ٦٣٤هـ، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ، بيروت ، دار الكتب العلمية، جـ ص ٢٦٦.

لقد أراد الصحابي الجليل في هذا الاعتراض أن يزيد من قوة الميثاق، ويزيد من قيمة البيعة، وأن يزيل القلق في بعض النفوس من مستقبل المدينة، ويغلق أبواب الشيطان على نفوس الأنصار، فرد عليه الرسولﷺ بصدره الرحب وفقهه الواسع بهذه الكلمات، وتبسم نعم التبسم قائلا: " بل الدم بالدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم ".

ثم جعل عليهم اثني عشر نقيبا في تلك الليلة متأسيا بنبي الله عيسى عليه السلام تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، فقال رسول اللهﷺ " أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي" (١).

وهكذا تمت البيعة الخالدة، البيعة التي غيرت من وجه الأرض، ومن يومها والأنصار يعرفون بالأنصار، وأصبح هذا الاسم ملاصقًا لهم، وأصبحوا أنصار الله وأنصار رسوله وأنصار هذا الدين والثمن سلعة الله الغالية وهي الجنة.

ولما تمت الاتفاقية سُمع صراخ الشيطان وهو يجول في مضارب الخيام ومنازل الحجيج قريبا من العقبة قائلا: يا أهل الجباجب ([2]) هل لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم ؟. فقال رسول اللهﷺ" هذا أزب العقبة أسمع عدو الله، أما والله لأفرُغَنَّ لك "([3]).

[1]) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق، مصطفى السقا، القسم الأول،ص٤٠٥ وما بعدها. وينظر أيضا، الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنه مغازي رسول الله .جـ ١ ص ٢٦٧.

٢) قال ابن منظور: هي جمع جبجب، بالضم، وهو المستوى من الأرض ليس بحزن، وهي هاهنا أسماء منازل بمنى سميت به لأن كروش الأضاحي تلقى فيها أيام الحج. لسان العرب، جـ١ ص٢٥٣. وعند الحلبي، يا أهل الأخاشب، إنسان العيون، جـ٢ ص ٢٤.

٣) ابن هشام، القسم الأول، ص٤٠٦.

ولما علمت قريش أن الخبر صحيح خرجت بفرسانها تطلب الأنصار ففاتوهم فلم يدركوا غير سعد بن عبادة فأخذوه وربطوه حتى أدخلوه مكة ([1]).

لم تقف قريش مكتوفة الأيدي إزاء تلك التحولات بل بذلت كل ما في وسعها لتحول دون انتقال هذه الدعوة إلى خارج نطاق مكة فقد كانت تدرك مدى خطورة الموقف منذ بدأ الرسولﷺ يغشى المواسم ويتبع الحجيج في منازلهم، ويغبر قدمه إلى أسواق عكاظ ([2]) ومجنة ([3])

وفي ذي المجاز ([4]) داعيا إلى نبذ الأوثان والاستماع إلى هدي القرآن ويعرض نفسه على القبائل ليؤمنوا به ويتبعوه.

---

١) المصدر السابق القسم، ص ٤٠٨.

٢) عكاظ: اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية، وكانت قبائل العرب تجتمع بعكاظ في كل سنة ويتفاخرون فيها ويحضرها شعراؤهم ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقون، وقال الأصمعي: عكاظ نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال، وبه كانت تقام سوق العرب بموضع منه يقال له الأثيداء، وبه كانت أيام الفجار، وكان هناك صخور يطوفون بها ويحجون إليها، قال الواقدي: عكاظ بين نخلة والطائف وذو المجاز خلف عرفة ومجنة بمر الظهران، وهذه أسواق قريش والعرب ولم يكن فيه أعظم من عكاظ. ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٤ ص١٤٢. قال البلادري :عكاظ من أشهر أسواق العرب، كان يوجد في الجهة الشرقية الشمالية من بلدة الحوية اليوم، وقد خاض الناس اليوم في ذكره وتحديده، وألفت كتيبات كثيرة في موضوعه، ويمكن تحديده بأنه يقع شمال شرقي الطائف على قرابة خمسة وثلاثين كيلا في أسفل وادي شرب. وأسفل وادي العرج عندما يلتقيان هناك، فالأماكن المذكورة في حوادث عكاظ، كالعبلاء وشرب والحريرة وغيرها كلها ما زالت معروفة في ذلك الحيز، معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ ص ٢١٥. انظر صور أطلال عكاظ في الملاحق رقم "٣ " ص ٣٨٩.

٣) مجنة: اسم سوق للعرب كان في الجاهلية، وهو بأسفل مكة على قدر بريد منها، وكانت تقوم عشرة أيام من آخر ذي القعدة والعشرون منه قبلها سوق عكاظ وبعد مجنة سوق ذي المجاز ثمانية أيام من ذي الحجة ثم يعرفون في التاسع إلى عرفة وهو يوم التروية. المصدر السابق، جـ٥ ص ٥٨.وقال البلادري: مَجَنَّة: بفتح الميم والجيم وتشديد النون المفتوحة: وهي سوق للعرب في الجاهلية، كانت تقوم العشر الأواخر من ذي القعدة، والعشرون التي قبلها كانت لسوق عكاظ، وبعد مجنة سوق ذي المجاز ثمانية من ذي الحجة، ثم يُعرّفون. قالوا كانت مجنّة بمرّ الظَّهران قرب جبل يقال له الأصفر، وهو بأسفل مكة على قدر بريد، معالم مكة الأثرية والتأريخية ، ص ٢٤٥

٤) ذي المجاز: المجَاز: شعب يسيل من كبكب غرباً فيدفع في وادي عُرَنة، ويبعد عن حدود الحرم الشرقية ثمانية أكيال، كان من أسواق العرب الشهيرة، وقال المتقدمون: سوق ذي المجاز، كان لهُذَيل وكانت تقوم ثمانية أيام قبل يوم عرفة، وكانت تجلب إليها جميع المجلوبات وكان يأتي بعد ذي مَجَنَّة في الأهمية، وذو مجنة يأتي بعد عكاظ. انظر البلادى، معالم مكة التأريخية والأثرية، ص٢٤٣.

وكان عمه أبو لهب يمشي وراءه ويقول: لا تطيعوه فإنه صابئ كذاب، فيكون جواب القبائل له: إن أسرتك أعلم بك، ثم يردونه أقبح الرد، ومع ذلك كله لم يخامر اليأس قلبه بل استمر مثابرا في جهاد الدعوة حتى جاءه الفرج من الله (١).

ولما ضيَّقَ كفار مكة الخناق على رسول اللهﷺ والمسلمين أذن الله له بالهجرة إلى المدينة فقالﷺ لأصحابه:" إن الله قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها" فخرجوا أرسالا وأقام رسول اللهﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة ([٢]).



١) المصدر السابق، جـ ١ ص ٣٨٦.

٢) الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله، جـ ١ ص ٢٧٢.

المطلب الأول: قريش تأسر سعد بن عبادة ﷺ.

أدركت قريش سعد بن عبادة ﷺ (١) بأذاخر (٢) والمنذر بن عمرو، أخا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وكلاهما من النقباء، فطاردوهما فأما المنذر بن عمرو فكان أشد عدوا فأعجزهم، وأدركت قريش سعدا فأخذوه ثم ربطوا يديه إلى عنقه بنسع (٣) رحله وأقبلوا به يضربونه ويجذبونه بجمته حتى أدخلوه مكة (٤).

لقد أوذي الزعيم الخزرجي المؤمن في الله إيذاءً شديدًا، إنه الزعيم الذي لم يُهَن في حياته قط، حيث قيدوه وضربوه وَجَرُّوه على الأرض، ورسول اللهﷺ والمسلمون في مكة ينظرون إلى أخيهم المؤمن وهو يضرب ولا يستطيعون حراكًا لأنهم لو تحركوا له لأثبتوا حدوث البيعة واللقاء بين رسول اللهﷺووفد يثرب، وإلا لماذا يدافع المسلمون عن رجل من الخزرج ؟..

١) هو سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الخزرجي الأنصاري. أبو ثابت، زعيم الخزرج. أسلم مبكرا، وشهد بيعة العقبة. ابن سعد، الطبقات، جـ ٣ص٤٦٠. وقيل: مَاتَ سعد سنة خمس عشرَة بحوران في بلاد الشام. جلس يَبُول نصف النَّهَار فَوَقع بَوْله فِي جُحر من الأَرْض فَخر مَيتا، فَسمع هَاتِف من الْجِنّ يَقُول:

قتلنَا سيد الخزرج سعد بن عبَادَة رميناه بسهمين فَلم نخط فُؤَاده.

أنظر: ابن ربيعة، محمد بن عبد الله، ت ٣٧٩هـ، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، تحقيق:عبد الله أحمد سليمان الحمد الرياض، دار العاصمة، الطبعة ١٤١٠هـ، جـ ١ص٩٩.

٢) أذاخر: موضع بأعلى مكة دخل منه النبيﷺعام الفتح ولا زال معروفا بهذا الاسم إلى الآن. أنظر الحموي، معجم البلدان، جـ ١ص ١٢٧. قال ابن شراب: وقد وردت هذه الكلمة في كتب السيرة والحديث واختلفوا في تحديده وردت في الأبيات التي رواها البخاري، وتمثل بها بلال بن رباح حين أصابته الحمّى في المدينة، فقال:

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة ... بواد وحولي إذخر وجليل.

والأبيات ليست لبلال، وإنما تمثل بها بلال، وهي لبكر بن غالب بن عامر الجرهمي قالها عندما نفتهم خزاعة عن مكة. أنظر، محمد بن حسن، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، بيروت، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ص ٢٤.

٣) النسع: الشراك الذي يشد به الرحل .ابن منظور، لسان العرب، جـ ١ص ٣٢٤.

٤) البيهقي، أحمد بن الحسين، ت٤٥٨هـ، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، جـ ٢ص٤٥٥. وانظر أيضا: السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله، ت ٥٨١هـ، الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام، تحقيق: عمرعبد السلام السلامي، الطبعة الأولى٢٠٠٠م بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ، جـ ٤ص٨١.

وكان الموقف حرج للغاية، ثم إنه لو عاد الأنصار لنجدة سعد بن عبادةﷺفستكون مهلكة وهم كانوا بالفعل يستعدون للعودة إنقاذًا لأخيهم ونقيبهم وزعيمهم.
وفي هذا الموقف الخطير يخرج جبير بن المطعم بن عدي ([1]) والحارث بن حرب بن أمية ([2]) وهما من المشركين يخرجان فيريان الموقف، فيسرعان إلى سعد بن عبادة ويجيرانه من كفار قريش؛ لأن سعدا كان يجير لهما قوافلهما عند المرور بيثرب (٣).

وهكذا عاد سعد بن عبادةﷺإلى قافلته، ومرت الأحداث بسلام، ووصل الأنصار إلى المدينة وبدأوا يمهدون الوضع هناك لاستقبال خير البرية وسيد البشر، وخاتم المرسلين محمدﷺ وليستعدوا جميعًا لوضع النواة الأولى للعاصمة الأولى في الإسلام " المدينة النبوية ".
لم تبال قريش بإهانة سيد من سادات الخزرج، وبعظيم من عظماء أهل المدينة، والذي كان يحمي تجاراتهم ويمنعها من أيدي الظالمين، أسروه دون حق، وساموه سوء العذاب، ولا غرابة في ذلك فقد كان القوم يتعاملون مع الأحداث، على غير هدى من الله؛ كما كانت العرب تمدح مثل هذه التصرفات، وكانوا إذا اسروا أسيرا قال المادح: أسره في مزاحفة ولم يأسره في سلة (٤).

---

١) المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، من قريش: رئيس بني نوفل في الجاهلية، وقائدهم في حرب الفجار، وهو الّذي أجار رسول اللهﷺ لما انصرف عن أهل الطائف وعاد متوجها إلى مكة. الزركلي، خير الدين، الأعلام، جـ٧ص ٢٥٢.

٢) الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس، أخو أبي سفيان بن حرب، ابن الأثير، علي بن محمد، ت، ٦٣٠هـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م جـ ٦ص١٧٢.

٣) ابن هشام ، ت ، السقا، القسم الأول، ص ٤٠٨ وما بعدها.

٤) الجاحظ، أبي عثمان عمرو، البيان والتبيين، تحقيق، المحامي فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، الطبعة الأولى١٩٨٦م ص ٣٠٧. السلة: العيب في الحوض، أو الخابية. ابن منظور، لسان العرب،جـ١١ص ٣٤٢.

أما في مكة فقد شدد المشركون القبضة على المسلمين، بعد أن عرفوا ما كان من أمر البيعة، وضيقوا على الصحابة وأتعبوهم ونالوا منهم ألوان الشتم والأذى، وأضرموا البلاد عليهم نارا ليحولوا بينهم وبين الهجرة وبين إخوانهم وأنصارهم، واشتد بهم الأمر فشكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم بالهجرة إلى يثرب وقال لهم:

" إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها فبدأ المسلمون يهاجرون إلى المدينة أرسالا(١)".



١) ابن هشام، السيرة النبوية ، السقا، القسم الأول، ص ٤٢٤. وانظر السهيلي، الروض الأنف، جـ ٤ ص ١٠١.

المطلب الثاني: هجرة أبي سلمة ومنع زوجه "أم سلمة" من السفر معه

كانت فتنة المسلمين من أصحاب النبيﷺ في مكة فتنة الإيذاء والتعذيب، فلما أذن لهم الرسولﷺ بالهجرة أصبحت فتنتهم في ترك وطنهم وأموالهم ودورهم وأمتعتهم، لكنهم كانوا أوفياء لدينهم ومخلصين لربهم أمام تلك الفتن، فقابلوا المحن والشدائد بالصبر والثبات.

وعندما أذن الرسولﷺ للمؤمنين بمكة أن يهاجروا إلى المدينة،وبدأ المسلمون يتهيئون لذلك، وقعت قصة عظيمة للسيدة أم سلمةرضي الله عنها تتجسد فيها أسمى معاني التضحية والصبر لله تعالى حيث كان أبو سلمةرضي الله عنه أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب النبيﷺمن بني مخزوم، وذلك قبل بيعة العقبة بسنة بعد أن قدم على رسول اللهﷺ من أرض الحبشة، فلما اشتد إيذاء قريش على المسلمين وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار، عزم على قصد المدينة مهاجرا (١).

وعندما أجمع أبو سلمةرضي الله عنه على الخروج قال له أصهاره. هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتنا هذه؟. علام نتركك تسير بها في البلاد؟. فأخذوا منه زوجته، وغضب آل أبي سلمة لرجلهم فقالوا: لا نترك ابننا معها إذ نزعتموها من صاحبنا، وتجاذبوا الغلام بينهم حتى خلعوا يده وذهبوا به، وانطلق أبو سلمة وحده إلى المدينة ومنعت أم سلمة دون زوجها، ومنعت من اللحاق به، وحيل بينها وبين ولدها، وكانت أم سلمة بعد ذهاب زوجها وضياع ابنها تخرج كل غداة بالأبطح (٢).

---

١) الشامي، محمد يوسف الصالحي، ت،٩٤٢ هـ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد،تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى١٤١٤هـ/١٩٩٣م، جـ ٣ ص ٢٢٤. وانظر أيضا: الأندلسي، سليمان بن موسى الكلاعي، جـ ١ ص ٢٥٣.

٢) الأبطح: جزء من وادي مكة بين المنحنى إلى الحجون، ثم تليه البطحاء إلى المسجد الحرام، وكلاهما من المعلاة، ثم المسفلة: من المسجد الحرام إلى قوز المكاسة "الرمضة" قديما. البلادري، معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ ص ١٣.

تبكى حتى تمسى، ومضى على ذلك نحو سنة، فرق لها أحد ذويها وقال: ألا تُخرجون هذه المسكينة ؟.

فرقتم بينها وبين زوجها وولدها؛ فقالوا لها: الحقي بزوجك إن شئت، فاسترجعت ابنها من عصبته، ومن شدة فرحها ما انتظرت أن يتوفر لها صحبة وخرجت بمفردها تريد المدينة وليس معها أحد من خلق الله، حتى إذا كانت بالتَّنْعِيم لقيها عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ([1]) وبعد أن عرف حالها شيعها حتى أدخلها المدينة، فلما نظر إلى قباء قال: زوجك في هذه القرية فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعًا إلى مكة دون أن ينتظر كلمة شكر أو ثناء من أبي سلمة ([2]).

كانت هجرتها رضي الله عنها من النماذج الحية التي تعكس لنا هذه المعاني السامية حيث كان حب الله ورسوله هما الدافع لأم سلمة رضي الله عنها لتحمل فراق زوجها وولدها الذي خُلعت ذراعه، وقوة الإيمان واليقين في الله ونصره جعلها تسافر مع ولدها الصغير بلا راحلة وسط رمال الصحراء !!. هذه أسرة فُرِّق شملها، وامرأة تبكي شدة مصابها، ومن آلآم الحبس والأسر فقد حبسها قومها وحرموها من طفلها فظلت أسيرة الهم والأحزان قرابة عام. لقد كانت أسرة أبي سلمة رضي الله عنه أسرةً مؤمنةً حقًّا، أسرةً علت فوق الصعاب، وتحملت في سبيل الله أشد ألوان العذاب، فراقًا للوطن، وغربةً وتفريقًا بين الزوج والزوجة والولد، رضي الله عنهم أجمعين.

---

١) هو عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي، وأمه السلامة الصغرى بنت سعد بن الشهيد من الأنصار قال محمد بن سعد: قال محمد بن عمر: توفي بمكة في أول خلافة معاوية بن أبي سفيان، ابن سعد، الطبقات الكبرى،جـ ٥ ص٤٤٨.

٢) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق، السقا، القسم الأول، ص ٤٢٤. وانظر أيضا: الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله ، جـ ٢٧٣.

المطلب الثالث: هشام وعياش بن أبي ربيعة يؤسران.

ومما جاء في هجرة عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة رضي الله عنهما ([١]) ما أرده ابن هشام عن عمر رضي الله عنه أنه قال: اتعدنا لما أردت إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص التناضب ([٢]) من إضاءة بني غفار فوق سرف، وقلنا: أينا لم يصبح عندنا فقد حبس، فليمض صاحباه.

قال : فاصبحت أنا وعياش عندالتناضب، وحبس هشام وفتن فافتتن ([٣]).

وقدم أبو جهل وأخوه الحارث إلى عياش- وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما- بالمدينة، ورسول الله ﷺ بمكة، فكلماه وقالا: إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرق قلبه لأمه وهم بالرجوع ليطمئن عليها.

وكان عمر رضي الله عنه فطنا ومدركا لمكائد الكفار وغدرهم قال عمر: فقلت له يا عياش إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فو الله لو قد آذى أمك القمل لا امتشطت ولو قد اشتد عليها حرّ مكة لا استظلت.

قال:أبرُّ قسم أمي، ولي هناك مال فآخذه، قال عمر: فقلت: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالاً، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما؛ قال: فأبى علي إلا أن يخرج معهما؛.

---

[١]) هو عياش بن أبي ربيعة المخزُومِي: واسم أبي ربيعَة عَمْرو بن الْمُغيرَة بن عبد اللَّه بن عمر بن مَخْزُوم من مهاجرة الْحَبَشَة كنية عَيَّاش أَبُو عَبْد اللَّه قتل بِالشَّام يَوْم اليرموك فِي عهد عمر وَأمه أَسمَاء بنت سَلامَة بن مخربة بن جندل بن تَمِيم. ابن سعد، الطبقات الكبرى،جـ ٤ص٩٦، وانظر الثقات، لابن حبان، جـ ٣ص ٣٠٩.

[٢]) التناضب: قرية من أعمال مكة بأعلى نخلة فيها عين جارية ونخل، الحموي، معجم البلدان جـ ٢ص٤٧.

[٣]) هو هشام بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم وأمه أم حرملة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. وكان قديم الإسلام بمكة، وهاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، ثم قدم مكة حين بلغه مهاجر النبي ﷺ إلى المدينة يريد اللحاق به، فحبسه أبوه وقومه بمكة حتى قدم بعد الخندق على النبي ﷺ المدينة فشهد ما بعد ذلك من المشاهد، وكان أصغر سنا من أخيه عمرو بن العاص وليس له عقب، قال ابن عبد البر: قتل هشام يوم أجنادين في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.الاستيعاب، جـ ٤ص١٥٣٩.وانظر أيضا: ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٤ص١٤٥.

فلما أبى إلا ذلك قلت له: أمَّا إذا فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه، فإنها نجيبه ذلول فالزم ظهرها، فإن رابك من أمر القوم ريب فانج عليها.
فخرج معهما، فلما كانوا ببعض الطريق احتال به أبو جهل فناداه مستعطفا به فقال: يا ابن أخي والله لقد استغلظت بعيري هذا أفلا تعقبني على بعيرك هذا ؟. قال: بلى.. قال: فأناخ، وأناخا ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عَدَا عليه فأوثقاه وربطاه ثم دخلا به مكة فحبساه وفتَّنَاهُ في دينه فافتتن.
قال ابن إسحاق: " فحدثني بعض آل عياش بن أبي ربيعة: أنهما دخلا به مكة نهارا موثقا، ثم قالا: يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسفهائكم، كما فعلنا بسفيهنا هذا" ([1]).
وحبس عياش فترة من الزمن ولم ينج إلا بعد أن أرسل له رسول اللهﷺ أحد الصحابة وهو الوليد بن الوليد بن المغيرة لإنقاذه ([2]).

وكان يدعو في الصلاة لعياش ومن معه ويقول" اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة، وسلمة بن هشام، والوليد بن الوليد، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، وابعث عليهم سنين كسني يوسف " ([3]).
ومن خلال هذه المؤامرة ندرك كيف يبذل دعاة الضلال من وقتهم وجهدهم وأموالهم في سبيل نصرة باطلهم ومحاولة إخماد دعوة الحق، حيث خرج أبو جهل وأخوه من مكة إلى المدينة، وتحملا عناء السفر من أجل محاولة فتنة فرد واحد عن دينه وأسروه وقيدوه، وهكذا قاما بتنفيذ عملية اختطاف أحد المهاجرين، ولقد نجحت هذه المحاولة وتم اختطافه من المدينة وأعيد إلى مكة (٤).

---

١) ابن هشام السيرة النبوية، تحيق، السقا، القسم الأول، ص٤٣٠. السهيلي، الروض الأنف، جـ ٤ ص ١١٣.
٢) السهيلي، الروض الأنف، جـ ٤ص ١١٢.
٣) صحيح البخاري،كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين ، ٦٣٩٣ جـ ٨ ص٨٤.
٤) علي الصلابي، السيرة النبوية ، بيروت، دار المعرفة، الطبعة السابعة، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م ص ٢٥٦.

وكان الصحابةﷺ يقولون: " ما الله بقابل ممن افتتن صرفا ولا عدلا ولا توبة؛ قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم".

فلما قدم رسول اللهﷺ المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ الزمر: ٥٣ – ٥٥.

قال عمر بن الخطابؓ " فكتبتها بيدي في صحيفة، وبعثت بها إلى هشام بن العاص" قال: فقال هشام " فلما أتتني جعلت أقرأها بذي طوى (١) أصّعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها فقلت: اللهم فهمنيها "

قال فألقى الله في قلبي أنها إنما أنزلت فينا، وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا. قال: فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله "(٢).

١) ذي طوى: بضم الطاء المهملة، وواو، مقصور: المعروف اليوم " بئر طوى " بجرول بين القبة وريع أبي لهب، وهي بئر مطوية عليها بناء، يزورها الحجاج المغاربة. عاتق البلادري، معالم مكة التأريخية والأثرية، ص،١٦٩.

٢) ابن هشام، السيرة النبوية ،ت، السقا، القسم الأول، ص ٤٢٩.

المطلب الرابع: صهيب بن سنان يؤسر ويفتن في دينه.

كانت هجرة صهيب رضي الله عنه عملاً تتجلى فيه روعة الإيمان، وعظمة التجرد لله حيث ضحى بكل ما يملك في سبيل الله ورسوله،واللحوق بكتيبة التوحيد والإيمان (١).

ولد صهيب رضي الله عنه في أحضان النعيم.. فقد كان أبوه حاكم الأبلّة جنوب العراق على مقربة من رأس الخليج العربي وواليا عليها لكسرى، وكان من العرب الذين نزحوا إلى العراق قبل الإسلام بعهد طويل، حيث سكنوا في شاطئ الفرات، مما يلي الجزيرة والموصل ([٢]).

وذات يوم تعرضت البلاد لهجوم الروم، وأسر المغيرون أعدادًا كثيرة ومن بينهم الغلام " صهيب بن سنان ([٣])" وانتهي به الأمر إلى تطوافه في مكة، حيث بيع لأحد سادة قريش وهو عبد الله بن جدعان التيمي ([٤]) فأقام معه في مكة بعد أن قضى طفولته وشبابه في بلاد الروم حتى أخذ لسانهم ولهجتهم ([٥]).

[١]) محمد الصلابي، السيرة النبوية، ص ٢٥٩

[٢]) الجزيرة الفراتية: ويمتد عبر شمال شرق سوريا وشمال غرب العراق وجنوب شرق تركيا. وهي الجزء الشمالي من وادي الرافدين. عاتق البلادري، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية،ص٣١٩.

٣) هو صهيب بن سنان بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن منقذ بن العريان بن حي بن زيد مناة بن عامر بن الضحيان بن سعد بن أوس بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط . مات سنة ثمان وثلاثين .ابن سعد، الطبقات، ج٣ص١٦٩، وانظر أيضا: ابن خياط، خليفة، ت ٢٤٠هـ، طبقات خليفة بن خياط، تحقيق : سهيل زكار، دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، سنة النشر، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م، ج ١ص ١١٩.

٤) عبد الله بن جدعان بن عمرو بن سعيد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي المشهور بالكرم في الجاهلية والذي وقع في بيته حلف الفضول. قال صلى الله عليه وسلم لقد شهدت في دار عبد الله ابن جدعان حلفا ماأحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق، السقا، القسم الأول ص ١٤٠.

[٥]) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣ ص ١٧٠.

وقد أعجب سيده بذكائه ونشاطه وإخلاصه فأعتقه وحرره، وهيأ له فرصة الاتجار معه حتى صار من الأغنياء، ولما بعث الرسول ﷺ كان صهيب رضي الله عنه من المؤمنين السابقين إلى دار الأرقم عرف طريقه إلى الهدى والنور، وإلى التضحية الشاقة والفداء العظيم.
كان صهيب بن سنان رضي الله عنه من المستضعفين من المؤمنين الذين كانوا يعذبون في الله بمكة بأشد أنواع العذاب ولم يكن له بمكة قوة ولا ناصر (١).

احتل صهيب الصفوف الأُوَلِ في المستضعفين، وكان يُعذَّب حتى يفقد وعيه ولا يدرى ما يقول، لكنه صبر على كل ذلك ولزم رسول الله ﷺ منذ عرف طريق الهداية.
يقول رضي الله عنه: " لم يشهد رسول الله ﷺ مشهدا قط إلا كنت حاضره، ولم يبايع بيعة قط إلا كنت حاضرها، ولا سيَّر سرية قط إلا كنت حاضرها، ولا غزا غزاة قط، أوّل الزمان وآخره، إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله وما خافوا أمامهم قط إلا كنت أمامهم ولا ما وراءهم إلا كنت وراءهم، وما جعلت رسول الله ﷺ بيني وبين العدو قط حتى توفي رسول ﷺ "(٢).

افتتح أيام نضاله النبيل وولائه الجليل بيوم هجرته، ففي ذلك اليوم تخلى عن كل ثروته وجميع ذهبه الذي أفاءته عليه تجارته الرابحة خلال سنوات كثيرة قضاها في مكة، تخلى عن كل هذه الثروة وهي كل ما يملك حين أصر على اللحاق برسول الله ﷺ وصاحبه بلا تردد ولا نكوص، فعندما همّ الرسول ﷺ بالهجرة، علم صهيب بها، وكان المفروض أن يكون ثالث ثلاثة، هم الرسول ﷺ.. وأبو بكر.. وصهيب رضي الله عنهما .

---

١) ابن سعد بن الطبقات الكبرى، جـ ٣ ص١٧١.

٢) الطبراني، سليمان بن أحمد، ت، ٣٦٠هـ، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، القاهرة مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، جـ ٨ ص٣٧.

لكن قريشا شعرت بعزمه على الهجرة وكانت له بالمرصاد، فحبسته وصدته عن غايته، وأقامت عليه الحراسة والرقابة حتى لا يفلت من أيديهم، ويحمل ما درته عليه التجارة من أموال، وظل صهيب بعد هجرة النبيﷺ وصاحبه يتحين الفرص للحاق بهما فلم يفلح إذ كانت أعين الرقباء ساهرة عليه متيقظة له، فلم يجد سبيلا غير اللجوء إلى الحيلة، وفي ذات ليلة باردة أكثر صهيب من الخروج إلى الخلاء كأنه يقضي الحاجة، فكان لا يرجع من قضاء حاجته حتى يعود إليها.

فقال بعض رقبائه لبعضهم: شغله الله عنكم ببطنه، ولم يكن شاكيا، فلما آوو إلى مضاجعهم وأسلموا عيونهم للكرى، تسلل صهيب من بينهم ويَمَّمَ وجهه شطر المدينة، يريد أن يلحق برسول الله وصاحبه، ولم يمض غير قليل على رحيله حتى فطن رقباؤه، فهبوا من نومهم مذعورين وامتطوا خيولهم السوابق خلفه حتى أدركوه (١).

ولم يكد الصحابي صهيبؓ يراهم ويواجههم من قريب حتى صاح فيهم قائلا: " يا معشر قريش: لقد علمتم أني من أرماكم رجلا؛ والله لا تصلون إلي حتى أَرْمِي كل سهم معي في كنانتي ثم أضربكم بسيفي حتى لا يبقى في يدي منه شيء؛. فأقدموا إن شئتم!!.

فقالوا له:" أتيتنا صعلوكا فقيرا، فكثر مالك عندنا، وبلغت بيننا ما بلغت؛ والآن تنطلق بنفسك وبمالك..؟؟ والله لن يكون هذا أبدا".. فقال لهم صهيب:" أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟. قالوا نعم." فدلهم على المكان الذي خبأ فيه ثروته فتركوه وشأنه، وقفلوا إلى مكة راجعين ([2]).

[1]) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، ت، ٧٧٤هـ، جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سَنَن، ح ٥٣٦٦، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله الدهيش، بيروت، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م جـ ٤ص ٣٢٦. وانظر : البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، جـ ٢ص ٥٢٢.

[2]) ابن هشام، تحقيق: السقا، القسم الأول، ص ٤٣٢.وانظر ابن كثير، إسماعيل بن عمر، ت٧٧٤هـ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ص ٢٢٤.

والعجب أنهم صدقوا قوله في غير شك، وفي غير حذر، فلم يسألوه عن بيّنة، بل ولم يستحلفوه على صدقه.!! وهذا موقف يضفي على صهيب كثيرا من العظمة يستحقها كونه صادق وأمين.!!

واستأنف صهيب هجرته وحيدا سعيدا، تاركا أمواله وتجارته إلى المدينة ليبدأ حياة جديدة هناك، وأخذ سبيله حتى أدرك الرسولﷺ في قباء ([1]).

إن صهيبا لم يفعل ما فعل إلا ابتغاء مرضات الله وقد اهتدى لفعله هذا إلى لب الحقيقة فلم يعد يطمع إلى مال ولا سلطان ولا جاه،لأنه ذاق حلاوة الإيمان والأنس بالله والفكر في جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسماه.

واهتدى إلى قولهﷺ " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار "([2]).

ولما كان رسول اللهﷺ هو باعث كل اللذات الروحية في نفوس من أشرقت قلوبهم بالإيمان، فإن صهيبا لوَى عُنق راحلته ليلحق بحبيبه رسول اللهﷺ ليكون بالقرب من منهل الخير والسعادة الأبدية ومكارم الأخلاق.

كان الرسولﷺ جالسا وحوله بعض أصحابه حين أهل عليهم صهيب ولم يكد يراه الرسول حتى ناداه متهللا : " ربح البيع أبا يحيى..!! ربح البيع أبا يحيى..!! (٣).

---

[1]) عبد الرحمن رأفت الباشا، صور من حياة الصحابة،بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩/٢٠٠٨م ص٢٠٣.وما بعدها.

[2]) البخاري، محمد بن إسماعيل، ت ٢٥٦هـ ، صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر، تحقيق: محمد زهير بن الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، تحقيق: محمد زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ. جـ ١ص١٢.وانظر أيضا : النيسابوري، مسلم بن الحجاج ت٢٦١هـ ، المسند الصحيح ،جـ ١ ص ٦٦.

٣) ابن هشام السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، القسم الأول، ص ٤٣١ ومابعدها. الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد،ت،٢٠٧هـ، المغازي، تحقيق : مارسدن جونس، عالم الكتب بيروت جـ ١ ص ٢٣. ابن حنبل أحمد بن محمد، ت ٢٤١هـ ، فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله محمد عباس، بيروت، مؤسسة الرسالة الطبعة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م جـ ٢ ص ٨٢٨. القرطبي، تفسير القرطبي، جـ ٢ ص ٧٢٧ وما بعدها.

وآنئذ نزلت الآية الكريمة: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧ ﴾ البقرة: ٢٠٧.

أجل لقد اشترى صهيب رضي الله عنه نفسه المؤمنة ابتغاء مرضات الله بكل ثروته التي جمعها في شبابه، ولم يحس قط أنه المغبون وهكذا الإيمان إذا خالط اللحم والدم، فالمال قوام الحياة وزينة الحياة الدنيا، وإذا خُيِّرَ الإنسان بين المال والفكرة، فقليل هم أولئك الذين يقدمون الفكرة على المادة.



المطلب الخامس: قريش تضع الجوائز لمن يقتل الرسول أو يأتي به أسيرا.

أقفرت مكة من أهلها المسلمون ولم يبق إلا الرسولﷺ وأبو بكر وعلي، ومن حبس ومنع من الخروج وافتتن، وعلمت قريش أن رسول اللهﷺ سوف يهاجر إلى المدينة، فاجتمعت في دار الندوة وتعاقدوا على قتل النبيﷺ وبعد هذا الاجتماع الخطير أرسل الله تبارك وتعالى جبريل عليه السلام ليأمر نبيهﷺ بالهجرة، فخرج رسول اللهﷺ تاركا مكة في جو من الهم والحزن .

فأوحي الله إليه هذا الدعاء الجميل﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ الإسراء: ٨٠

قال الطبري:" كان رسول اللهﷺ بمكة وأمر بالهجرة وأنزل عليه هذه الآية" (١) وجدَّت قريش في طلبه، ولما آيست من العثور على رسول الله وصاحبه،أعلنت في أنديتها جوائز عظيمة وجعلوا لمن يأتي بهما أو بأحدهما مائة ناقة لكل منهما وأرسلوا الطلب في كل جهة، وانتشر هذا الخبر عند قبائل الأعراب في ضواحي مكة وخرجت قريش بفرسانها وسلاحها يقطعون الفيافي والقفار ويطلعون في ثنايا الجبال طمعا في الحصول على الجائزة التي وضعتها قريش حتى وصلوا على فوهة الغار فأحاطوا به كإحاطة السوار بالمعصم ولكن الله - سبحانه وتعالى - رد كيدهم وأوهن قوتهم.

---

(١) الطبري، محمد بن جرير،ت،٣١٠ هـ، تفسير الطبري/جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ /٢٠٠١ م ، جـ ١٥ص ٥٤.

قال تعالى﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ الأنفال: ١٨ – ١٩.

كان من بين هؤلاء الشباب الذين خرجوا طمعا في الحصول على الجائزة التي أعدتها قريش، سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، الذي أجهد نفسه لينال ذلك.

فقد كان جماعة من بني مدلج في مجلس لهم، وبينهم سراقة بن جعشم، إذ أقبل رجل منهم فقال: " إني قد رأيت آنفا أسودة بالساحل وما أظنها إلا صاحب قريش".

فعرف سراقة أنهم هم - لكنه أراد أن يثني عزم غيره عن الطلب ليكون الظفر له- فقال: " إنهم ليسوا هم بل إنك رأيت فلانا وفلانا وقد انطلقوا بين أعيننا في طلب حاجة لهم ".

وتظاهر سراقة بعدم الاهتمام، ثم ما لبث برهة أن انطلق خلف الرسولﷺ وصاحبه حتى اقترب منهما، وكان أبو بكر يكثر الالتفات حذرا على الرسولﷺ ولما دنا منهما ساخت يدا فرسه في الأرض حتى بلغتا الركبتين وتبعهما دخان كالإعصار فعرف حين رأى ذلك أن رسول اللهﷺ قد عُصِمَ منه وأن أمره سيظهر(١).

قال سبحانه و تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴿٦٧﴾ ﴾ المائدة: ٦٧.

[1]) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبيﷺ وأصحابه إلى المدينة، ٣٩٠٦ جـ ٥ ص٦٠. وانظر أيضا: البيهقي، دلائل النبوة، جـ ٢ص ٤٨٦. ابن كثير، السيرة النبوية، جـ ٢ص ٢٤٧.

والمراد من العصمة هنا - والله أعلم- أن لا تطول إليه يدٌ تتمكّن من اغتياله وقتله، لِتُغتال فيه الدعوة الإسلاميّة التي بُعِثَ لتبليغها، وإلاّ فمن حيث تعرّضه للأذى، فإنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أشدّ الناس ابتلاء ([1]).

فناداه بالأمان وقص عليهما ما كان من أمر قريش، ورجع سراقة بن مالك بعد أن أمر رسول اللهﷺ عامر بن فهيرة ([2]) فكتب له كتاب أمان على أديم ([3])

وفي طريق عودته وجد الناس في الطلب، فجعل يقول لهم قد استبرأت لكم الخبر قد كفيتكم ما هاهنا، وهكذا انطلق إليهما في الصباح جاهدا في قتلهما، وعاد في المساء يحرسهما ويصرف الناس عنهما (٤).

هكذا اتفق زعماء قريش في دار الندوة على مشورة جديدة، وهي الانتقال من مرحلة الإيذاء إلى مرحلة الإفناء، وعلى ارتكاب أكبر جريمة في تاريخ الجنس البشري، ولكن الله سبحانه وتعالى حمى نبيهﷺ ورد كيدهم إلى نحورهم وهذه سنة الله في أوليائه على أعدائه.

وقد حكى الله تعالى لنبيه عاقبة الأمم الماضية عندما كذبوا أنبياءهم وهموا بالبطش عليهم فقال: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ ﴾ غافر: ٥.

---

١) البغوي، الحسين بن مسعود، ت، ٥١٠هـ ، معالم التنزيل " تفسير البغوي " تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، جـ ٢ ص٦٩ وما بعدها.

٢) هو عامر بن فهيرة، مولى أبي بكر الصديق، أبو عمرو، كان مولدا من من مولدي الأزد، أسود اللون، مملوكا للطفيل بن عبد الله بن سخبرة، فأسلم، وهو مملوك، فاشتراه أبو بكر من الطفيل، فأعتقه، وأسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺدار الأرقم، قتل يوم بئر معونة، وهو ابن أربعين سنة، قتله عامر بن الطفيل، ابن عبد البر، الاستيعاب، جـ٢ ص٧٩٦.

٣) الأديم: الجلد المدبوغ دبغت الأديم أدبغه ،وأدبغه، دبغا، ابن فارس، مجمل اللغة، جـ١ ص٣٤٥.

٤) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، جـ ٣ص ٥٠.

ذلك أنهم لم يكتفوا بالتكذيب لأنبيائهم، بل إن كل أمة منهم قد مكرت بنبيها، وأرادت به السوء، وحاولت أن تتمكن منه بالأسر أو بالقتل، وجادلته بالجدال الباطل، لتزيل به الحق الذي جاء به من عند ربه وتبطله.

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴾ ليقتلوه ويهلكوه، وقيل ليأسروه والعرب تسمى الأسير أخيذًا.
وقال قتادة: ليحبسوه ويعذبوه ويقال للأسير أخيذ ([1]).

وهكذا هموا به ليقتلوه أو يأسروه فلم يتمكنوا، بل حفظه الله وحماه. قال تعالى:
﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنفال: ٣٠



[1]) البغوي، معالم التنزيل، جـ ٤ص ١٠٥.

المطلب السادس: فتية من المسلمين بمكة حبسهم أهاليهم من الهجرة.

كان من بين قتلى المشركين ببدر خمسة من الفتية أسلموا ورسول الله ﷺ بمكة، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة حبسهم آباؤهم وعشائرهم بمكة وفتنوهم فافتتنوا ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا وهؤلاء الفتية هم.

- الحارث بن زمعة بن عبد المطلب.
- أبو قيس بن الفاكهة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.
- أبو قيس بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم.
- علي بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح.
- العاص بن منبه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم.

فأنزل الله فيهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ النساء: ٩٧ (١) .

روى الإمام الطبري عن عكرمة قال: لما خرج المشركون من قريش وأتباعهم لمنع أبي سفيان بن حرب وعير قريش من رسول الله وأصحابه، وأن يطلبوا ما نيل منهم يوم نخلة، خرجوا معهم بشبان كارهين كانوا قد أسلموا واجتمعوا ببدر على غير موعد، فقتلوا ببدر كفارا، ورجعوا عن الإسلام، وهم هؤلاء الذين سميناهم.

وقال مجاهد: نزلت هذه الآية فيمن قتل يوم بدر من الضعفاء من كفار قريش.

قال ابن جريج: وقال عكرمة: لما نزل القرآن في هؤلاء النفر(٢).

---

١) ابن هشام، السيرة النبوية، االقسم الأول، ص ٥٦٦، وانظر أيضا: السهيلي، الروض الأنف، جـ ٥ص١١١.

٢) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، جـ٧ص٣٨٣. وانظر أيضا: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١هـ، بيروت، دار الفكر، جـ١ص ٥٨٤.

وذكر العيني في العمدة عن الواحدي قال: نزلت هذه الآية في ناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا، وأظهروا الإيمان وأسروا النفاق، فلما كان يوم بدر خرجوا مع المشركين إلى حرب المسلمين فقتلوا فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم.

وقال مقاتل: كانوا نفرا أسلموا بمكة منهم: الوليد بن المغيرة، وقيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والوليد بن عتبة بن ربيعة، وعمرو بن أمية بن سفيان بن أمية بن عبد شمس، والعلاء بن أمية بن خلف، ثم إنهم أقاموا عن الهجرة وخرجوا مع المشركين إلى بدر ([1]).



---

١) بدر الدين محمود بن أحمد، ت، ٨٥٥هـ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ طباعة. كتاب تفسير القرآن، باب إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم. جـ١٨ص١٨٧

المبحث الثاني: الأسرى المسلمون في حوادث متفرقة.

ويشتمل على خمسة مطالب.

المطلب الأول: بنو لحيان تأسر خبيب بن عدي ونفرا معه.

المطلب الثاني: عمرو بن أمية الضمري يؤسر مع شهداء بئر معونة.

المطلب الثالث: أسر أبي بصير وأبو جندل وهروبهما إلى العيص.

المطلب الرابع: باذان يأمر بالقبض على الرسول وبعثه إلى كسرى.

المطلب الخامس: أسرى المسلمين لدى بعض الزعامات وفيه.

- الحارث بن عمير الأزدي.　　　- فروة بن عمرو الجذامي.

المطلب الأول: بنو لحيان تأسر خبيب بن عدي ونفرا معه [1].

لم تشف أُحُد غليل غيظ ما لحق قلوب الكفرة في بدر من الهزيمة، فقد كانت بعض قبائل العرب قد أضمرت الشر في نفسها بعد هزيمة أُحد تريد الثأر من الرسولﷺ بطريقة غير مألوفة، وهو أسلوب الغدر والخيانة، وبدا ذلك واضحا لقبيلة هذيل وعضل التي سعت بجهدها للثأر من المسلمين بإرسال وفد إلى الرسولﷺ يطلبون منه أن يبعث معهم من دعاة الإسلام من يعلمهم الدين، ولكنهم أضمروا وراء ذلك الخديعة والغدر والخيانة.

ففي أواخر السنة الثالثة من الهجرة الموافق سنة ٦٢٤م وبعد غزوة أحد وقعت حادثة عظيمة هزت كيان الدولة الإسلامية الفتية وأحدثت جرحا عميقا في نفوس المسلمين وهي حادثة أصحاب الرجيع ([2]) أولئك النفر الذين غدرت بهم قبيلة عضل والقارة (٣).

فبعد وقعت أُحد تجرأت بعض القبائل العربية على المسلمين حيث قدم على رسول اللهﷺ جماعة من تلك القبيلة إلى المدينة فقالوا يا رسول الله: إن فينا إسلاما؛ فابعث لنا نفرا من أصحابك يفقهوننا ويقرؤوننا القرآن ويعلموننا شرائع الدين.

---

[1]) هم بنو هذيل بن مدركة؛ وبنو مخزوم بن صاهلة، وعضل والقارة من بطون لحيان، البلاذري، أنساب الأشراف، جـ١ ص ٣٤٨. انظر خريطة غزوة أحد قم ١٥ " أ " ١٦" ب"

[2]) الرجيع . ماء لهذيل شمال مكة يبعد عنها بـ ٧٠ كلم. ياقوت الحموي معجم البلدان، جـ ٣ ص ٢٩. عاتق البلادي معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة، الطبعة ١٤٠٢هـ ص ١٣٨. أنظر خريطة الرجيع رقم "١٧".

[3]) الوكيل، محمد السيد، تأملات في سيرة الرسول،جدة، دار المجتمع، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ /١٩٨٧م. ص ١٦٠ .١٦١.

فاستجاب رسول اللهﷺ لطلبهم فبعث نفرا من خيرة أصحابه كان منهم.

١ - مرثد بن أبي مرثد الغنويرضي الله عنه ([١]). ٢- خالد بن أبي البكير الليثيرضي الله عنه ([٢]).

٣ - عاصم بن الأقلحرضي الله عنه ([٣]). ٤- خبيب بن عديرضي الله عنه ([٤]).

٥- زيد بن الدثنة بن معاويةرضي الله عنه ([٥]). ٦- عبد الله بن طارقرضي الله عنه ([٦]).

وأمَّر رسول اللهﷺ عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: "بعث النبيﷺعشرة رهط عينا، وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري " ذكره بطوله ولم يُسَمِّ من العشرة إلا ثلاثة ([٧]).

وانطلق الجميع حتى إ ذا كانوا بين عسفان ومكة قريبا من مياه هذيل شعر الدعاة بأن أصحابهم غدروا بهم، واستصرخوا هذيلا عليهم، فلم يرع القوم وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم؛ فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم.

[١]) هو مرثد بن أبي مرثد الغنوي. كان من المهاجرين الأولين، وكان هو وأبوه حليفان لحمزة بن عبد المطلبي. شهد بدرا وأحدا وقتل يوم الرجيع شهيدا، ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ٣ص٣٥.

[٢]) هو خالد بن أبي البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث الليثي الكناني، شهد بدرا، وقتل يوم الرجيع شهيدا.ابن سعد،الطبقات الكبرى،جـ٣ص٢٩٧، وانظر أيضا، ابن الأثير، أسد الغابة، جـ ٢ ص١١١.

[٣]) عاصم بن ثابت بن قيس. وقيس هو أبو الأقلح بن عصمة بن مالك بن أمة بن ضبيعة. وأمه الشموس بنت أبي عامر بن صيفي بن النعمان، يكنى أبو سليمان الأنصاري، شهد بدرا وأحدا مع الرسولﷺ، ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٣ص ٣٥٢.

[٤]) هو خبيب بن عدي الأنصاري، من بني جحجبي بن عوف بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري شهد بدرا مع الرسولﷺ. ابن عبد البر، الاستيعاب، جـ ٢ ص٤٤٠.

٥) هو زيد بن الدثنة بن معاوية بن عبيد بن عامر بن بياضة الأنصاري، شهد بدرا وأحدا مع الرسولﷺوأسر يوم الرجيع مع خبيب بن عدي فبيع في مكة من صفوان بن أمية فقتله وذلك في سنة ثلاث من الهجرة. ابن عبد البر، الاستيعاب، جـ ٢ص ٥٥٣.

٦) عبد الله بن طارق بن عمرو بن مالك بن تيم بن شعبة بن سعد الله بن فران بن عمرو بن الحاف بن قضاعة. شهد بدرا، وأحدا، من النفر الذين بعثهم رسول اللهﷺ إِلَى رهط من عضل والقارة، ليفقهوهم، قتل الرجيع وقبره بمر الظهران. ابن سعد، الطبقات الكبرى،جـ٣ص٣٤٧.وانظر أيضا: ابن عبد البر، الاستيعاب، جـ ٣ ص ٩٢٨.

٧) هم عاصم بن ثابت، وزيد بن الدثنة، وخبيب بن عدي، صحيح البخاري، كتاب الجها والسير، باب: هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر، كتاب الجها والسير، ح ٣٠٤٥، جـ٤ص٦٧.

فقالوا لهم: إنا والله ما نريد قتلكم، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم ؛.

فأما مرثد بن أبي مرثد، وخالد بن أبي البكيري، وعاصم بن ثابت فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهدًا ولا عقدًا أبداً؛.

فأنشد عاصم بن ثابت قائلا:

ما علتي وأنا جلد نابل والقوس فيها وتر عنابل
تزل عن صفحاتها المعابل الموت حق والحياة باطل
وكل ما حم الإله نازل بالمرء والمرء إليه آئل
إن لم أقاتل فأمي هابل (١).

ثم قاتلوا القوم حتى قتلوا وأرادت هذيل حين قتل عاصم بن ثابت أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم بدر: لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر، فمنعته الدبرة (٢) فلم يقدروا منه على شيء، وبعث الله الوادي فاحتمل عاصما فذهب به (٣).

رحم الله القلب النقي الطاهر والجسد الشريف فقد آلى على نفسه ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركا في حياته أبدا تنجسا منه فبرَّ الله قسمه في حياته وبعد موته.

قال ابن هشام: ولما بلغ عمر رضي الله عنه نبأ مقتله قال :" يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته، كما حفظه في حياته" (٤).

١) ابن هشام، السيرة النبوية، ت، السقا، القسم الثاني ص ١٤٧.
٢) الدبرة : الزنابير. وهو تصغير النحلة. ابن منظور لسان العرب، جـ ٤ ص ٢٧٥.
٣) ابن هشام، القسم الثاني، ص ١٤٨.
٤) المصدر السابق القسم الأول، ص١٤٨.

وإنما استجاب الله تعالى له في حماية لحمه من المشركين، ولم يمنعهم من قتله لما أراد من إكرامه بالشهادة، ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه ([1]).

واستسلم للأسر منهم ثلاثة نفرهم: خبيب، وزيد بن الدثنة، وعبد الله بن طارق رضي الله عنهم بعد أن أعطاهم القوم العهد والميثاق ونزلوا إليهم فأخذوهم وربطوهم، حتى إذا كانوا في الطريق انتزع عبد الله بن طارق رضي الله عنه يده من الحبل الذي كان قد ربط به.

ثم أخذ سيفه واستأخر عن القوم فأبى أن يصحبهم فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فرموه بالحجارة حتى قتلوه بمر الظهران ([2]).

وأسر الهذليون خبيبا وزيدا وخرجوا بهما إلى مكة، وكان الهذليون يعرفون مدى حقد أهل مكة على أصحاب محمد ﷺ بعد وقعة بدر، ومعنى بيعهم بمكة تسليمهم للقتلة المتربصين؛ فإن أولئك النفر من الرجال قاتلوا مع رسول الله ﷺ في بدر وأحد.

لم يخطر في بال الصحابيين لما استأسرا أن العاقبة ستكون القتل إنما كان أكبر الظن عند الشهيدين أن قريشا ستغالي في طلب الفداء وأن المسلمين بلا شك سيبذلون ما غلا في فدائهما وهذا هو العرف القائم، لكن ما قامت به قريش من القتل الشنيع والتمثيل بهما، جاوزت كل المعايير والقيم الإنسانية.. وكان من الأسباب التي حملت تلك القبائل على الغدر بأصحاب النبي ﷺ هو الانتقام لقتل زعيمها خالد بن سفيان الهذلي ([3]) كما كانت هناك أسباب أخرى وهو السعي بغية الكسب المادي والتقرب من قريش (٤).

١) القسطلاني،أحمد بن محمد بن أبي بكر، ت، ٩٢٣هـ، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية،القاهرة،المكتبة التوفيقية، جـ ١ص ٢٦٥.

٢) مغازي الواقدي، جـ ١ص٣٥٧. ابن هشام، السيرة النبوية، ت، السقا، القسم الثاني، ص ،١٤٨. وانظر أيضا: السهيلي، الروض الأنف، جـ ٦ص ١٢٩.

٣) علم النبي ﷺ أن خالد بن سفيان الهذلي يحشد قوة كبيرة من الأعراب بـ – عرنة – لغزو المدينة المنورة حتى ينال شيئا من غنائمها وخيراتها، فبعث عبد الله بن أنيس ليستطلع له خبر خالد ويتأكد من صحة المعلومات التي سمعها الرسول ﷺ عن نياته العدوانية وقد نجح عبد الله في قتل خالد بن سفيان.أنظر البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، ت، ٤٥٨هـ، سنن البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا . بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ/٢٠٠٣م جـ ٩ ص ٦٥.

٤) صالح أحمد الشامي، من معين السيرة، المكتب الإسلامي، بيروت،الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. ص ٢٨١.

- مقتل زيد بن الدثنة ﷺ.

قدم القوم بالأسيرين إلى مكة وعرضوهما للبيع فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة، فأما صفوان ابن أمية فابتاع زيدا ليقتله بأبيه، وكان شراؤهما في ذي القعدة، فحبسوهما حتى انقضت الأشهر الحرم.

ولما خرجوا بزيد من الحرم، اجتمع حوله رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال أبو سفيان لزيد حين قُدِّمَ لِيُقتَل: أنشدك الله يا زيدا؛ أتحب أن محمدًا الآن عندنا مكانك يضرب عنقه، وأنك في أهلك ؟.

فقال: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي؛. فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا!. ثم قتل زيد رحمه الله (١).

- مقتل خبيب بن عدي ﷺ.

وأما خبيبﷺ فقد اشتراه عقبة بن الحارث ليقتله بأبيه، فمكث عندهم أسيرا حتى إنهم أساءوا إليه في حبسه، وجعلوه عند امرأة تحرسه وهي ماوية مولاة حجير([٢]).

وقال ابن إسحاق: فابتاع خبيبا حجير بن أبي إهاب التميمي، حليف بني نوفل، لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل، وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامر لأمه لقتله بأبيه ([٣]).

---

١) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني ص١٤٩.

٢) هي ماوية مولاة حجير بن أبي أهاب أسلمت فحسن إسلامها فكانت تقول: والله ما رأيت أحدا خيرا من خبيب. ابن سعد، الطبقات الكبرى جـ ٨ ص٢٣٣.

٣) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني،ص١٨٤.

وظل خبيب رضي الله عنه في محبسه يتهجد بالقرآن، ويسبح الله في ليله ونهاره ما يفتر، ودخلت عليه إحدى بنات بني الحارث وكان أسيرا في دارها، فغادرت مكانه مسرعة إلى الناس تناديهم ليبصروا عجبا فقد رأته وفي يده قطفا من عنب يأكل منه وإنه لموثق بالحديد وما بمكة كلها من ثمرة عنب إنه لرزق رزقه الله ([١]).

ولما أجمعوا على قتله استعار من بعض بنات الحارث موسى ليستحد بها (٢) فأعارته وغفلت عن صبي لها صغير، فأقبل عليه فأجلسه على فخذه والموسى بيده.

فخشيت المرأة أن يقتله ففزعت؛. فقال لها: أتخشين أن أقتله، ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله ([٣]).

وهكذا نتعلم الوفاء ممن غُدِرَ بهم، وهذه من المواقف الرائعة التي تدل على سمو الروح وصفاء النفس والتحلي بالأمانة والالتزام بالمنهج الإسلامي لدى الأسير الشهيد خبيب بن عدي حيث يطبق أخلاق الإسلام حتى مع الأعداء الظالمين في وقت الشدة، وهذا دليل على وعيه وكمال إيمانه، فقد كان إيمانه كالشمس قوة وبعدا ونورا.

وخرجت به قريش إلى خارج الحرم وهو مكبل بالحديد، يقودونه إلى مصير يشفي غليل أحقادهم، وفي ظنهم أنه قد يجري مع نفسه حديثا ينتهي باستسلامه وإعلانه الكفر بالله وبرسوله وبدينه، لكنه أسلم أمره لله وبروح التضحية والصبر والاحتساب والزهد في الدنيا والإيمان بقدر الله حتى إذا جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه قال لهم:

إن رأيتم أن تدعوني أركع ركعتين فافعلوا؛ فقالوا دونك فاركع، فأقبل على نسكه ثابت، وركع ركعتين أتمها وأحسنها في خشوع وسلام وسكينة، ثم أقبل على القوم فقال: " أما والله لولا أن لا تظنوا أني طولت جزعا من القتل لا ستكثرت من الصلاة".

---

[١]) البيهقي، دلائل النبوة، جـ ٣ ص ٣٢٥.

[٢]) ليستحد بها: ليحلق بها عانته.

[٣]) الخرساني، سعيد بن منصور، ت ٢٢٧هـ، سنن سعيد بن منصور، تحقيق: حبيب الله الأعظمي، الهند، الدار السلفية الطبعة الأولى١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م، جـ ٢ ص٣٤٧. الشامي، سبل الهدى والرشاد، جـ ٦ ص ٤٢.

ثم رفعوه على الخشبة، فلما أوثقوه قال: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا؛ ثم قال: اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا (١) ولا تغادر منهم أحدا (٢).

وقد اهتزت قلوب الأعداء بدعوته ووجلت أفئدة الحاضرين في هذا المشهد. يقول معاوية بن أبي سفيان: حضرت يومئذ فيمن حضر مع أبي سفيان وإن أبي ليضجعني إلى الأرض فرقا من دعوة خبيب ([3]).

وقال حويطب بن عبد العزى رضي الله عنه ([4]) لقد رأيتني أدخلت أصبعي في أذني وَعَدَوْتُ هربًا فرقاً أن أسمع دعاءه.

وقال حكيم بن حزام رضي الله عنه ([5]) لقد رأيتني أتوارى بالشَّجر فرقًا من دعوة خبيب.

وكان سعيد بن عامر الجمحي رضي الله عنه ([6]) أمير حمص على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تصيبه غشية وهو بين ظهري أصحابه، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب فسأله في ذلك

[1]) بددا متفرقين، لسان العرب، جـ ٣ ص ٧٨.

[2]) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني، ص١٥٠. وينظر أيضا: الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله، جـ١ ص٤٠٦ الثعالبي، عبد العزيز، معجزة محمد رسول الله، تحقيق، حماد الساحلي، تقديم ومراجعة، محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي،الطبعة الأولى١٤٠٩هـ/١٩٨٩م جـ ٢ص٥٣وما بعدها.

[3]) ابن هشام، السيرة، القسم الثاني، ص١٥٠. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، ت، ٧٧٤هـ ، السيرة النبوية، تحقيق : مصطفى عبد الواحد، بيروت، دار المعرفة، عام النشر ١٣٩٥هـ /١٩٧٦م جـ ٣ ص١٣٠. وانظر أيضا : الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله، جـ ٢ ص ١٠٣.

[4]) هو حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود، بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ويكنى أبا محمد، وأمه زينب بنت علقمة بن غزوان بن يربوع بن الحارث بن منقذ أسلم يوم فتح مكة وشهد حنينا والطائف وأعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم مائة بعير من غنائم حنين، وتوفي حويطب سنة أبع وخمسين. ابن سعد الطبقات الكبرى، جـ ٦ ص ١٠.

[5]) هو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد، أسلم يوم فتح مكة وكان من المعمرين عاش ستين في الجاهلية وستين في الإسلام توفي بالمدينة، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، جـ ١ص ٣٦١.

[6]) هو سعيد بن عامر بن حذيم بن سلمان بن ربيعة بن سعد القرشي الجمحي، أسلم قبل خيبر وشهد ما بعدها من المشاهد، وكان من زهاد الصحابة وفضلائهم توفي سنة تسع عشرة، وقيل سنة عشرين.انظر ابن عبد البر، الاستيعاب، جـ ٢ص٦٢٤.

فقال: "كنت فيمن حضر خبيبا حين قتل وسمعت دعوته، فو الله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلس إلا غشي علي ([1])".

ثم أنشد قائلا:

لَقَدْ أَجْمَعَ الأَحْزَابُ حولي،وَأَلّبُوا ... قَبَائِلَهُم واسْتَجْمَعُوا كُلَّ مجْمَعِ
وكلُّهُمُ مبدي العداوةِ جاهدٌ ... عَلَيَّ لأني في وِثاقٍ بِمَضْيَعِ
وقَدْ قَرَّبُوا أَبْنَاءَهُم ونسَاءَهُم ... وقُرِّبْتُ مِنْ جِذْعٍ طوِيلٍ مُمَنَّعِ
إلَى اللهِ أَشْكُوا غربتي بَعْدَ كربتي .. وَمَا أَرْصَدَ الأَحْزَابُ لي عِنْدَ مَصْرَعِى.
فَذَا العَرْشِ صبرني عَلَى ما يُرادُ بي ... فَقَدْ بَضَّعُوا لحْمى وَقَد يَاسَ مَطْمَعِى
وَقَدْ خيروني الكُفْرَ، والموْتُ دُونهُ ... فَقَدْ ذَرَفَتْ عَيْنَاىَ مِنْ غَيْرِ مجْزَعِ .
وَمَا بي حِذَارُ الموْتِ إني لَمَيِّتٌ ... وإنَّ إلى ربِّى إيابي ومَرْجِعى
وَلَسْتُ أُبَالِى حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِما ... عَلَى أي شِقٍّ كان في اللهِ مَضْعَجِى
وَذلِكَ فى ذَاتِ الإِلهِ وإنْ يَشأْ ... يُبارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شلْوٍ مُمَزَّعِ
فَلَسْتُ بمبدٍ للعدوّ تَخَشُّعاً... ولا جَزَعاً، إني إلى الله مرجعي (٢).

ثم وقف الرماة تجاهه يشحذون رماحهم، وبدأت الرماح تنوشه والسيوف تنهش لحمه، واقترب إليه أحد زعماء قريش فقال له: أتحب محمدا مكانك وأنت سليم معافى؟.. لكنه نطق بنفس الكلمات العظيمة التي قالها زيد ابن الدثنة وهم يهمون بقتله: " والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي"([3]).

[1]) مغازي الواقدي، جـ١ص ٣٠٤.

٢) ابن هشام،السيرة النبوية، تحقيق، السقا، القسم الثاني، ص١٥٢. وانظر أيضا: ابن القييم، زاد المعاد، جـ٣ ص٢٤٥. وفي البخاري،. ولست أبالي حين أقتل مسلما... على أي شق كان لله مصرعي.
وذلك في ذات الإله وإن يشأ... يبارك على أوصال شلو ممزع. صحيح البخاري جـ ٩ ص١٢٠

٣) السهيلي، الروض الأنف، جـ٧ص ١٣١.

وكانت هذه الكلمات إيذانا للرماح والسيوف أن تبلغ جسده الطاهر حيث تسابق سفهاء مكة في ضربه بالرماح والسيوف حتى أثخنوا جسده بالجراح فاستشهد رضي الله عنه صابرا محتسبا واثقا بوعد الله له ولأمثاله.

وكان ذلك في أوائل صفر من السنة الرابعة الموافق سنة ٦٢٥م. بعد انقضاء الأشهر الحرم، رحم الله الأسير الشهيد خبيب بن عدي الأنصاري رضي الله عنه فقد كان أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين ([1]).

تلكم الحادثة بمقدار ما تحمل من معاني الغدر واللؤم، فهي تحمل أجلى معاني الإيمان والتمسك بالعقيدة والموت في سبيلها (٢).

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه يهجو الذين غدروا بأصحاب الرجيع من بني لحيان فيما ذكره ابن اسحاق:

إن سرك الغدر صرفا لا مزاج له — فأت الرجيع فسل عن دار لحيان (٣)
قوم تواصوا بأكل الجار بينهم — فالكلب والقرد والإنسان مثلان ([4]).

وقد امتدح القرآن خبيبا وصحبه وما قاموا به من شراء أنفسهم ابتغاء مرضات ربهم. قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧ ﴾ البقرة: ٢٠٧. كما ذم المنافقين بما قالوه من الكلام البذيء.

---

[1]) مسند الإمام أحمد، ت،٢٤١هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى،١٤٢١هـ/٢٠٠١م، جـ١٣ص٣١٠. وانظر أيضا: ابن سعد، الطبقات، جـ ٢ص ٤٣. وانظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، جـ ٢ص ٤٤١.

٢) صالح الشامي، من معين السيرة ، ص ٢٨١

٣) لحيان : هذيل.

٤) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق، السقا، القسم الثاني ص ١٥٥.

قال ابن عباسﷺ (١) لما أصيبت السرية التي كان فيها مرثد وعاصم بالرجيع، قال رجال من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين هلكوا هكذا، لا هم قعدوا في أهلهم، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم، فأنزل الله قوله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٤.

أي ما يظهر بلسانه من الإسلام (وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ) أي من النفاق (وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ) أي ذو جدال إذا كلمك وراجعك (٢).

وقد استدل العلماء على جواز المدافعة والاستئسار إذا طُوِّق الجنود من قبل العدو وعلموا أن لا طاقة لهم به ولا نجاة لهم إلا بالأسر وصاروا بين أمرين.

إما أن يحاربوا فيفنوا أمام العدو، وإما أن يسلموا أنفسهم لمصير مجهول لا يدرون إن كان فيها النجاة أوهلاك.

عن أبي هريرةﷺقال: "بعث رسول اللهﷺعشرة رهط سرية عينا، وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري " فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدأة (٣) ذكروا لحي من هذيل، يقال لهم بنو لحيان، فنفروا لهم قريبا من مائتي رجل كلهم رام، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم تمرا تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب فاقتصوا آثارهم، فلما رآهم عاصم وأصحابه لجئوا إلى فدفد وأحاط بهم القوم.

---

١) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي. يكنى أبا العباس، ولد عبد الله ابن العباس في الشعب قبل خروج بني هاشم منه قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان ابن ثلاث عشرة سنة إذ توفي رسول اللهﷺ، وتوفي رسول اللهﷺ وهو ابن ابن ثلاث عشرة سنة، مات عبد الله بن عباسﷺبالطائف سنة ثمان وستين في أيام ابن الزبير، وهو ابن سبعين سنة، وصلى عليه محمد ابن الحنفية، وكبر عليه أربعا، وقال: اليوم مات رباني هذه الأمة، وضرب على قبره فسطاطا. انظر ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الصحاب، جـ٣ ص٩٣٥.

٢) الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، جـ٣ص٥٧٣.

٣) موضع بين عسفان ومكة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٥ ص٣٩٥.

فقالوا لهم: انزلوا وأعطونا بأيديكم ولكم العهد والميثاق، ولا نقتل منكم أحدا، قال عاصم بن ثابت أمير السرية: أما أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما في سبعة، فنزل إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق، منهم خبيب الأنصاري، وابن دثنة، ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فأوثقوهم، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، والله لا أصحبكم إن لي في هؤلاء لأسوة يريد القتلى، فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فأبى فقتلوه، فانطلقوا بخبيب، وابن دثنة حتى باعوهما بمكة ([1]).

وهكذا ترجم البخاري على هذا الحديث في باب" هل يستأ سر الرجل " ووجه الاستدلال بذلك أنه لم ينقل أن النبيﷺ أنكر ما وقع من الثلاثة المذكورين من الدخول تحت أسر الكفار، ولا أنكر من السبعة المقتولين من الإصرار على الامتناع من الأسر أو المقاومة، ولو كان ما وقع من إحدى الطائفتين غير جائز لأخبرﷺ أصحابه بعدم جوازه ولأنكر، فدل ترك الإنكار على أنه يجوز لمن لا طاقة له بعدوه أن أن يستأسر، فمن قتل أخذ بالعزيمة ومن استأسر أخذ بالرخصة وكلهم محمود غير مذموم ولا ملوم(٢).

[1]) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر، ح رقم ٣٠٤٥ جـ٤ ص ٦٧.

٢) عبد اللطيف عامر، أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية ، ص ٢١٧

المطلب الثاني: عمرو بن أمية الضمري يؤسر مع شهداء بئر معونة.

كانت ضرورة نشر الدعوة هو الهم الوحيد لرسول اللهﷺ رغم تعاقب الأحداث والإخفاقات التي مني بها المسلمون في أحد والرجيع، إلا أن ضرورة بث الدعوة - مهما عظمت الخسائر - جعلت النبيﷺ ينظر إلى هذه التضحيات على أنها أمر لا بد منه؛ كالتاجر الذي يتحمل المغارم الثقيلة حينا من الدهر، لأن الانسحاب من السوق بغية تجنبها قضاء عليه، فهو يبقى متحملا حتى تهب الريح من جديد رجاء أن تعوض ما فقد، كان هذا هو السر في استجابة الرسولﷺ لأبي براء عامر - ملاعب الأسنة - الذي عرض عليه أن يرسل وفدا من الدعاة ينشرون الإسلام بين قبائل نجد (١).

وقد أبدى النبيﷺ خشيته من أن يصاب رجاله بسوء وسط قبائل ضارية لا يؤمن ذمامها، فقال أبو براء: أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك، فبعث الرسول ﷺالمنذر بن عمرو، أخا بني ساعدة، المعنق ليموت (٢) في سبعين رجلا من خيار الصحابة سموا بالقراء (٣).

---

١) الغزالي، محمد، فقه السيرة، خرج أحاديثه : محمد ناصر الألباني، بيروت، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م ص ٢٧٩. أنظر خريطة بئر معونة رقم "١٨".

٢) المعنق ليموت: أي المسرع، وإنّما لقّب بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة . الخشني ، الإملاء المختصر في شرح غريب السير، أبي بكر بن مسعود ت٦٠٤هـ " أبو ذر" ، تحقيق: بولس برونله، دار الكتب العلمية، بيروت بدون تاريخ طباعة، ص ٢٨٤.

٣) ورد في حديث أنس بن مالكﷺأنه" قُتل من المسلمين يوم أحد سبعون، ويوم بئر معونة سبعون، البخاري، باب من قتل من الملسلمين يوم أحد، ح ٤٠٧٨ جـ ٥ ص ١٠٢. أورد ابن هشام أنهم كانوا أربعين .ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني، ص ١٥٩. أما ابن حبان، وابن حزم، فذكرا الروايتين بدون ترجيح منهما. ابن حبان، محمد أحمد،ت،٣٥٤ هـ، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، صحّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، بيروت، دار الكتب الثقافية الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ ،جـ ١ ص٢٣٢. وانظر أيضا: ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، ت، ٤٥٦هـ ، جوامع السيرة، تحقيق: إحسان عباس، مصر دار المعارف، الطبعة ١٩٠٠م، جـ ١ ص١٤٩.

وساروا القوم حتى نزلوا ببئر معونة (١) وبعثوا حرام بن ملحان رضي الله عنه بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل وكان رجلا شرسا؛ فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله، والرسول لا يقتل في العرف، ثم إنه لم يكتف بما قام به من الغدر، بل استصرخ عليهم بني عامر يطلب منهم المشاركة في القضاء على جميع أفراد السرية، فأبو أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه لأجل جوار أبي براء، فاستصرخ عليهم قبائل رعل وذكوان من بني سليم فأجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم.

فنظر الدعاة بعضهم إلى بعض وقرروا المقاومة ثم لجأوا إلى سيوفهم، وقاتلوا الغادرين بكل شجاعة حتى قتلوا عن آخرهم- رحمهم الله - إلا كعب بن زيد بن قيس (٢) فإنهم تركوه وبه رمق، فارتث من بين القتلى(٣) فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا (٤)

وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري (٥) والمنذر بن محمد بن عقبة (٦) رضي الله عنهما فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر، فلما وقفا على أصحابهم مصرعين، دخل المنذر في القوم يقاتل حتى قتل.

---

١) بئر معونة: هي بين أرض بني عامر وحرة بني سليم. البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد،جـ٤ص ١٢٤٥

٢) هو كعب بن زيد بن قيس بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار، وأمه ليلى بنت عبد الله بن ثعلبة بن جشم بن مالك بن سالم، شهد بدرا وأحدا وبئر معونة، وارتث يومئذ فشهد الخندق وقتل يومئذ شهيدا، قتله ضرار بن الخطاب الفهري، وذلك في ذي القعدة سنة خمس للهجرة. ابن سعد، الطبقات، جـ ٣ ص ٥٢١.

٣) ارتث: أي رفع من بين القتلى وبه رمق.

٤) ابن هشام، السيرة النبوية ، القسم الثاني، ص ١٥٩وما بعدها. وانظر أيضا : الواقدي جـ١ ص ٣٤٦. وانظر أيضا. البيهقي، دلا ئل النبوة، جـ٣ ص٣٤٢.

٥) هو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس بن ناشزة بن كعب بن جدي بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة، مات في خلافة معاوية. ابن حبان، الثقات، جـ ٣ ص ٢٧٢.

٦) هو المنذر بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجي، شهد بدرا وقتل يوم بئر معونة .الإصابة، جـ ٦ ص ٢٣١

وأُخذ عمرو بن أمية أسيرا؛ وقتل صاحبه، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل كبير الغادرين عن رقبة زعم أنها كانت على أمه (١).

ورجع عمروﷺ إلى المدينة حاملا أنباء المصاب الفادح، على مصرع هذا الجمع الكبير من أفاضل المسلمين، تُذَكِّرُهُمْ نَكْبَتُهُمُ الكبيرة بِنَكبة أُحُدِ، إلا أن هؤلاء ذهبوا في قتال واضح؛ وألئك ذهبوا في غدرة شائنة، وهذا ما أبداه الرسولﷺ من الشك في قوله:" إني أخاف عليهم من أهل نجد " (٢).

وفي طريق عمروﷺ إلى المدينة لقي رجلين ظنهما من بني عامر، فقتلهما ثأرا لأصحابه ثم تبين أنهما من بني كلاب، وأنهما معاهدين للمسلمين، ولما قدم عمرو على الرسولﷺ وأخبره الخبر فقال رسول اللهﷺ له: " لقد قتلت قتيلين لأُوَدِيَنَّهُمَا (٣)".

ثم قال للناس: " إن أصحابكم أصيبوا، وإنهم قد سألوا ربهم فقالوا: ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا " (٤).

وهذا موقف رفيع من وفائه وعدلهﷺ في الرضا والغضب حتى مع الأعداء في وقت الشدة حيث أن مصابهﷺ في سبعين من خيرة أصحابه لم يمنعه أن يفي بعهد هؤلاء ويؤدي ديتهما.

إن حادثتي الرجيع وبئر معونة، تبصرنا بالمسؤولية الضخمة عن دين الله والدعوة إليه، وتضع نصب أعيننا نماذج من التضحيات العظيمة التي قدمها الصحابة الكرام من أجل عقيدتهم ودينهم ومرضاة ربهم، كما تبصرنا أن للسعادة والراحة ثمنا، وإن للمجد ثمنا وثمن هذه الدعوة دم زكي يراق في سبيل الله، من أجل تحقيق شرع الله ونظامه وتثبيت معالم دينه على وجه البسيطة.

---

١) السيرة النبوية لابن هشام، القسم الثاني ص ١٥٩ ومابعدها.

٢) ابن حبان، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، جـ ١ ص٢٣٢.

٣) البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة صاحب الشريعة، جـ ٣ ص ٣٤١، ابن كثير، السيرة النبوية ، جـ ٣ ص ١٤١. وغيره

٤) البيهقي، أحمد بن الحسين، سنن البيهقي، جـ ٩ ص ٣٧٧.

وقد حزن رسول الله ﷺ على أصحاب بئر معونة حزنا شديدا على ما قام به رعل وذكوان من الغدر بأصحابه ومكث شهرا يدعوا عليهم، وثبت في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "دعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين غداة، على رعل، وذكوان، وعصية عصت الله ورسوله" (١).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "ما رأيت رسول الله ﷺ وجد على شيء قط ما وجد على أصحاب بئر معونة، وأصحاب سرية المنذر بن عمرو رضي الله عنه، فمكث شهرا يدعو على الذين أصابوهم في قنوت صلاة الغداة، يدعو على رعل، وذكوان وعصية من بني سليم، وعضل والقارة ولحيان من هذيل"([2]).

وتنطوي حادثة سرية بئر معونة، وما حصل للمسلمين فيها من عظيم الابتلاء على دروس مهمة، جديرٌ بالمسلم أن يتأملها ويستفيدَ منها، ولا سيما في وقتٍ تعظم فيه المحن، وتشتد الأزمات.

ونستفيد من هذين الحادثين بجلاء عن حقيقة المشركين، وشدة عداوتهم للمؤمنين، وغدرهم بهم حينما تسنح فرصة للغدر، كما تبرز حجمَ الابتلاء الذي ابتلي به هؤلاء النخبة من صحابة رسول الله ﷺ فقد خرجوا يُعلمون الناس القرآن، فقُتلوا خيانةً وغدرًا.

ومن أهمِّ الدُّروس التي يحتاجها المسلم في هذا الزمن من تلك الحادثة: ثباتُ هذه العصابة المؤمنة على دينهم حتى لقوا الله- تعالى- وكان أشدَّ شيء حرصوا عليه وهم يلقون الله- تعالى-أن يبلغوا النبي ﷺ ويبلغوا إخوانهم رضاهم عن الله - تعالى- بما أكرمهم به من الكرامة والشهادة، وبما أسبغ عليهم من الرضا عنهم حتى قالوا: " اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا " ([3]).

---

[1]) صحيح البخاري، باب فضل قوله " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا " ح ٢٨١٤،٤جـ ص ٢١.

[2]) الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، ت،٢١١هـ ، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، المكتبة الإسلامي، الطبعة ١٣٠٣هـ، جـ٥ ص ٣٨٣.

[3]) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ح ١٤٧ – "٦٧٧" جـ٣ ص ١٥١١.

المطلب الثالث: حبس أبي بصير وأبي جندل وهروبهما إلى العيص.

في آخر السنة السادسة من الهجرة، الموافق سنة ٦٢٧م. وبعد أن قدم النبيﷺ المدينة بعد صلح الحديبية استطاع أبو بصير عتبة بن أسيدؓ ([1]) أن يفر بدينه من سجون الشرك في مكة بعد أن اشتد العذاب عليه ومن معه من الضعفاء حتى أصبحوا لم يطيقوا له احتمالا، وأن يلتحق بكتيبة الإيمان بالمدينة بعد أن اشتاق إلى الهداية، كان أبو بصير من المؤمنين المستضعفين بمكة، وكان حليف بني زهرة، ولما علمت قريش بنبأ فراره إلى المدينة بعد صلح الحديبية، بعثت على أثره اثنين من رجالها إلى رسول اللهﷺ ليرجعا به تنفيذا لمعاهدة صلح الحديبية، فقال رسول اللهﷺ لأبي بصير " إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المسلمين فرجا ومخرجا" ([2]).

وأمر رسول اللهﷺ أبا بصير أن يرجع معهما، فقال أبو بصير: "يا رسول الله! تردني إلى المشركين يفتنونني في ديني؟. فقال رسول اللهﷺ يا أبا بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر وإن الله جاعل لك ولمن معك من المسلمين فرجا ومخرجا، قال أبو بصير: يا رسول الله؛ تردني إلى المشركين ؟. قال رسول اللهﷺ انطلق يا أبا بصير، فإن الله سيجعل لك مخرجا؛ ودفعه إلى العامري وصاحبه ([3]) رعاية لبنود الهدنة، فخرج معهما حتى كانوا بذي الحليفة.

---

١) هو عتبة بن أسيد بن جارية بن أسيد بن عَبد اللَّه بن سَلَمة بن عَبد اللَّه بن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي حليف بني زهرة، وكنيته أَبُو بصير وهو مشهور بكنيته، توفي بسيف البحر بعد صلح الحديبية. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، جـ ٣ ص ٥٥٢.

٢) مغازي الواقدي، جـ٢ص٣٢٣.

٣) لما قدم رسول الله المدينة من الحديبية أتاه أبو بصير مسلما، قد انفلت من قومه فسار على قدميه سعيا، فكتب الأخنس بن شريق، وأزهر ابن عبد عوف الزهري إلى رسول الله كتابا، وبعثا رجلا من بني عامر بن لؤي، هو خنيس بن جابر- وخرج مع العامري مولى له يقال له كوثر، يذكران الصلح بينهم، وأن يرد إليهم أبا بصير، انظر المصدر السابق، جـ٢ص٦٢٥.

جلسوا لغذائهم، وعلق العامري سيفه على حجر في الجدار، فتحايل أبو بصير على العامري قائلا: يا أبا جابر، أصارم سيفك هذا ؟. قال: نعم.
قال: ناولنيه أنظر إليه!. فلما أمكنه منه ضربه فقتله، وفر الآخر حتى قدم المدينة ودخل المسجد يعدوا فقال رسول اللهﷺحين رآه " لقد رأى هذا ذعرا " فلما وقف بين يدي رسولﷺ صاح من شدة الفزع وقال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول.

ولم يلبث أن دخل عليهم أبو بصير تلمع عيناه شررا والسيف في يده تقطر دما فقال: يا نبي الله؛ قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم قال النبيﷺ: " ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد " فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى نزل بالعيص من ناحية ذي المروة على ساحل البحر (١) وكان طريق قريش التي يأخذونها إلى الشام فتمركزوا فيه وبدأوا يؤوون المستضعفين الهاربين من مكة حتى كونوا خلية تعلن الحرب ضد قريش (٢).

أما أبو جندلؓ فإنه كان قد أسلم فعذبه أبوه وحبسه وفي يوم الحديبية وقبل الفراغ من كتابة المعاهدة- مع سهيل بن عمرو مفوض قريش- التي كان من ضمن شروطها، وضع الحرب عشر سنين، وأن من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليه أقبل أبو جندل بن سهيلؓ (٣) من مكة يجر أغلاله وقيوده، تسيل جراحه دماً وتفيض عيونه دمعا، ثم رمى بجسده المتهالك بين يدي رسول اللهﷺ والمسلمين.

١) العيص: واد لجهينة بين المدينة والبحر، بل هو من أودية ينبع، وليس على ساحل البحر، بل يبعد عنه مسيرة يومين، ولكنه بقرب طريق القوافل التي كانت تذهب إلى الشام مع الطريق الساحلية، محمد حسن شراب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ، بيروت، دار القلم، الطبعة الأولى١٤١١هـ ص ٢٠٤.

٢) السهيلي، الروض الأنف، جـ ٦ ص ٤٧٠.

٣) أبو جندل بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود، أسلم بمكة قديما فحبسه أبوه،ثم أفلت بعد الحديبية فخرج إلى أبي بصير بالعيص فلم يزل معه حتى مات أبو بصير. فقدم أبو جندل ومن كان معه من المسلمين المدينة على رسول الله ﷺ فلم يزل يغزو معه حتى قبض رسول الله ﷺفخرج إلى الشام في أول من خرج إليها من المسلمين. فلم يزل يغزو ويجاهد في سبيل الله حتى مات بالشام في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة في خلافة عمر بن الخطاب. انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى جـ ٧ ص ٢٤٨. وما بعدها.

وفوجئ سهيل بن عمرو بابنه أبي جندل بين المسلمين فلما رآه سهيل ثار غاضبا كيف تَفَلَّتَ هذا الفتى من حبسه؟. ثم قام وأخذ بتلابيبه فأخذ يضرب وجهه، ثم صاح قائلا: يا محمد ! هذا أول ما أقاضيك به فرده، فقال رسول اللهﷺ "إنا لم نقض الكتاب بعد فأجزه لي ؟." قال: لا أفعل إذاً،. وأبى أن يكتب الكتاب، فأمر النبيﷺ أبا جندل أن يرجع وأن يصبر ويحتسب، وأن الغدر والخيانة ليس من شأن المسلمين كما بشره بالنصر والفرج من الله!([1]).

وصبر أبو جندلرضي الله عنهواحتسب لمصابه في سبيل دينه وعقيدته، فخرجوا به إلى مكة وظل في مكة حبيسا يدعوا إلى الإسلام فأسلم على يديه عدد كبير، ولما سمع أبو جندل ومن معه من المستضعفين بأمر بصير انفلتوا حتى نزلوا العيص على ساحل البحر بطريق الشام فلحقوا بأبي بصير، وانضم إليهم كل من فر عن قريش ممن أراد الإسلام، فكونوا عصابة خارج إطار الصلح، وجعلوا لا يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوا وأسروا وغنموا أموالهم ([2]).

وذكر البخاري في حديث طويل عن المسور بن مخرمة، ومروان قال، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشأم إلا اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبيﷺتناشده بالله والرحم، لما أرسل، فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴿٢٤﴾ ﴾ الفتح: ٢٤ ([3]).

---

١) الواقدي، المغازي، جـ ٢ص ٦٠٧وما بعدها. وانظر أيضا: البيهقي، دلائل النبوة، جـ ٤ص ١٠٦ وما بعدها.

٢) ابن حزم، جوامع السيرة، جـ١ص١٦٦. وانظر البيهقي، جـ ٤ص١٧٣.

٣) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، ح ٢٧٣١، جـ٣ص١٩٣.

واضطرت قريش إلى التنازل عن شرطها القاسي الذي فرضوه في بنودهم التفاوضية ضد المسلمين فألغت الشرط الخاص بمن قدم إلى المسلمين من أهل مكة وأرسلت إلى النبيﷺ تتوسل إليه وتناشده الله والرحم أن يؤوي هذه العصابة التي أقضت مضاجعهم، فأرسل النبيﷺ إليهم، أن اقدموا المدينة، فلما وصل إليهم كتاب رسول الله فرحوا واستبشرواﷺ.

غير أن أبا بصير كان قد ألم به مرض الموت فلما دخلوا عليه وأخبروه أن النبيﷺ أذن لهم بسكنى المدينة قال وهو يصارع الموت: أروني كتاب رسول اللهﷺ فناولوه إياه فأخذه فقبله ثم جعله على صدره وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ثم شهق ومات رضي الله عنه مشرداً في الصحراء، ولم يذق من لذة الدنيا شيئا فدفنه أبو جندل ثم قدم المدينة هو وجماعته (١).



(١) مغازي الواقدي، جـ ٢ص٦٢٤ وانظر: البيهقي، جـ ٤ص ١٧٣. السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، جـ ٦ص ٤٩٣. ابن سيد الناس، محمد بن محمد، ت ٧٣٤ هـ، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، بيروت، دار القلم، الطبعة ١٤١٤هـ م ١٩٩٣م جـ٢ص ١٧٠.

المطلب الرابع: باذان يؤمر بالقبض على الرسول وبعثه إلى كسرى.

من المحاولات الآثمة التي دبرها الأعداء ضد نبي الإسلام المحاولة التي دبرها كسرى للقبض على الرسولﷺ ففي السنة السابعة من الهجرة أرسل رسول اللهﷺ إلى الملوك والرؤساء رسائل يدعوهم فيها إلى الإسلام تحقيقا لعالمية رسالتهﷺ كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾ سبأ : ٢٨.

وقد تفاوتت ردودهم بين العنف واللطف والإيمان والكفر ([1]) كان من بين هؤلاء الملوك الذين كتب إليهم رسول اللهﷺ كسرى ملك الفرس والذي كان يحتل جزءا كبيرا في جنوب الجزيرة العربية، فقد بعث رسول اللهﷺ الصحابي الجليل عبد الله بن حذافة السهمي ([2]) بكتابه إلى كسرى - أبرويز بن هرمز - ملك الفرس.

جهز عبد الله بن حذافةرضي الله عنه راحلته وودع أهله ومضى حيث أمرهﷺ حتى بلغ ديار كسرى فاستأذن بالدخول على ملكها وسلمه الرسالة يدا بيد، ثم دعا كسرى كاتبا عربيا من أهل الحيرة فقرأ عليه الكتاب.

فما أن سمع كسرى ما نص عليه الكتاب حتى اشتعل نار الغضب في صدره واحمر وجهه وانتفخت أوداجه حين أن سمع أن الرسولﷺ بدأ بنفسه وبقوله من محمد رسول الله إلى كسرى، فغضب لشكل الرسالة غضب المغرور المتكبر، رغم أن النبي خاطبه بالعظمة فقال "إلى عظيم الفرس" ومزق الكتاب، ثم أمر بعبد الله بن حذافة رضي الله عنه أن يخرج من مجلسه فأخرج، فلما بلغ النبيﷺ الخبر قال: "مزق الله ملكه ([3])".

---

[1]) الغزالي، فقه السيرة، ص ٣٥٩.

[2]) هو عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، وكنيته أبو حذافة السهمي، وأمه تميمة بنت حرثان من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، مات في خلافة عثمان بن عفان. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٤ ص ١٤٣. وانظر أيضا: ابن حبان، الثقات، جـ ٣ص٢١٦.

[3]) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، ت ٧٣٨هـ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تد مري، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، جـ ١ص ٣٧٧.

وقام كسرى منفعلا وأصدر أوامره أن يكتب إلى عامله على اليمن باذان ([1]) يطلب منه أن ابعث إلى هذا الرجل الذي ظهر بالحجاز ويزعم أنه نبي رجلين جلدين من عندك وأمرهما أن يأسراه ويأتياني به.

وما أن وصلت رسالة كسرى إلى نائبه حتى انتدب رجلين من رجاله الأشداء إلى المدينة يحملان رسالة إلى النبيﷺ يأمره فيها بأن ينصرف معهما إلى كسرى دون إبطاء، كما طلب من الرجلين أن يقفا على خبر النبيﷺ وأن يتقصيا أمره ليأتياه بما يقفان عليه من معلومات.

ولما دخل الرجلان على رسول اللهﷺ قالا له: " إن كسرى كتب إلى ملكنا باذان أن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد أتيناك لتنطلق معنا إليه فإن أحببت كلمنا كسرى بما ينفعك ويكف أذاه عنك، وإن أبيت فهو من علمت سطوته وبطشه" ([2]).

فتبسم رسول اللهﷺ من قولهما ودعاهما إلى الإسلام وفرائصهما ترعد وقال: ارجعا عني يومكما هذا حتى تأتياني الغد فأخبركما بما أريد. فجاءاه من الغد. فقال لهما: أبلغا صاحبكما أن ربي قد قتل ربه كسرى في هذه الليلة لسبع ساعات مضت منها، وأن الله تبارك وتعالى سلط عليه ابنه شيرويه فقتله، فرجع الرجلان إلى باذان بالخبر وبعد أن استيقن الخبر عن مقتل كسرى، أسلم هو والأبناء الذين باليمن ([3]).

---

١) هو باذان بن ساسان بن بلاش، ابن الملك جاماساف بن الملك فيروز بن يزدجرد الملك، بن بهرام جور الملك. أنظر ابن حزم، جوامع السير، جـ ١ص٢٣.

٢) العسقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة، جـ١ص٦٣٢.

٣)انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ١ص١٩٩. وذكر ابن هشام عن الزهري أن كسرى أنه بلغني أن رجلا من قريش خرج بمكة، يزعم أنه نبي، فسر إليه فاستتبه، فإن تاب وإلا فابعث إلي برأسه. فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول اللهﷺ ، فكتب إليه رسول الله ﷺ إن الله قد وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا. فلما أتى باذان الكتاب توقف لينظر، وقال: إن كان نبيا فسيكون ما قال. فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول اللهﷺ.ابن هشام، السيرة النبوية، ت ، السقا، القسم الأول، ص٨٤.

قال رسول اللهﷺ لأصحابه لما قدم أهل اليمن " أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبا وأرق أفئدة، الفقه يمان والحكمة يمانية ([1]).

وأمر النبيﷺ أن يظل باذان على إمارته بعد إسلامه فنال عز الدنيا وسعادة الآخرة، أما كسرى فقد ذهب في مزبلة التاريخ حيث مزق الله ملكه فلم تقم له قائمة بعد ذلك اليوم إلى أن سيطر المسلمون على عرشه في خلافة الفاروق ([2]).



١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، ح ٤٣٩٠، جـ ٥ ص ١٧٤. وانظر أيضا: صحيح مسلم، باب تفاضل أهل الإيمان فيه، ورجحان أهل اليمن فيه، ح ٨٤ - (٥٢) جـ ١ص ٧٢.وعند الطبراني،"أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَضْعَفُ قُلُوبًا، وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً، الْفِقْهُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ " ح ٣٣٠٦، سليمان بن أحمد، ت٣٦٠هـ، مسند الشاميين، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، بيروت مؤسسة الرسالة ،الطبعة الأولى، ١٤٠٥/١٩٨٤م جـ ٤ ص ٢٨٤. ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ١ص٢٥٩.

٢) الهمذاني، عبد الجبار،ت،٤١٥هـ، تثبيت دلائل النبوة، القاهرة، دار المصطفى، بدون تاريخ طباعة، جـ٢ ص ٦٣.

المطلب الخامس: الأسرى المسلمين لدى بعض الزعامات.

- الحارث بن عمير الأزدي رضي الله عنه[١] .

في السنة السابعة من الهجرة، وفي شهر جمادى الأولى الموافق سنة ٦٢٨م. بعث رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الأزدي رضي الله عنه بكتابه إلى شرحبيل بن عمرو الغساني حاكم - بصرى - التابع لقيصر ملك الروم، فلما نزل مؤتة تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال: أين تريد؟. لعلك من رسل محمد ؟. قال نعم. فأوثقه ربطا ثم قدمه فضرب عنقه صبرا ([٢]).

وكانت مهمة الحارث بن عمير الأزدي رضي الله عنه مهمة سلمية ومحدودة وهو مجرد حامل الرسالة النبوية، فهو بريد أو سفير ومن هذه الزاوية يعد قتل الحارث جريمة بكل المقاييس، وهي لم تكن جريمة ضد المعتدى عليه فحسب بل هي جريمة ضد القانون المعترف به وضد الإنسانية بالإضافة إلى كونها جريمة ضد الدولة التي ذهب ممثلا لها وهي الدولة الإسلامية الناشئة بالمدينة، وليس من العادة قتل الرسل والسّفراء، عند الملوك والأمراء، بل إن قتل الرسل والسفراء مهما اشتدّ الخلاف، وكرهت الرسالة التي يحملونها من أشنع الجرائم، فكان لا بدّ من تأديب هذا المعتدي والغضب عليه حتّى لا تتكرّر مثل هذه المأساة، ولما بلغ رسول الله ﷺ نبأ هذا الاعتداء الغاشم اشتد عليه إذ انه لم يقتل له رسول غيره، فندب الناس وأخبرهم بمقتل رسوله.

---

١) هو الحارث بن عمير الأزدي، أحد بني لهب، بعثه رسول الله ﷺ بكتابه إلى الشام، إلى ملك الروم، فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، فأوثقه رباطا، ثم قدم فضربت عنقه صبرا ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسولا غيره، فكان ذلك سببا لإرسال جيشه إلى مؤتة. انظر ابن عبد البر، الاستيعاب، جـ١ ص٢٩٧.

٢) مغازي الواقدي، جـ ٢ص ٧٥٥. وانظر الشامي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد، جـ ١١ص ٣٥٠.

وحزن المسلمون لذلك حزنا شديدا، وبدا لهم أن علاقتهم مع الروم ستواجه الكثير من الصعاب فجهز رسول اللهﷺ جيشا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل فكانت غزوة مؤتة هي أول صدام عسكري بين المسلمين والروم ([1]).

- فروة بن عمرو الجذامي رضي الله عنه([2]).

كان إسلام فروة بن عمرو الجذامي رضي الله عنه في السنة التاسعة من الهجرة، الموافق سنة ٦٣٠م. وكان عاملا للروم على بلدة معان من أرض الشام، وعندما بدأ الإسلام ينتشر خارج الجزيرة العربية كان رضي الله عنه ممن اعتنق الإسلام وكتب إلى رسول اللهﷺ يعلمه بإسلامه، وبعث بهدايا فقبلﷺ هداياه ووهب لحاملها مثل ذلك، وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب، وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام.

ولما بلغ الروم نبأ إسلامه ضاقوا به ذرعا واتهموه بالخيانة، وأصدر إمبراطور الروم هرقل أوامره بالقبض عليه وطلب منه الإمبراطور أن يعود إلى المسيحية مقابل الإفراج عنه لكنه أبى ذلك وقال له" إنك تعلم أن عيسى قد بشر بمحمد ولكنك تضن بملكك"([3]).

وغضب عليه الروم فجردوه من منصبه وحبسوه عندهم أياما وحاولوا ردعه بالإغراء والتهديد فلم يجد ذلك نفعا فحكموا عليه بالموت على ماء يقال له عفراء بأرض فلسطين (٤).

[1]) الحلبي، علي بن إبراهيم، ت،١٠٤٤هـ، إنسان العيون في سيرة المأمون،" السير الحلبية " بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ، جـ ١ص١٩٠.

٢) قال ابن عبد البر: هو فروة بن عمرو بن الناقدة الجذامي ثم النفاثي، وكان موضعه بعمان من أرض فلسطين، وكان عاملا للروم على فلسطين وما حولها، وعلى ما يليه من العرب. الاستيعاب، جـ٣ ص ١٢٥٩.

٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ١ص٢١٥.

٤) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: السقا، القسم الثاني، ص ٤٩٩.وانظر أيضا: ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ٧ص ٤٣٥. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، ت ٧٧٤هـ، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، بيروت، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة ١٣٩٥هـ /١٩٧٦م جـ ٤ص ١٦٧.

وكان قد قال شعرا في محبسه يصف حاله وصبره.

طرقت سليمى موهنا أصحابي ... والروم بين الباب والقروان
صد الخيال وساءه ما قد رأى ... وهممت أن أغفي وقد أبكاني
لا تكحلن العين بعدي إثمدا ... سلمى ولا تدين للإتيان.
ولقد علمت أبا كبيشة أنني ... وسط الأعزة لا يحص لساني
فلئن هلكت لتفقدن أخاكم ... ولئن بقيت لتعرفن مكاني
ولقد جمعت أجل ما جمع الفتى ... من جودة وشجاعة وبيان.

فلما أجمعت الروم لصلبه قال.

ألا هل أتى سلمى بأن حليلها على ماء عفراء فوق إحدى الرواحل
على ناقة لم يضرب الفحل أمها مشذبة أطرافها بالمناجل.

وقيل: إنّه لما قدّم للقتل قال:
بلّغ سراة المسلمين بأنّني ... سلم لربّي، أعظمي ومقامي (١).

[1]) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني،ص ٤٩٩. وانظر أيضا: الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، جـ ١٨ ص ٣٢٦.



جامعة أم القرى
UMM AL-QURA UNIVERSITY

الفصل: الثاني الأسرى المشركون

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : أسرى غزوة بدر.

المبحث الثاني: أسرى بني المصطلق.

المبحث الثالث: أسرى هوازن.


جامعة أم القرى
UMM AL-QURA UNIVERSITY

المبحث الرابع: أسرى في غزوات وسرايا مختلفة.

المبحث الأول: أسرى بدر.

وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: في سبب الغزوة.

المطلب الثاني: القدوم بالأسرى إلى المدينة.

المطلب الثالث: الاختلاف في فداء الأسرى ونزول آية العتاب.

المطلب الرابع: الاختلاف في عدد الأسرى و مصيرهم.

المطلب الأول: في سبب الغزوة.

كانت غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة، وفي يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان الموافق سنة ٦٢٣م. وسبب هذه الغزوة أن الأنباء ترامت إلى " يثرب " أن قافلة عظيمة لقريش في ألف بعير موقرة الأموال يقودها أبو سفيان بن حرب، خرجت محملة من الشام تَؤُمُّ مكة تحمل لأهلها الثروة الطائلة؛ فندب عليه الصلاة والسلام أصحابه لاعتراضها قائلا: "هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها، لعل الله ينفلكموها " ([1]) فخرج رسول الله ﷺ ومعه ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا وأخذ عليه الصلاة والسلام يتحسس طريق القافلة([2]).

أما أبو سفيان فإنه لما بلغه الخبر وأحس بالخطر أرسل إلى قريش يعلمهم بخطورة الموقف ويحضهم على الخروج لحماية القافلة، ثم غير طريقه واستطاع بالفعل أن يحرز تجارته وأن ينجو بها حيث فرَّ من الساحل إلى مكة، وخرجت قريش بعد أن بلغها في قرابة ألف مقاتل وتقدموا نحو المدينة حتى نزلوا بالعدوة القصوى، ورسول الله وصحابته بالعدوة الدنيا كما عبر بذلك القرآن الكريم ([3]).

قال تعالى: ﴿ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ الأنفال: ٤٢([4]).

---

[1]) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الأول، ص٥٣٧. وانظر الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله، جـ ١ص٢٣٤.

[2]) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، ت، ٧٧٤هـ البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، جـ ٣ ص ٣٢٦. وانظر الشامي، سبل الهدى والرشاد، جـ ٤ ص ٧٤.

[3]) أنظر خريطة غزوة بد ر. رقم "١٢"-أ- "١٣"- ب- ١٤ - جـ "

[4]) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الأول، ص ٥٤٦وما بعدها.وانظر أيضا : مغازي الواقدي، جـ ١ص١٣٤. وانظر أيضا: ابن حبان، محمد، السيرة النبوية، وأخبار الخلفاء، جـ ١ص١٦٢.

ولما بلغ النبيﷺ نبأ إفلات عير أبي سفيان وأن قريشا قد أقبلت بحدها وحديدها على حربه وإبادة من معه من المسلمين، ووجد نفسه هو ومن معه أنهم مدفوعين إلى حرب لم يستعدوا لها، وكان لا بد من جلسة استشارية يستشير فيها رسول الله ﷺأصحابه في الموقف الحرج، وبعد مشاورة بين الرسولﷺ وأصحابه، وافق الجميع على فكرة التقدم إلى لقاء العدو، وكان رسول الله أراد الاستيثاق من الأنصار، فتكلم سعد بن معاذ باسم الأنصار بكلمات شجع رسول اللهﷺ وأكد صدق الأنصار بما وعدوه في بيعة العقبة بمنى ([1]).

وقد سُرَّ رسول اللهﷺ بذلك فقال: " سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم " ([2]).

وقد رفعت كلمات سعدرضي الله عنه من معنويات الصحابة وشجعتهم على القتال، ثم سبق رسول اللهﷺ المشركين إلى بدر بعد أن تحسس من أخبار قريش وعددهم وعدتهم، ليحول بينهم وبين الماء، وظل يدعو الله ويناشده ويقول: " اللهم أنجز لي ما وعدتني؛ اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد بعد في الأرض أبدا ! ".

فما زال يستغيث بربه ويدعوه حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكررضي الله عنه فأخذه فرده ثم التزمه من ورائه قائلا:" يا رسول الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك ". فأنزل الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ الأنفال: ٩ ([3]).

[1]) كان رسول اللهﷺ يريد أن يسمع من الأنصار لكونهم أكثر عددا ولأنهم تعاقدوا معه على الدفاع عنه وحمايته في المدينة فحسب وهم الآن خارج المدينة ولذلك حرص على ألا يورطهم في حرب قد لا يريدونها.

[2]) ابن هشام، السيرة النبوية ، القسم الأول، ص٥٤٥.

[3]) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر" صحيح مسلم " جـ ٤ ص ١٩٣. وانظر أيضا: ابن كثير، السيرة النبوية ، جـ ٢ ص ٤١٧.

يقول علي رضي الله عنه: " لقد رأيتنا يوم بدر وما فينا إنسان إلا نائم إلا رسول الله ﷺ فإنه كان يصلي إلى شجرة يدعو حتى أصبح " واستجاب الله دعوته وأمده بألف من الملائكة مردفين ([1]).

فلما بزغ الفجر نادى رسول ﷺ الله الصلاة جامعة، فجاء الناس من تحت الشجر والجحف فصلى بنا رسول الله ﷺ وحض على القتال([2]).

وصفَّ رسول الله ﷺ أصحابه صفا وذهب ينظمهم كما جاء في الآية قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ الصف : ٤.

ثم قال لأصحابه: " لا يتقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه "([3]).

وبدأت المعركة بالمبارزة بين الفريقين، ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض، وأخذ رسول الله ﷺ حفنة من الحصباء ورمى بها قريشا ثم قال: " شاهت الوجوه، ونفحهم بها ثم أمر أصحابه فقال: " شدوا عليهم ".

واقتتل الناس قتالا شديدا ولم يمض وقت كبير حتى حلت الهزيمة في صفوف المشركين، وأيد الله المؤمنين بنصره وتمكينه، ولحقت بالمشركين هزيمةٌ ساحقة، وفرّوا لا يلوون على شيء، مخلِّفين وراءهم ما يربو على سبعين قتيلاً ومثلهم أسرى، أمّا خسائر المسلمين فكانت أربعة عشر شهيداً؛ ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار (٤).

وأنزل الله قوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ ﴿١٧﴾ ﴾ الأنفال: ١٧

---

[1]) العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز. جـ ١ ص ٥٨٠.

[2]) البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة صاحب الشريعة، جـ ٣ ص ٦٣.

[3]) ابن كثير، السيرة النبوية، جـ ٢ ص٤٢١.

[4]) مغازي الواقدي، المغازي، جـ ١ص٨١. وانظر أيضا : ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: السقا، القسم الأول، ص ٥٥٥. ابن حبان، السيرة النبوية أحبار الخلفاء، جـ ١ ص ١٧٣. الطهطاوي، رفاعة بن رافع،ت، ١٢٩٠هـ نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، القاهرة، دار الذخائر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، جـ ١ ص ٢٢٧.

كانت قريش تظن أن الرسول ﷺ ومن معه شرذمة قليلون وأنهم بإمكانهم القضاء عليهم بكل سهولة ويسر فعدوها رحلة ترفيهية، وخرجوا ومعهم القيان والمعازف والخمور يعزفون ويرقصون، ولم يخطر في بالهم أنهم يذهبون إلى مصارعهم(١).

وقد وصف الله خروجهم أنهم ﴿ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴿٤٧﴾ ﴾ الأنفال : ٤٧ .

دهش العرب قاطبة لهذا النصر الحاسم الذي ناله المسلمون في بدر، بل إن أهل مكة استنكروا الخبر واستبعدوا الهزيمة على أنفسهم وحسبوه هذيان مجنون، فلما استبان صدقه صعق نفر منهم، وامتلأت مكة بالغيظ والحزن وساد الأسى ووقعت النياحة في بيوت المشركين، وكثر البكاء على القتلى إذ لم تتوقع أن تنال مثل هذه الهزيمة من المسلمين ونذر أبو سفيان ألا يمس رأسه ماء من جنابة (٢) حتى يغزو رسول الله ﷺ (٣).

أما مشركوا المدينة ويهودها فما أن قرع في آذانهم خبر انتصار المسلمين فتظاهروا بعدم المبالات وأن ذلك لا يؤثر في كبريائهم. وقال كعب بن الأشرف حين قدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة: " والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها " (٤).فلما جوبهوا بالأسرى من زعماء قريش مغلولي الأيدي سقط في أيديهم.

١) مغازي الواقدي ، جـ ١ ص، ٤٤ وانظر أيضا : الشامي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد لهدي خير العباد، جـ ٤ ص ٢٩.

٢) ذكر الحليبي، أن أهل الجاهلية كانوا يغتسلون من الجنابة، أنظر السيرة الحلبية – إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون،جـ١ص٣٦٥.

٣) البيهقي، دلائل النبوة، جـ ٣ ص١٦٤.

٤) الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله، جـ ٣ ص ٣٦٧. وانظر أيضا: ابن كثير، السيرة النبوية ، جـ ٣ ص ١١.

المطلب الثاني: القدوم بالأسرى إلى المدينة.

وأقام النبيﷺ مع جيشه ببدر ثلاثة أيام، جمع فيها الأسرى والغنائم، ودفن شهداء المسلمين ووكانوا أربعة عشر شهيدا ([1]) ثم أمر بسحب قتلى المشركين فرموا إلى القليب، ثم وقف على قليب بدر ونادى فقال! يا أهل القليب! ([2])
هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟. فإني وجدت ما وعدني ربي حقا!

فقال المسلمون: يا رسول الله ! تنادى قوما قد ماتوا ؟. فقال رسول اللهﷺ " لئن كنتم تسمعونها لقد سمعوها ". وقام رسول اللهﷺ يعرضهم ثلاثا " أي يكرر الكلام" ([3]).

وأصدر أوامره إلى الجيش بالتحرك نحو المدينة بعد أن بعث عبد اللّه بن رواحةرضي الله عنه إلى أهل العالية في المدينة وزيد بن الحارثةرضي الله عنه إلى أهل السافلة ليبشروا أهلها بانتصار المسلمين، فجعل عبد الله ينادي على راحلته مبشرا الأنصار بما فتح الله على رسوله ﷺوالمسلمين وما أصيب من المشركين وأسراهم (٤).

---

١) مغازي الواقدي، جـ ١ص١٤٥. ابن حبان، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، جـ ١ص١٧٥. ابن حزم، جوامع السيرة، جـ ١ص١١٥.

٢) البئر قبل أن تطوى فإذا طوى القليب فهو طوي والقليب مذكر والبئر مؤنثة. الحَمِيدي، محمد بن فتوح، ت ٤٨٨هـ، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥/١٤١٥.ص١٨٧. وقال ابن منظور القليب: الجب الواسعة. لسان العرب،جـ١ ص٢٥٠.

٢) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: السقا، القسم الأول ، ص٥٦٣ وما بعدها. ابن حبان، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، جـ١ص ١٧٩.

٣) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: السقا، القسم الأول ، ص٥٦٣ وما بعدها. ابن حبان، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، جـ١ص ١٧٩.

٤) مغازي الواقدي، جـ١ص١١٤. ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: السقا، القسم الأول، ص ٥٦٧.

وتابع الطريق إلى المدينة ومعه الأسارى والغنائم فلما وصل إلى مضيق الصفراء قسم الغنائم على المسلمين على السواء، وفي الطريق أمر بقتل اثنين من الأسارى أولهما النضر بن الحارث بن كلدة ([1]).

والآخر عقبة بن أبي معيط ([2]).جزاء وفاقا لما ارتكبوا من جنايات، فقد كان هذان الرجلان من كبار مشركي قريش، ومن شر عباد الله وأكثرهم كفرا وبغيا وهجاء للإسلام والمسلمين واستهزاء برسول اللهﷺ وكان قتلهما واجبا من حيث وجهة الحرب، فلم يكونا من الأسارى فحسب، بل إن هما من أئمة الكفر ومجرمي الحرب وقتلهما صبرا إنما هو درس بليغ للطغاة ([3]) وسوف يأتي سبب قتلهما في باب قتل الأسير، كان من بين الأسرى سهيل بن عمرو، أسره مالك بن الدخشمرضي الله عنه ([4])

وفي أثناء طريقهم إلى المدينة لجأ إلى حيلة يريد الفرار من الأسر، فتظاهر كأنه يريد الحاجة وطلب من آسره أن يخلي سبيله لحاجته، فنزع يده من القران وشرد، فصاح مالك في الناس فخرجوا ومعهم رسول اللهﷺ في طلبه، فقال رسول اللهﷺ من وجده فليقتله! فوجده الرسولﷺ قد أخفى نفسه بين شجرات، فأمر به فربطت يداه إلى عنقه ثم قرنه إلى راحلته حتى قدم المدينة (٥).

١) هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة، بفتح الكاف، ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى القريشى العبدرى، صاحب لواء المشركين ببدر. كان من شجعان قريش ووجوهها، ومن شياطينها "كما يقول ابن إسحاق ". الزركلي، الأعلام جـ ٨ ص٣٣

[2]) عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس: من مقدّمي قريش في الجاهلية. كنيته أبو الوليد، وكنية أبيه أبو معيط. أنظر الزركلي، الأعلام، جـ ٤ ص ٢٤٠.

[3]) ابن كثير، السيرة النبوية، جـ ٢ص ٤٧٣. وانظر

[4]) هو مالك بن الدخشم بن مالك بن الدخشم بن مرضخة بن غنم بن عوف بن الخزرجي، ابن سعد الطبقات، جـ٣ ص ٤١٤.

[5]) مغازي الواقدي، جـ١ص١١٧.

وجيء بالأسرى وعليهم شقران مولى رسول اللهﷺ ([1]) وكان قد شهد معهم بدرا ([2]).

ودخل المسلمون المدينة قبل أن يدخلها الأسارى والسيدة سودة بنت زمعة زوج النبيﷺ عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوّذ ابني عفراء وهما من شهداء بدر، فلما أُخبرَتْ بقدوم الأسارى رجعت إلى بيتها ورسول اللهﷺفيه ودهشت لما رأت سهيل بن عمرو مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فما ملكت نفسها حين رأته كذلك أن قالت: " أي أبا يزيد ؟. أعطيتم بأيديكم ! ألا متم كراما ؟! "

قالت: فو الله ما نبهني إلا قول رسول اللهﷺ من البيت: " يا سودة أعلى الله وعلى رسوله تحرّضين" ؟!.. فقلت: والذي بعثك بالحق، ما ملكت نفسي أن رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت، فقبل النبيﷺ اعتذارها ([3]).

وفرح المسلمون فرحا عظيما بنصر الله لهم في بدر وعم السرور أنحاء المدينة وجهر الناس بالتهليل والتكبير كأنهم في يوم عيد، واستقبل المسلمون رسول اللهﷺ يهنئونه بما أكرمه الله به من النصر، وفرّق النبيﷺ الأسرى بين أصحابه وقال لهم: " استوصوا بهم خيراً ".

وقد حكى أبو عزيز - شقيق مصعب بن عمير - عن حسن معاملة آسريه له وكيف كانوا يوثرون على أنفسهم تنفيذا لوصية رسول الله ﷺبالأسارى فقال: "فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز، وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها؛. قال: فأستحيي فأردها على أحدهم فيردها علي ما يمسها "([4]).

---

[1]) شقران مولى رسول اللّهﷺ يقال: كما كان اسمه صالح بن عديّ. قال مصعب: وكان حبشيا، يقال أهداه عبد الرّحمن بن عوف لرسول اللّهﷺ فاشتراه منه وأعتقه بعد بدر ويقال: إن النّبيّﷺورثه من أبيه هو وأمّ أيمن. أنظر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة .جـ ٣ص ٢٨٤.

[2]) ابن كثير، السيرة النبوية، جـ ٢ص ٤٧١.

[3]) البيهقي السنن الكبرى، كتاب السير، باب الأسير يوثق، جـ ٩ ص ١٥١.وانظر أيضا: ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: السقا، القسم الأول، ص ٥٦٩.

[4]) الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله، جـ ١ص ٣٤٥.

وقد تركت هذه المعاملة الحسنة أثرها في قلوبهم، فأسلم كثير من هؤلاء الأسارى على فترات مختلفة قبل فتح مكة وبعدها منهم: العباس عم النبيﷺ ([١]).

وعقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأبو العاص بن الربيع زوج السيدة زينب ابنة الرسولﷺوخالد بن هشام، ووهب بن عمير، وسهيل بن عمرو، وقيس بين السائب، ونسطاس مولى أمية بن خلف، وغيرهم ممن هداهم الله إلى الإسلام فعاد أولئك الأسارى إلى مكّة وكل حديثهم عن كرم أخلاق رسول الله ﷺوأصحابه وحسن معاملة الإسلام لهم وهذا ما سنراه في الآتي ([٢]).



١) قال الطحاوي: لما فدي في غزوة بدر رجع هو ومن سواه من الأسرى إلى مكة على دينهم الذي أسروا عليه، بدر في سنة اثنتين من الهجرة. وحكى ابن إسحاق في مغازيه أن العباس قد كان اعتذر إلى رسول الله ﷺ لما أمره أن يفدي نفسه بأنه كان مسلما، وأنه أخرج إلى قتاله كرها، وأن رسول الله ﷺ قال له: " أما ظاهر أمرك فقد كان علينا، فافد نفسك " أحمد بن محمد بن سلامة، ت،٣٢١هـ شرح مشكل الآثار: باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ فيما استدل به محمد بن الحسن مما كان أبو حنيفة يقوله في إباحة الربا بين المسلمين وبين المشركين في دار الحرب، تحقيق، شعيب الأرناوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى١٤١٥هـ/١٩٩٣م، جـ ٨ص ٢٤٩.

٢) محمد الصلابي، السير النبوية ، ص ٤٣٠.

المطلب الثالث: الاختلاف في فداء الأسرى ونزول آية العتاب.

وصل النبيﷺإلى المدينة ومعه الأسارى وإلى هذه اللحظة لم يكن هناك تشريع سماوي يوضح كيفية التعامل مع هؤلاء الأسارى، ومن هنا كان لابد للرسولﷺ أن يلجأ إلى التشاور الذي اعتاد أن يتعامل به مع الصحابة؛ لما فيها من فوائد عديدة من تأليف القلوب وإشاعة المودة وتعويد المسلمين على هذا المنهج في معالجة الأمور وقد حثَّ القرآن الكريم على المشورة قال تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ آل عمران: ١٥٩.

وفي هذه الغزوة نفسها استشار رسول اللهﷺ أصحابه في ثلاث مواقف.

الموقف الأول: قبل بداية المعركة فقد استشار الصحابة في أمر الإقدام على القتال، فتكلم الصديق باسم المهاجرين، وسعد بن معاذ باسم الأنصار، ثم أعلن الأنصار تأييده ومبايعته على القتال ([1]).

والموقف الثاني: في أثناء المعركة إذ تقدم الحباب بن المنذر بعرض مشورته على الرسولﷺفيما يتعلق باختيار المكان، وقد أقره الرسولﷺ على مشورته وعمل المسلمون برأيه ([2]).

والموقف الثالث: وهو موقفه مع الأسارى والغنائم وهي القضية التي تستدعي عناية أكثر ومشورة أعظم من الموقفين السابقين.

ومن هنا كان لا بد من عقد مجلس استشاري يجمع فيه الرسولﷺ صحابته لبيان الحكم في هؤلاء الأسارى،وقد تعددت مواقف الصحابة في قضية الأسارى بعدة آراء.

---

[1]) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: السقا، القسم الأول، ص ٥٤٤.

[2]) المصدر السابق، القسم الأول ص ٥٨٤.

-موقف أبي بكر الصديق ﷺ.

والذي قال فيه: "يا رسول الله، هم إخواننا وبنو العم والعشيرة، أرى أن تؤخذ الفدية من هؤلاء الأسرى لتكون قوة لنا على الكفار مقابل إبقائهم على قيد الحياة وعسى الله أن يهديهم إلى دخول الإسلام ([1]) ".

كان موقف الصديق ﷺ يغلب عليه جانب الرحمة والعطف في جانبين.

الجانب الأول: من ناحية القرابة فهو يرى أنهم أبناء العم والعشيرة فيتمنى لهم السعادة بالإيمان وهذا خير من أن يموتوا على الكفر، وكان اختياره قريبا من اختيار الرسول ﷺ.

والجانب الثاني: أن الدولة بحاجة إلى ما سيؤخذ من أيديهم من الأموال لأن الدولة لا زالت امكانياتها المادية محدودة لكونها دولة ناشئة، فكان ﷺ يغلب جانب الرحمة على جانب القوة، لذلك وصفه الرسول ﷺ فقال: " أرحم أمتي بأمتي أبوبكر([2]) "

- موقف الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ.

كان هو المستشار الثاني بعد الصديق ﷺ حيث سأله الرسول ﷺ وما ترى يا بن الخطاب: فقال عمر ﷺ " والله ما أرى ما يرى أبوبكر، إنهم أئمة الكفر كذبوك وأخرجوك وإن الله أغناك عن الفداء، أرى أن تمكنني من قريبي فلان فأضرب عنقه.

---

[1]) البيهقي، دلائل النبوة، جـ ٣ص ١٣٧. وانظر أيضا : المقريزي، أحمد بن علي، ت ٨٤٥هـ، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، بيروت، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م جـ ٨ ص ٢٤٤.

[2]) الطبراني، سليمان بن أحمد، الروض الداني " المعجم الصغير " جـ ١ص ٣٣٥. البيهقي، أحمد بن الحسين، ت ٤٥٨هـ ، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية،الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م جـ ١٠ص ١٨٧.

وتمكن عليا وحمزة من أخويهما عقيل والعباس فيضربان أعناقهما، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم " (١).

فكان رأيه شديد الحسم فهو يرى أن يقتل كل هؤلاء السبعين وعلى أن يقتل كلٌّ قريبه؛ حتى يُظهِر كل مسلم حُبَّه لله، وأنه ليس في قلبه ولاء لأيِّ مشرك مهما كان، حتى وإن كان أقرب الناس إليه.

كان هذا هو رأي عمرﷺ والذي يقول عنه النبيﷺ وأشدها- أي في الأمة- في أمر الله عمر (٢). وكلا الرأيين مبني على الحب الكامل في الله ولأمر دينه لكنهما مختلفان عن الآخر أسلوبا.

- **موقف عبد الله بن رواحة الأنصاري** ﷺ (٣).

كما برز هناك موقف آخر كان أشد صرامةً وتأييداً لموقف عمرﷺ وهو موقف الصحابي عبد الله بن رواحة الأنصاريﷺ الذي قال: يا رسول الله؛ انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرم عليهم نارا ؛ (٤).

لكن رسول اللهﷺ سكت ودخل بيته ولم يؤيد أحداً في رأيه، فبدأ الناس يتجادلون في الموقف فمال بعضهم لرأي أبو بكر، ومال آخرون لرأي عمر.

١) ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد، جـ١ ص ٣٣٥. القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، جـ ٢ ص٦٠٦.

٢) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الصغير، جـ ١ ص ٣٣هـ. البيهقي، السنن الكبرى، جـ ٦ ص ٣٤٦.

٣) هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو الخزرجي، وأمه كبشة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة بن عامر بن زيد مناة بن مالك الأغر، وهو أحد النقباء الاثني عشر من الأنصار وشهد بدرا وأحدا والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضية، قتل بمؤتة. ابن سعد الطبقات الكبرى، جـ ٣ص٣٩٨.

٤) البغوي، الحسين بن مسعود، ت٥١٠هـ، معالم التنزيل " تفسير البغوي " ، جـ ٢ص ٣٠٩.

ثم خرجﷺ والناس على حالهم فقال: " إن الله عزَّ وجلَّ ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللّبن، وإن الله عز وجل ليُشدِّدُ قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم قال: ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٦﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٦.

وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال: ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ المائدة: ١١٨.

ومثلك يا عمر كمثل موسى قال: ﴿ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ يونس: ٨٨ .

ومثلك يا عمر كمثل نوح قال: ﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ نوح: ٢٦.

ومثلك يا ابن رواحة كمثل موسى قال: ﴿ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ يونس: ٨٨.

ثم قال رسول اللهﷺ " أنتم عالة؛ فلا ينفلتن أحد منهم إلا بفداء أو ضربة عنق"([1]).
ثم حسم رسول اللهﷺ المسألة بموافقته وتأييده على رأي الصديق أبوبكرﷺ.

[1]) الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، جـ ٨ص ٤٧. البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى جـ ٦ص ٥٢٢.

نزول أية العتاب على رسول الله

قال عمر: فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبوبكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء، ونزل القرآن الكريم معاتبا للمسلمين الذين قبلوا الفداء وخالفوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك.

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ الأنفال: ٦٧ – ٦٨.

قال عمر: "فغدوت إلى رسول الله ﷺ فإذا هو قاعد و أبو بكر يبكيان.
قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما ؟." إنها أحاسيس راقية في قلب ابن الخطاب رضي الله عنه؛ فقال رسول الله ﷺ أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة – وأشار ﷺ شجرة قريبة كانت أمامه ([1]).

كان التهديد في هذه الآية الكريمة واضحا مما جعل الرسول ﷺ يخاف ويبكي للقيام بفعل لا يليق لنبي من أنبياء الله، وهو الأسر قبل الإثخان، ومعنى الإثخان: هو الإكثار في القتل والمبالغة فيه.

[1]) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، ح ٥٨ – " ١٧٦٣" جـ ٣ص١٣٨٣. البيهقي، دلائل النبوة، جماع أبواب غزوة بدر العظمى، باب ما فعل رسول الله ﷺ بالغنائم والأسارى وما أخبر عنه جـ ٣ص ١٣٧. المقريزي، إمتاع الأسماع، جـ ٨ص ٣٤٤.

قال الواحدي: الإثخان في شيء عبارة عن قوته وشدته. يقال قد أثخنه المرض إذا اشتد عليه قوة المرض ([1]).

وكان قتل المحاربين هو الشأن المطلوب في مبدأ قيام دولة الإسلام حتى يضعف المتظاهرون عليه، ويتضاءل الخطر على الدولة الناشئة وحتى لا يتجرأ أحد بالتجسس على المسلمين، وليس الحكم المقرر في الآية تشريعا دائما يعمل به حينما تستقر الأمور وتسير في طريقها الطبيعي، وهذا شأن كل دعوة إصلاحية لابد لظهورها من التمكين لها في الأرض وعدم الاستخذاء أو الاستضعاف.

وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه يرى رأي عمر، فلما وضع القوم أيديهم يأسرون وقف سعد على باب العريش الذى فيه رسول الله ﷺ متوشحا سيفه في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ خوف كرة العدو عليه، فرأى رسول الله ﷺ في وجه سعد الكراهية لما يصنع الناس، فقال له: " لكأنك والله يا سعد تكره ما يصنع القوم؟. "

قال: أجل والله يا رسول الله؛ كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخان في القتل أحب إلى من استبقاء الرجال (٢).

وأما قوله تعالى: ﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾ ﴾ الأنفال: ٦٨ .
فقد تعددت أقوال المفسرين في هذه الآية ذكرت بعضا منها مع بيان القول المعتمد.

---

[1]) الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، ت ٦٠٦هـ، مفاتيح الغيب " التفسير الكبير" بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ، جـ ١٥ ص ٥١٠.

[2]) الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله، جـ ١ص ٣٣٦. ابن كثير السيرة النبوية ، جـ ٢ ص ٤٣٦.

١- قال سعيد بن جبير وقتادة: ﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ أي بحل الغنائم لك ولأمتك لمسكم العذاب ([1]).

وهذا فيه نظر لأن تحليل الغنائم والفداء إن كان حاصلا في ذلك الوقت امتنع إنزال العذاب عليهم لأن ما كان مأذونا فيه من قبل لم يحصل العقاب على فعله، وإن قلنا أن الإذن ما كان حاصلا في ذلك الوقت كان ذلك الفعل حراما ([2]).

٢- وقال محمد بن إسحاق: ﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴿٦٨﴾ ﴾ الأنفال: ٦٨ .
أي لا أعذب إلا بعد النهي لعذبتكم فيما صنعتم، وأنه تعالى ما نهاهم عن أخذ الفداء ([3]).

قال الرازي: وهذا القول ضعيف لأنه إذا لم يوجد دليل شرعي يوجب حرمة الفداء ولم يحصل دليل عقلي يقتضي حرمته امتنع أن يكون المنع حاصلا، وإلا لكان ذلك تكليف ما لا يطاق.
٣ - وقال آخرون في هذه الآية: أنه قد سبق حكم الله أنه لا يعذب أحدا شهد بدرا مع النبيﷺ.

---

١) القيرواني، مكي بن أبي طالب، ٤٣٧هـ، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف، الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ /٢٠٠٨ م، جـ٤ص ٢٨٨٣.

٢) الرازي، مفاتيح الغيب ،جـ ١٥ ص ٥١١.

٣) الواحدي، علي بن أحمد، ت ٤٦٨هـ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م، جـ ٢ ص ٤٧٢.

وهذا مردود من وجهين.

الأول: أنه يقتضي في هذا أن يقال إنهم ما منعوا عن الكفر والمعاصي والزنا والخمر وما هددوا بترتيب العقاب على هذه القبائح، وهذا يوجب سقوط التكاليف عنهم وهو ما لا يقوله عاقل.

والثاني: أنهم لو صاروا كذلك فكيف أخذهم الله تعالى في ذلك الموضع بعينه ؟. وفي تلك الواقعة بعينها ؟. وكيف وجه عليهم هذا العقاب القوي؟. والمعتمد في هذا كله أن نقول: إن الله تعالى يجوز أن يعفو عن الكبائر.

فقوله تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ معناه أنه لولا أنه تعالى حكم في الأزل بالعفو عن هذه الواقعة لمسهم عذاب عظيم.

وهذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴿٥٤﴾ ﴾

وقوله " عن أبي هريرةرضي الله عنه عن النبيصلى الله عليه وسلم قال: " إن الله لما قضى الخلق، كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي"(١).

ودلت الآية على مشروعية الفداء الأسر والإذن فيها بعد الإثخان، وإنما نزل العتاب لمجرد الأسر قبل أوانه ودون تحقق شرطه الذي هو إثخان المسلمين في العدو وقهره طمعا في عرض الدنيا (٢).

---

[١]) الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، " التفسير الكبير" جـ ١٥ ص٥١١. والحديث في البخاري، جـ ٩ ص ١٢٥.
[٢]) الزحيلي، آثار الحرب، ص ٤٠٦ وما بعدها.

المطلب الرابع: الاختلاف في عدد الأسرى ومصيرهم.

اختلف أهل السير والتاريخ في عدد أسارى بدر، قال ابن إسحاق بعد ما فرغ من تسمية الأسرى. " فجميع من حفظ لنا من الأسارى ثلاثة وأربعون رجلا(١). ويقصد في قوله التسمية لا العدد.

وقال الواقدي، قدم بالأُسارى وعليهم شقران وهم تسعة وأربعون رجلا الذين أحصوا (٢). أي الذين أحصى المؤرخون والرواة أسماءهم.

وقال ابن هشام: ووقع من جملة العدد رجل لم نذكر اسمه، واستدرك على ابن إسحاق عدد من الأُسارى لم يذكرهم (٣).

وذكر ابن قتيبة أن أسارى يوم بدر أربعة وأربعون رجلا (٤).

ولعل سبب الاختلاف أنهم كانوا يذكرون من عرف اسمه منهم ولا يقصدون العدد. ويمكن أن يكون هذا هو المقصود بقول ابن إسحاق، فجيع من حفظ لنا من الأسارى ثلاثة وأربعون.

والمشهور أن الأسارى يوم بدر كانوا سبعين، وهو قول عبد الله بن عباس والبراء بن عازب رضي الله عنهم، قال البراء وكان النبي ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيرا وسبعين قتيلا(٥).

---

١) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: السقا، القسم الثاني، ص ٨

٢) مغازي الواقدي، جـ ١ ص١١٥

٣) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني، ص ٨.

٤) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، المعارف ص ١٥٥.

٥) البخاري صحيح، كتاب المغازي، باب ما يكره من التنازع والاختلاف، ح ٣٠٣٩، جـ ٤ص ٦٥.

- عدد من أسلم من الأسرى رضي الله عنهم .

وهذا العدد من الأسارى الذين ثبت ذكرهم عند علماء المغازي والسير فقد أسلم بعضهم وكان له شأن كبير في الإسلام ومواقف محمودة في حياة رسول الله ﷺ وبعده، وهم.

١- العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

خرج مكرها، أسره أبو اليسر كعب بن عمرو (١) وقيل : عبيد بن أوس الظفري رضي الله عنه (٢) وكان العباس رجلا جسيما فقال ﷺ لأبي اليسر كيف أسرت العباس يا أبا اليسر؟ فقال: يا رسول الله لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل هيئته كذا وهيئته كذا ؟. فقال رسول الله ﷺ " لقد أعانك عليه ملك كريم" وتوفي سنة ثلاث وعشرين (٣).

قال ابن عبد البر: أسلم العباس قبل فتح خيبر، وكان يكتم إسلامه، ثم أظهر إسلامه يوم فتح مكة، وشهد حنينا والطائف وتبوك (٤).

٢- عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه (٥).

أسره عبيد بن أوس الظفري رضي الله عنه وكان فقيرا ففداه العباس، أسلم قبل مؤتة، وقيل يوم فتح مكة وتوفي سنة ٦١هـ (٦).

---

١) هو كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن سواد وأمه نسيبة بنت قيس بن الأسود بن مري من بني سلمة، شهد أبو اليسر العقبة وشهد بدرا وأحدا وهو ابن عشرين سنة والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وتوفي بالمدينة سنة خمس وخمسين وذلك في خلافة معاوية بن أبي سفيان رحمه الله، وله عقب بالمدينة.
انظر ابن سعد الطبقات، جـ ٣ ص ٤٣٦.

٢) هو عبيد بن أوس بن مالك بن سواد بن ظفر ويكنى أبا النعمان وأمه لميس بنت قيس بن القريم بن أمية بن سنان بن كعب بن غنم بن سلمة من الخزرج.ابن سعد، الطبقات، جـ ٣ ص٤٥٣.

٣) ابن قتيبة، المعارف، جـ ١ص ١٥٥. وانظر ابن سعد، الطبقات، جـ ٤ ص١٢.

٤) الاستيعاب، جـ٢ ص٨١٢.

٥) ابن هشام، القسم الثاني، ص ٥.

٦) ابن سعد، الطبقات، جـ ٤ ص ٤٣.

٣- نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ﷺ .

أسره جبار بن صخر ﷺ ([1]) أسلم بعد وقعة الخندق، توفي بالمدينة سنة ١٥هـ ([2]).

٤- السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم ﷺ ([3]).

أسره سلمة بن أسلم الأشهلي ﷺ ([4]) وكان فقيرا فأطلقه الرسول بدون فداء، أسلم بعد بدر وحسن إسلامه، وكان يشبه رسول الله وهو جد الأمام الشافعي.

٥- أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى ﷺ ([5]).

زوج زينب بنت رسول الله أسره خراش بن الصمة ([6]) وقيل عبد الله بن جبير ﷺ وهو من الذين أطلقهم رسول الله بغير فداء، أسلم قبل الحديبية، وتوفي بالمدينة سنة ١٢هـ ([7]).

١) هو جبار بن صخر بن أمية بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم، ويكنى جبار أبا عبد الله، وشهد العقبة في روايتهم جميعا مع السبعين من الأنصار، وشهد جبار بدرا، وأحدا، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وتوفي في خلافة عثمان بن عفان ﷺ بالمدينة سنة ثلاثين. ابن سعد، الطبقات، جـ ٣ ص ٤٣٣. الواقدي، جـ ١ص ١٣٨.

٢) البلاذري، أحمد بن يحي، ت ٢٧٩هـ، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، ورياض الزركلي ، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٧٤م، جـ ١ص ٣٠١.

٣) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني، ص٥.

٤) هو سلمة بن أسلم بن حريس بن عدي بن مجدعة بن حارثة ويكنى أبا سعد وأمه سعاد بنت رافع بن أبي عمرو النجارية، شهد سلمة بن أسلم بدرا، وأحدا، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله، وقتل بالعراق يوم جسر أبي عبيد الثقفي سنة أربع عشرة في أول خلافة عمر بن الخطاب، وهو ابن ثلاث وستين سنة. ابن سعد، الطبقات، جـ ٣ص ٣٤٠.

٥) ابن هشام، القسم الثاني، ص٥.

٦) هو خراش بن الصمة بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام، وأمه أم حبيب بنت عبد الرحمن بن هلال بن عمير بن الأخطم من أهل الطائف، شهد بدرا، وأحدا وجرح يوم أحد عشر جراحات. ابن سعد، الطبقات، جـ ٣ ص ٤٢٥. البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، جـ ١ ص ٣٠١.

٧) ابن حبان، الثقات، جـ ٢ ص١٨٢. ابن حجر، الاصابة، جـ ٧ ص٢٠٨.

٦- خالد بن أسيد بن أبي العيص رضي الله عنه ([1]).
استدركه ابن هشام في الأسرى، أسلم يوم الفتح وكان من المؤلفة قلوبهم ([2]).
٧- الحارث بن أبي وجزة بن أبي عمرو بن أمية رضي الله عنه ([3]).
أسره سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه([4]).

٨- عمرو بن الأزرق بن عقبة حليف بني عبد شمس رضي الله عنه ([5]).
كان أبوه قد خلف على أم عمار بن ياسر سمية بنت خياط، فأنجب عمرا وعقبة، فهما أخوان لعمار من الأم ،أسلم يوم الطائف وسكن مكة وشرف بها وصاهر بني أمية ([6]).

٩- عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف رضي الله عنه ([7]).
أسره خراش بن الصمة أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه ([8]).
١٠- أبو عزيز بن عمير بن هاشم العبدريّ رضي الله عنه.
هو أخو مصعب بن عمير لأبويه ([9]) أسره أبو اليسر بن كعب الأنصاري رضي الله عنه.

[1]) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: السقا، القسم الثاني، ص ٨.
[2]) ابن حجر، الإصابة، جـ ٢ ص١٩٣.
[3]) ابن هشام، القسم الثاني، ص ٥.
[4]) ابن حجر، الإصابة، جـ ١ص ٦٩٩.
[5]) ابن حجر، الإصابة، جـ٤ ص٤٩٣.
[6]) الهاشمي، محمد بن حبيب، ت، ٢٤٥هـ، المنمق في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، بيروت، عالم الكتب، الطبعة،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ص ٢٥٨.
[7]) ابن هشام، القسم الثاني، ص ٦.
[8]) ابن حجر، الإصابة، جـ٤ ص ٣٩٠.
[9]) ابن هشام، القسم الثاني، ص٦. ابن عبد البر، الاستيعاب، جـ ٤ص ١٧١٤.

ومر به مصعب وهو في الأسر فقال لآسره: اشدد يديك به فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك، أسلمﷺوحسن إسلامه وكان كثيرا ما يتحدث عن حسن معاملة آسريه وتأثيرهم على أنفسهم ([1]).

١١- السائب بن أبي حبيش بن عبد المطلب القرشي الأسديﷺ.

أسره عبد الرحمن بن عوف ﷺ ([2]) أسلم يوم الفتح، وكان من أشراف قريش بعد ذلك وهو الذي قال فيه عمر بن الخطابﷺ " ذاك رجل لا أعلم فيه عيبا " ([3]) توفي في أول خلافة معاوية بن أبي سفيانﷺ ([4]).

١٢- مسافع بن عياض بن صخر ﷺ.

استدركه ابن هشام في أسرى بدر، كان شاعرا يهاجي حسان بن ثابتﷺ، وكان له قدر في قريش، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه([5]).

١٣- خالد بن هشام المخزوميﷺ .

هو أخو أبي جهل أسره سواد بن غزية ([6]) يوم بدر، أسلم يوم الفتح وعُدَّ من المؤلفة قلوبهم وذكر الكلبي أنه أسر يوم بدر كافرا ولم يسلم ([7])

---

[1]) الكلاعي، الإكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله، جـ١ ص ٣٤٥.

[2]) مغازي الواقدي، جـ ١ص ١٤٠. وعبد الرحمن بن عوف هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب، كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسماه الرسول بعد إسلامه بعبد الرحمن. قال يعقوب بن عتبة: مات عبد الرحمن بن عوف سنة اثنتين وثلاثين وهو يومئذ ابن خمس وسبعين. أنظر طبقات ابن سعد،جـ ٣ ص ٩٢-١٠٠.

[3]) ابن عبد البر، الاستيعاب، جـ ٢ص ٥٧٠.

[4]) الاصابة، جـ ٣ ص ١٥.

[5]) الاصابة، جـ ٦ ص٧٠.

٦) هو سواد بن غزية بن وهب بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة شهد بدرا، وأحدا، والخندق، والمشاهد كلها، وهو الذي طعنه النبيﷺ بمخصرة، ثم أعطاه إياها فقال : " استقد " الطبقات، جـ ٣ ص ٣١٩.

٧) الاصابة، جـ ٢ ص ٢١٤.

١٤- الوليد بن الوليد بن المغيرةﷺ.
أسره عبد الله بن جحشﷺ [١] وقيل سليط بن عمرو، قدم أخواه خالد وهشام فافتداه، فأسلم فحبسه أهله بمكة.
وكان الرسولﷺ يدعو له ولمن معه من المحبوسين بمكة فقدم المدينة، وتوفي بها فكفنه رسول اللهﷺ في قميصه، وكانت أم سلمة تقول: إن الوليد بن الوليد فتى العشيرة [٢].
١٥- قيس بن السائب بن عويمر بن مخزوم ﷺ [٣].
أسره عبدة بن الحسحاس [٤] أسلم يوم الفتح، وعمّر حتى لم يطق الصوم من الكبر [٥].
١٦- أبو عطاء عبد الله بن أبي السائب المخزومي.
أسره سعد بن أبي وقاصﷺ أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، أقام بمكة وكان من القراء، توفي في خلافة ابن الزبيرﷺ [٦].

---

[١]) هو عبد الله بن جحش بن رياب ابن يعمر الأسدي، حليف بني عبد شمس، أحد السابقين إلى الإسلام، ويكنى أبا محمد هاجر إلى الحبشة وشهد بدرا وأول أمير في الإسلام، فقتل عبد الله بن جحش يوم أحد شهيدا. قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريف الثقفي. ودفن عبد الله بن جحش وحمزة بن عبد المطلب. وهو خاله. في قبر واحد. وكان عبد الله يوم قتل ابن بضع وأربعين سنة.انظر ابن سعد الطبقات الكبرى، جـ ٣ص٦٥-٦٧.

[٢]) الاصابة، جـ ٦ ص٤٨٤. الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، ت ٤٣٠هـ، معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الرياض، دار الوطن للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى١٤١٩هـ/١٩٩٨م،جـ ٥ ص٢٧٢٦.

٣) ابن هشام السيرة النبوية، ت، السقا، القسم الثاني، ص ٩.

٤) عبدة بن الحسحاس بن عمرو بن زمزمة بن عمرو بن عمارة بن مالك، وهو ابن عم المجذر بن ذياد وأخوه لأمه، هكذا قال محمد بن عمر، قال ابن إسحاق هو عبادة بن الخشخاش، شهد بدرا، وأحدا وقتل يوم أحد شهيدا في شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة .ابن سعد، الطبقات، جـ ٣ ص٤١٨.

٥) ابن حجر، الاصابة ، جـ ٥ ص ٣٥٨.

[٦]) ابن حبان، الثقات، جـ ٣ ص ٢١٥.

١٧- المطلب بن حنطب بن الحارث المخزومي.

أسره أبو أيوب الأنصاري لم يكن له مال أطلقه الرسول بغير فداء ([1]).

وذكر البلاذري: أنه عمل في حائط لأبي أيوب حتى جمع ما فدى نفسه وكان آخر من بقي في المدينة أسلم يوم الفتح ([2]).

١٨- عبد الله بن أبي بن خلف ﷺ.

أسره فروة بن عمرو البياضي ﷺ أسلم يوم الفتح، وقتل في معركة الجمل عام ٣٦هـ ([3]).

١٩- وهب بن عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشيّ الجمحيّ ﷺ ([4]).

أسره رفاعة بن رافع الزرقي ﷺ ([5]) قدم أبوه عمير إلى الرسول في فدائه ظاهرا وهو مبيت أن يقتل النبي، فأطلع الله نبيه عما في قلبه فأسلم وأسلم ابنه معه فأطلقه النبي من الأسر ([6]).

٢٠- ربيعة بن دراج بن العنبس بن أهبان ([7]).

كان مملقا لا مال له فأخذ عنه شيء يسير وأطلق ([8]) أسلم بعد ذلك وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ .

---

[1]) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني، ص ٧. ابن حبان، الثقات، جـ ٣ص ٤٠١.

[2]) أنساب الأشراف ،جـ ٣ص٣٦٥.

[3]) ابن عبد البر، الاستيعاب، جـ ٣ص٨٦٥. ابن حجر الاصابة ، جـ ٤ص ٣.

[4]) ابن هشام السيرة النبوية، القسم الثاني، ص ٨.

٥) رِفَاعَة بن رَافع بن مَالك بن العجلان بن عَمرو بن عَامر بن زُريق الْأَنْصَارِيّ الزرقي شهد بَدْرًا وَهُوَ الَّذِي يُقَال لَه بن عفراء مَات فِي أول ولَايَة مُعَاوِيَة بن أبي سُفْيَان كنيته أَبُو معَاذ، ابن حبان، الثقات، جـ ٣ ص١٢٥

٦) ابن سعد، الطبقات، جـ ٤ص ٤٤٧.

[7]) الإصابة، جـ ٢ ص ٣٨٦.

[8]) الواقدي، جـ ١ ص ١٤٢.

٢١- نسطاط مولى أمية بن خلف ([1]) استدركه ابن هشام، أسلم وحسن إسلامه ([2]).

٢٢- أبو وداعة بن ضُبيرة ابن سُعيد بن سهم رضي الله عنه.

وهو الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم " إن له بمكة ابنا كيسا تاجرا ذا مال، وكأنكم به قد جاءكم في طلب فداء أبيه " وكان أول أسير افتدي، قدم ابنه المطلب، ففداه ([3]).

٢٣ - الحجاج بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم رضي الله عنه ([4]) أسره عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فأفلت منه أسلم واستشهد بأجنادين أو اليرموك ([5]).

٢٤- سهيل بن عمرو بن عبد شمس رضي الله عنه ([6]).

كان أحد زعماء مكة، أسره مالك بن الدخشم رضي الله عنه ([7]) أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وكان من الذين ثبتوا على الإسلام بعد وفاة الرسول خرج إلى الشام مع أهل بيته مجاهدا فمات هناك في طاعون عمواس سنة ١٨هـ ([8]).

٢٥ - عبد بن زمعة بن قيس بن عبد شمس رضي الله عنه ([9]).

وهو أخو أم المؤمنين سودة بنت زمعة، أسره عمير بن عوف ([10]) مولى سهيل بن عمرو، أسلم يوم الفتح ([11]).

[1]) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني، ص ٩.

[2]) الواقدي، جـ١ ص٢٣٠. السهيلي، الروض الأنف، جـ ٥ ص ٢٢٦.

[3]) الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله، جـ ١ ص ٣٤٨.

٤) ابن هشام، جـ ٢ ص ٧.

[5]) الأصبهاني، معرفة الصحابة ، جـ ٢ ص ٧٣٥.

[6]) ابن هشام، جـ ٢ ص ٨.

[7]) الواقدي، جـ ١ ص ١٤٣.

[8]) ابن سعد، الطبقات الكبرى ، جـ ٥ ص ٤٥٣. ابن حبان، الثقات، جـ ٣ ص ١٧١. الآصبهاني،أبي نعيم،معرفة الصحابة، جـ ٣ ص١٢٢٤.

٩) ابن هشام، جـ ٢ ص ٨.

١٠) هو عمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو، ويكنى أبا عمرو، شهد عمير بن عوف بدرا، وأحدا والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله، مات عمير بن عوف بالمدينة في خلافة عمر بن الخطاب وصلى عليه عمر، الطبقات، جـ ٣ ص ٣١٠.

١١) الواقدي، جـ ١ ص ١٤٣.

٢٦ – عبد الرحمن بن مشنوء بن وقدان بن قيس بن عبد شمس رضي الله عنه ([١]).
أسره النعمان بن مالك رضي الله عنه، أسلم يوم الفتح وكان اسمه عبد العزى فسماه رسول الله عبد الرحمن ([٢]).

٢٧– سهل بن بيضاء رضي الله عنه وبيضاء أمه، وهو ابن وهب بن ربيعة بن هلال بن مالك، أسلم بمكة، وكان يخفي إسلامه فخرج مع المشركين مكرها إلى بدر فأسر.
شهد له عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بالإسلام فأطلقه رسول الله، أقام بالمدينة مسلما حتى توفي في حياة النبي وصلى عليه صلى الله عليه وسلم ([٣]).

وبلغ عدد من أسلم من الأسارى- وكانوا من أهل السعادة – نحو سبعة وعشرين أسيرا إضافة إلى اثنين من الأسارى لم يثبت أمرهما.
وهما: ربيعة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، والفاكه مولى أمية بن خلف.

[١]) ابن هشام، جـ ٢ ص ٨.
[٢]) الواقدي، جـ ١ص ١٤٣.
[٣]) ابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة، جـ ٣ ص١٦٢. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أسد الغابة، جـ ٢ ص٣١٤.

- عدد من منَّ عليهم الرسول ﷺ .

ومنَّ رسول الله على بعض الأسارى الذين كان لهم ظروف خاصة فأطلقهم بغير فداء، وهذا جانب من إنسانية الرسولﷺحيث كان يراعي حالة كل فرد من الأسارى، كما كانﷺ على استعداد لإطلاق الجميع دون فداء لو شفع فيهم المطعم بن عدي الزعيم المشرك المعروف، غير أنه مات قبل ذلك.

وقد أشار إلى ذلك رسول اللهﷺ كما جاء في حديث البخاري عن جبير بن مطعم أن النبيﷺ قال في أسرى بدر: " لو كان المطعم بن عدي حيا، ثم كلمني في هؤلاء النتنى، لتركتهم له" ([1]).

قال الحليبي: كان المطعم أجار النبيﷺ لما قدم من الطائف، فدخل مكة في جواره لما أزمعت قريش على عدم دخوله بمكة بسبب ذهابه إلى الطائف ودعائه لأهله، وكان ممن سعى في نقض صحيفة المقاطعة ([2]).

وكان من بين الذين مُنَّ عليهم بغير فداء، المطلب بن حنطب بن الحارث بن مخزوم، ترك في أيدي آسريه مدة ولم يقدم أحد في فدائه فخلوا سبيله فلحق بقومه، وكان الذي أسره خالد بن زيد، المشهور بكنيته " أبو أيوب الأنصاري ﷺ" ([3]).
وذكر البلاذري أنه عمل في حائط لأبي أيوب حتى جمع مالا ففدى نفسه ([4]).
والمشهور أنه أُطلق بغير فداء.

---

[1]) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ما من النبي ﷺ على الأسارى من غير أن يخمس جـ ٤ص٩١.
[2]) الحلبي، السيرة الحلبية، جـ٢ص٢٦٤.
[3]) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: السقا، القسم الأول، ص٥٨١. ابن حبان، الثقات، جـ ٣ص ٤٠١.
[4]) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، جـ ١٠ ص ٢٢٥.

ومنّ على أبو العاص بن الربيع، صهر رسول اللهﷺ بعد أن بعثت زينب بنت رسول اللهﷺ في فدائه بقلادة لها كانت لخديجة رضي الله عنها، ليتحنَّن رسول الله ويترقق قلبه.

والسائب بن عبيد المطلبي، وابن عمه عبيد بن عمرو بن علقمة، أسرهما سلمة ابن أسلم بن حريش الأشهلي، ولم يقدم لهما أحد فداء، وكانا لا مال لهما، ففك رسول اللهﷺعنهما بغير فدية ([1]) وربيعة بن دراج بن العنبس بن أهبان الجمحي([2]).

- صيفي بن أبي رفاعة، وأبو عزة الجمحي.

أما صيفي بن أبي رفاعة بن عابد المخزومي، وأبو عزة الجمحي فقد أطلق رسول اللهﷺسراح كلا منهما بشرط، فأطلق سراح صيفي بعد أن ترك في أيدي آسريه مدة فأخذ عليه العهد على أن يبعث بفدائه من مكة فلم يف بما وعد، وعليه قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وما كان صيفي ليوفي ذمة ... قفا ثعلب أعيا ببعض الموارد .

وأما أبو عزة الجمحي " الشاعر "كان محتاجا ذا بنات فطلب من رسول اللهﷺ أن يمن عليه فقبل ذلك منه وشرط عليه ألا يعين عليه أحدا ([3]) لكنه نكث ما عاهد به الرسولﷺفخاض أحدا مع المشركين ووقع أسيرا فضرب الرسولﷺ عنقه صبرا، وقال: "لا والله، لا تمسح عارضيك بمكة تقول " سخرت بمحمد مرتين "([4]).

وهؤلاء الأربعة الذين هم منَّ الرسول ﷺ فأطلق بغير فداء.

---

[1]) مغازي الواقدي، جـ ١ص ١٣٨.

[2]) ابن هشام، ت، السيرة النبوية، القسم الثاني، ص ٨.

[3]) ابن هشام، السقا، القسم الأول، ص٥٨١. السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله، الروض الأنف، جـ ٥ص ١٣٧.

[4]) مغازي الواقدي، جـ ١ص١١١. وانظر أيضا: ابن هشام، السيرة النبوية، ت، السقا، القسم الثاني، ص٩٠. وانظر ابن حزم، علي بن أحمد، جوامع السير، جـ ١ص ١٣٩.

- **ثمن الفداء.**

وكان مقدار فداء كل أسير منهم أربعين أوقية ، والأوقية أربعون درهما([1]).

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: " لما كان يوم بدر أُسر سبعون، فجعل عليهم النبي ﷺ أربعين أوقية ذهبا، وجعل على عمه العباس مائة، وعلى عقيل ثمانين فقال العباس: أللقرابة صنعت بي هذا ؟. والذي يحلف به العباس لقد تركتني فقير قريش ما بقيتِ؛.

فقال ﷺ " كيف تكون فقير قريش! وقد استودعت أم الفضل بنادق الذهب ([2])

ثم أقبلت إليها وقلت لها: إن قتلت تركتك غنية ما بقيتِ!. وإن رجعت فلا يهمنك شيء ؟. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ! ما أخبرك بهذا إلا الله تعالى."

فأنزل الله عز وجل " ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٧١ ﴾ الأنفال: ٧٠ - ٧١.

فقال حين نزلت: يا نبي الله لوددت أنك كنت أخذت مني أضعافها فآتاني الله خيرا منه ([3]).

والظاهر والله أعلم أن هذه مصانعة وإلا فلو علم الرسول ﷺ بإسلامه لما طلب منه فداء يوم بدر.

[1]) البغوي، معالم التنزيل، جـ ٢ ص ٣١٠.

٢) البنادق: نوع من الذَّهَب مَنْسُوب إِلَى البندقية من مدن إيطاليا، انظر المعجم الوسيط،، مجمع اللغة العربية، ص

٣) الأصبهاني،أحمد بن عبد الله، ٤٣٠هـ، دلائل النبوة، تحقيق: محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، بيروت دار النفائس،الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م جـ١ص ٤٧٦.

وروى ابن سعد أن رسول اللهﷺ طلب من العباس الفداء عن نفسه وعن ابن أخيه عقيل، ونوفل، وحليفه عتبة بن جحدم، ادعى أنه مسلم ثم جحد أن ليس له مال.
فقالﷺ: فأين المال الذي وضعت بمكة حين خرجت عند أم الفضل بنت الحارث ليس معكما أحد ثم قلت لها إن أصبت في سفري هذا فللفضل كذا وكذا ولعبد الله كذا وكذا؟ قال: والذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحد غيري وغيرها وإني لأعلم أنك رسول الله. ففدى العباس نفسه وابن أخيه وحليفه ([١]).
وذكر الخشني أن العباس بن عبد المطلب أسلم وكان يكتم إسلامه خوف من قومه ([٢]).
وقد أسلم العباس قبل فتح خيبر، وكان يكتم إسلامه، ثم أظهر إسلامه يوم فتح مكة، وشهد حنينا والطائف وتبوك ([٣]).
ونقل ابن هشام عن الزهري أن العباس خرج مهاجرا بعياله قبيل فتح مكة فالتقى برسول اللهﷺ بالجحفة، وكان قبا ذلك مقيما بمكة على سقايته، ورسول اللهﷺ راض عنه ([٤]).

- الأسرى وفداؤهم بتعليم الغلمان الكتابة.

كان في الأسارى من يكتب، ولم يكن في الأنصار من يحسن الكتابة إلا قليلا، وكان منهم من لا مال له، فدفع الرسولﷺإلى كل أسير منهم عشرة من الغلمان يعلمهم الكتابة فإذا حذقوا فهو فداؤهم، وكان زيد بن حارثة الأنصاري من أبرز من تعلم منهم (٥).

---

١) الطبقات الكبرى، جـ ٤ص٨.
٢) الخشنى، أبي بكر بن مسعود،" أبو ذر" الإملاء المختصر في شرح غريب السير ، ص١٧٥.
٣) أنظر في هذا البحث ص ١٢٧.
٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ت، السقا، القسم الثاني، ص ٣٣٩.
٥) السهيلي، الروض الأنف جـ ٩ص١٦٧. المقريزي، إمتاع الأسماع، جـ١ص ١١٩.

روي عن ابن عباسرضي الله عنه قال: "كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول اللهﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة ". قال: فجاء غلام يوما يبكي إلى أبيه، فقال: ما شأنك ؟. قال: ضربني معلمي قال: الخبيث يطلب بذحل بدر ([١]) والله لا تأتيه أبدا ([٢]).

إن المتأمل في هذه القضية يجد أن النبيﷺكان حريصا على التعليم ومحو الأمية إذ اعتبر هذا الصنيع من جانب هؤلاء الأسارى بمثابة أربعة آلاف درهم، وتكفل حريتهم مقابل ذلك، دل كل ذلك على ما للعلم من قيمة في عيني الرسولﷺ ([٣]).

ولم أقف على مصدر يذكر اسم أحد من هؤلاء الأسارى الذين تولوا مهمة التعليم لصبيان المدينة القراءة والكتابة مقابل فدائهم، وهناك صور أخرى من الفداء وهو تبادل الأسرى فقد أطلق الرسولﷺ عمرو بن أبي سفيان.
وكان قد أسره علي بن أبي طالبرضي الله عنه مقابل أن يطلق المشركون سراح سعد بن النعمان بن أكالرضي الله عنه الذي أسره أبو سفيان وهو يعتمر فحبسه بمكة ([٤]).

وأسر مالك بن عبيد الله التيمي([٥]) فمات في الأسر بعد قدومه إلى المدينة فعُدَّ من القتلى ([٦]).

---

١) الذحل: هو الثأر والأصل. وقيل طلب مكافئة بجناية، طَلَبَ بذَحْله أَي بثأْره .ابن منظور. لسان العرب، جـ ١١ص ٢٥٦.

٢) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، جـ٤ ص ٩٢. ابن كثير، السيرة النبوية، جـ ٢ص ٥١٢.

٣) المقريزي، أحمد بن علي، إمتاع الأسماع، جـ ١ ص ١١٩.

٤) ابن هشام السيرة النبوية، ت، السقا، القسم الأول، ص٥٧٣.

٥) هو مالك بن عبيد الله التيمي من بني تيم بن مرة، وأخوه طلحة بن عبيد الله. المصدر السابق، ص٦٢٩٥.

٦) ابن هشام، القسم الأول،المصدر السابق، الصفحة نفسه.

وقتل سبعة من أسارى بدر شاركوا بعد إطلاق سرحهم في أُحد مع قريش في غزو المسلمين ([1]) أما بقية الأسارى الذين لم نتعرض لذكرهم فمنهم من مات على الكفر ومنهم جهل مصيره ولم أقف على خبر قاطع حول مصيرهم، وقتل منهم اثنان صبرا بعد بدر وهم: النضر بن الحارث بن كلدة، وعقبة بن أبي معيط.

وفي رواية سعيد بن جبير وطعيمة بن عدي ([2]) والمشهور أنه قتل أثناء المعركة على يد حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

واختلف في إسلام واحد منهم هو: عائذ بن السائب بن عويمر المخزومي، فقيل أن عائذا أسر يوم بدر كافرا وقيل أسلم وصحب النبي ﷺ ولعلهم أتوا من تكرار السائب ([3]).

وقد تمَّ إطلاق سراح جميع من بقي من أسرى بدر خلال أقل من عامٍ من غزوة بدر، ومما يؤكِّد هذا الأمر أن المشركين في أُحُد لم يتفاوضوا على أيٍّ من أسراهم.

١) هم: أبويزيد بن عمير،أخو مصعب، وعبد الله بن حميد بن بن زهير، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، أبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة، خالد بن الأعلم العقيلي، وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن جمح" الشاعر" انظر ابن حزم، جوامع السيرة، جـ ١ص١٣٨- ١٧٣.

٢) ابن حزم، جوامع السيرة، جـ١ص ١٤٨. الحلبي، السيرة الحلبية، جـ ٢ ص ٢٥٧.

٣) ابن عبد البر، الاستيعاب، جـ ١ص١٨٦، أبن الأثير، أسد الغابة، جـ ١ص ٣٤٩.

المبحث الثاني: أسرى بني المصطلق.

وفـــيـــه ثلاثة مطـــالـــب

المطلب الأول: في سبب الغزوة.

المطلب الثاني: تقسيم الأسرى والسبايا.

المطلب الثالث: إطلاق أسارى بني المصطلق بعد زواج الرسول بجويرية.

المطلب الأول: في سبب الغزوة "المريسيع".

جاءت غزوة بني المصطلق في شعبان سنة ٥هـ الموافق سنة٦٢٦م. (١) نتيجة الانتصارات المتلاحقة التي حققها المسلمون على كفار قريش من جهة واليهود من جهة أخرى حيث ملأت هذه الانتصارات قلوب المنافقين وغيرهم من قبائل العرب غيظا وحقدا، فحاولوا الوقيعة بين أهل المدينة- الأوس والخزرج- وبين المهاجرين والأنصار بإثارة النعرات القبلية والتحزب العنصري والعصبية بينهم وفي هذا السياق سول الشيطان لبني المصطلق وزين لهم بأنهم أقوياء يستطيعون التغلب على المسلمين، فأخذوا يعدون العدة ويتأهبون لمقاتلة المسلمين ([٢]).

وسبب غزوة بني المصطلق هو أن الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق لما علم بنبأ انتصار رسول الله على قريش في معركة بدر جمع قومه ومن قدر عليهم من العرب وتهيأ لغزو رسول اللهﷺ فلما سمع رسول اللهﷺ بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع ([٣]) ولما اصطف الفريقان أمر رسول اللهﷺ عمر بن الخطابرضي الله عنه فنادى في القوم.

أيها الناس: قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم؟. فأبى القوم، فترامو بالنبل ساعة، ثم تزاحف الفريقان وحمل المسلمون على المشركين فقتلوا عشرة منهم، وأسروا عددا منهم، وسبوا النساء والذراري والنِّعم والشاء.

[١]) اختلف أهل المغازي والسير في تحديد زمن هذه الغزوة. أنظر تفصيل ذلك في كتاب، إبراهيم قربي، مرويات غزوة بني المصطلق، المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي، بدون تاريخ طباعة ص ٨٩.

٢) أنظر خريطة غزوة بني المصطلق رقم "٢١" " أ " ٢٢" "ب".

٣) المريسيع، هو اسم ماء في ناحية قديد إلى الساحل، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جه٥ ص١١٨.

واستشهد من المسلمين في هذه المعركة رجل واحد يقال له هشام بن صبابة ([1]) أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ([2]).

وكان أول موقف عدائي قام به بنو المصطلق ضد الإسلام إسهامهم في جيش قريش مع الأحابيش ([3]) خشيتهم انتقام المسلمين منهم لدورهم في غزوة أحد، وربما كان من أسباب اندفاع تلك القبائل وراء قريش رغبتهم في تأمين الطرق التجارية فقد رغبوا أن يبقى الطريق التجاري أمام قريش لا يهدده أحد لما في ذلك من مصالح محققة تعود لهم، وهناك جانب آخر وهو إظهار الولاء لقريش لما لها من السيادة في المنطقة (٤).



[1]) هو هشام بن صبابة بن حزن بن سيار بن عبد الله بن كليب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. أنظر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ ٦ ص ٤٢٢.

٢) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني، ص ٢٤٨.وانظر أيضا: الواقدي، جـ ١ص٤٠٧.البيهقي، دلائل النبوة، جـ ٥ ص ٦١. وانظر أيضا: ابن حزم، جوامع السيرة، جـ ١ص ١٦١.

٣) قال ابن منظور، التحبيش:هو التجميع، والأحابيش الذين تحبشوا واجتمعوا وهم: بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وبنو نفاثة بن الديل، وبنو الحيا من خزاعة، والقارة من بني الهون بن خزيمة. ومنهم الحليس بن علقمة بن عمرو بن الأوقح بن جذيمة رئيس الأحابيش يوم أحد، وعمرة بنت الحارث بن الأسود بن عبد الله بن عمر التي رفعت اللواء يوم أحد لقريش، البلاذري، أنساب الأشراف، جـ١١ص١٣٧. الهاشمي، محمد بن حبيب، المنمق في أخبار قريش، ص١١٥.

[3]) الواقدي، جـ ١ص ٢٠٠

[4]) الواقدي، جـ ١ص ٢٠٠

المطلب الثاني: تقسيم الأسرى والسبايا.

لما أغار رسول اللهﷺعلى بني المصطلق فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم وزع الغنائم والأسرى على المجاهدين، فكانت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار رضي الله عنها في سهم الصحابي الجليل ثابت بن قيس بن الشماس ([1]) فكاتبته على نفسها فجاءت إلى رسول اللهﷺ تشكوا إليها حاجتها وتستعينه في كتابتها، فوقفت عند رسول اللهﷺ وكانت امرأة جميلة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فقالت: يا رسول الله ؟. أنا جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار سيد قومه؛ وقد أصابني من البلاء ما لا يخفى عليك؛ فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس فكاتبني على نفسي، فجئت أستعينك على كتابتي؛.

فنظر إليها الرسول ثم قال:" فهل لك في خير من ذلك " قالت: وما هو يا رسول الله ؟. قالﷺ " أقضي عنك كتابتك وأتزوجك " قالت: نعم يا رسول الله! قد فعلت؛ واختارت جوار رسول اللهﷺ.

وقدم أبوها الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق إلى المدينة يريد فداء ابنته الأسيرة، فلما كان ببعض الطريق نظر إلى الإبل التي ساقها للفداء فاختار بعيرين رغب فيهما فغيبهما في شعب بالعقيق، ثم أقبل بالباقي إلى رسول اللهﷺ فقال: يا محمد؛ أصبتم ابنتي وهذا فداؤها؟. فقال له رسول اللهﷺ: فأين البعيران اللذان غيبتها بالعقيق؟. ؛؛

[1]) ثابت بن قيس بن شماس بن ظهير بن مالك بن امرئ القيس ابن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج، وأمه امرأة من طي. يكنى أبا محمد، كان ثابت بن قيس خطيب الأنصار، شهد أحدا وما بعدها من المشاهد. وقتل يوم اليمامة شهيدا رحمه الله في خلافة أبي بكر الصديقﷺ. ج ١ص٢٠٠.

فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك يا محمد رسول الله؛ والله ما أطلعك ذلك إلا الله؛ ثم أسلم وأسلم معه اثنان من أبنائه وناس من قومه وأرسل إلى البعيرين فجاء بهما ثم دفع إليه رسول الله ابنته جويرية ثم خطبها أمامه فزوجه إياها وأصدقها بأربعمائة درهم ([1]).

والصحيح أن رسول الله ﷺ قضى كتابتها وتزوجها دون أن يخطبها من أبيها لأنها كانت أسيرة، وحكمها كحكم الأسرى، وكان قدوم الحارث بن أبي ضرار المدينة بعد زواج ابنته جويرية([2]).



[1]) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني، ص ٢٥٣. الطبقات الكبرى، جـ ٢ص ٦٤.

[2]) إبراهيم قريبي، مرويات غزوة بني المصطلق، ص١١٥.

المطلب الثالث: إطلاق أسرى بني المصطلق بعد زواجهﷺبجويرية.

وما أن انتشر الخبر في الناس أن رسول اللهﷺ قد تزوج جويرية، حتى أطلقوا ما بأيديهم من الأسرى والسبايا، احتراما لأصهار نبي الأمة ورسول الإسلام فأعتق بتزويجه إياها مئتي أهل بيت من بني المصطلق ([1]).

كان زواجهﷺ بأم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها زواج بر ووفاء فبسبب هذا الزواج المبارك أسلمت القبيلة من أجله وحرر الصحابة الأسرى الذين أصابوهم وأعادوهم إلى ذويهم مكرمين واستكثروا على أنفسهم أن يتملكوا أصهار نبيهم عليه الصلاة و السلام.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : ما رأيت امرأة أعظم بركة على قومها منها ([2]).

وتعتبر هذه الغزوة من الغزوات الفريدة المباركة التي أسلمت عقبها قبيلة بأسرها لقد كان زواج رسول اللهﷺ من جويرية بنت الحارث له أبعاده ومزاياه، فبسبب زواجها هدى الله أكثر بني المصطلق إلى الإسلام، وأسلم الحارث بن أبي ضرار، وكان لمعاملة رسول اللهﷺ الحسنة أثره الجميل في قلوب بني المصطلق فسارعوا إلى اعتناق الإسلام بقناعة تامة وإيمان راسخ، فقد رأوا أن مثل هذه الأخلاق الكريمة لا يمكن أن تصدر إلا من نبي كريم ونالت أم المؤمنين السيدة جويرية رضي الله عنها بذلك ثواب هداية قومها.

---

[1]) ابن حبان، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، جـ١ص ٢٧٥. الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله جـ ١ص ٥٤٧.

ابن كثير، السيرة النبوية، جـ ٣ص ٣٠٣.

[2]) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: السقا، القسم الثاني، ص ٢٥٢. وانظر أيضا: الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله، جـ١ص ٤٥٧. القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، جـ١ص ٥٠٤.

وقد وصف الصلابي هذا الحدث التاريخي العظيم والفريد من نوعه فقال: إن مرد كل ذلك هو المحبة الصادقة في نفوس الصحابة لرسول الله ﷺ وتكريمهم له وإكبارهم لشخصه العظيم، أثمرت كل هذه الثمار اليانعة وآتت أكلها ضعفين، فعاد هذا الزواج بكل معاني الخير والنفع في الدارين ([1]).

وقد أراد ﷺ في إكرام هذا الصنف من النساء الأسيرات، أن يضرب للناس أروع الأمثلة على سماحة الإسلام، وأن يزيل من الأذهان ما كان قد علق بها من احتقار للإماء، واتخاذهن فقط للبيع أو للخدمة، وحرمانهن من نعمة العتق إلا بالمكاتبة وشراء أنفسهن من مالهن، فتعلم المسلمون من هذه الزيجة كيفية صيانة سيدات الأسر الكريمة بين قومها "([2]).

كانت السيدة جويرية بنت الحارث رضي الله عنها سيدة من سادات قومها فأبوها الحارث بن أبي ضرار هو سيد قومه وزعيم من زعماء وبنو المصطلق، وبني المصطلق كانوا من أعز العرب دارا وأكرمهم حسبا، فكان زواج الرسول ﷺ لها من قبيل إنزال الناس منازلهم، فهي لم تكن تصلح إلا لزعيم المسلمين، كما قال الصحابة لرسول الله ﷺ في شأن السيدة أم المؤمنين صفية بنت حيي " يا رسول الله، إنها سيدة بني قريظة، وبني النضير، ما تصلح إلا لك !" (٣).فتزوجها ﷺ لذلك السبب.

---

[1]) محمد الصلابي، السيرة النبوية، ص ٥٧٣.

٢) إنجونغو امبكي، أروع القيم الحضارية في سيرة خير البرية، تحقيق علمي حول الشبهات المثارة حول زواج النبي الكريم وجهاده وشمائله، دكار، السنغال، مطبعة دار يمبل الطبعة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٢٧.

٣) صحيح مسلم، باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها، ح ١٣٦٥ جـ ٢ص١٠٤٢. وانظر أيضا: السجستاني، أبي داود سليمان بن الأشعث، ت٢٧٥هـ، سنن أبي داود، بَابُ مَا جَاءَ فِي سَهْمِ الصَّفِيِّ، ح ٢٩٩٨، تحقيق: محمد محي الدين عبد المجيد، بيروت، دار المكتبة العصرية، جـ ٣ ص١٥٣.


جامعة أم القرى
UMM AL-QURA UNIVERSITY

المبحث الثالث: أسرى هوازن "حنين".

وفيه مطلبين

المطلب الأول: في سبب الغزوة.



المطلب الثاني: المن على الأسرى والسبايا من هوازن.

المطلب الأول: في سبب الغزوة.

حُنين: واد من أودة مكة تقع شرقها بقرابة ثلاثين كيلاً ويسمى اليوم " وادي الشرائع (١) وسبب الغزوة هو أنه في السنة الثامنة من الهجرة، الموافق٦٣٠م. لما فتح الله مكة على رسوله، وخضعت له قريش خافت هوازن وثقيف من أن يغزوهم النبيﷺ فأجمعوا أمرهم على المبادرة بحرب رسول اللهﷺ والمسلمين وولوا أمرهم إلى مالك بن عوف النصري، فاجتمعت إليه هوازن وثقيف، وعدد من قبائل نصر وجشم كلها، وسعد بن بكر وناس من بني هلال، ولم يشهدها من قيس عيلان إلا هؤلاء ولم يحضرها هوازن كعب ولا كلاب، وكان دريد بن الصمة وهو أحد المخضرمين، والذي اشتهر بالشدة في الحرب والأصالة في الرأي، شيخا كبيرا كف بصره، فلم يكن له إلا الرأي والمشورة، وكان قرار مالك بن عوف أن يخرج الجيش ووراءه النساء والذراري والأموال حتى يستميت الرجال في الدفاع عن أموالهم وأولادهم ونسائهم ولا يفكروا في الهرب.

فلما علم بذلك دريد سأله: ولم ذلك ؟..فقال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله حتى لا يفر ليقاتل عنهم.. فقال دريد: وهل يرد المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كان عليك فضحت أهلك ومالك !! ولكنه مضى لرأيه ولم يأخذ بنصيحته ومشورته وهو رجل خبير مجرب، واستخف مالك قومه فأطاعوه، وخرج بجيشه وأمرهم أن يكسروا جفون سيوفهم إذا رأوا المسلمين ثم يحملوا عليهم حملة رجل واحد بعشرين ألف سيف مكسور الجفن (٢).

---

(١) عاتق البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، ص ١٠٧.
أنظر خريطة غزوة حنين رقم " ٣٣".

(٢) الواقدي، جـ ٣ ص٨٨٦- ٨٩٣. وانظر أيضا، ابن حزم، جوامع السيرة، جـ ١ص ١٨٨. الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله، جـ ص ٥١٨.

ولما سمع رسول الله نبأ تجمعهم بعث إليهم عبد الله بن أبي حدر الأسلمي ([1]).
فعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول اللهﷺ فعاد وأخبره أمر مالك وهوازن وما هم عليه، فخرج رسول اللهﷺحتى وصل إلى وادي-حنين-ومعه اثني عشر ألف رجل عشرة آلآف من أهل المدينة، وألفان من أهل مكة، وهم الطلقاء ([2]).

وكان القوم قد سبقوا إلى الوادي، فكمنوا في شعابها، ثم أجمعوا وتهيئوا وأعدوا وأخذوا بزمام المبادرة، ولما وصل رسول اللهﷺ إلى وادي حُنين، وإذا بالعدو قد سبقهم إليه، فأحاطوا برسول اللهﷺ وجيشه، وحملوا عليهم حملة رجل واحد، وفوجئوا بوابل من السهام، فانهزم الناس وتقهقروا خوفاً منهم، وثبت رسول اللهﷺ بين يدي العدو ومعه عمه العباس، وأبو سفيان بن الحارث، وأخذ ينادي القوم وهو على بغلته قائلا: " أيّها الناس: هلمّوا إليّ أنا رسول الله؛ محمّد بن عبد الله " فلا يلتفت عليه أحد ([3]).

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن أبيه العباس قال: " شهدت مع رسول اللهﷺ حنينا قال فلقد رأيت النبيﷺ وما معه إلا أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فلزمنا رسول اللهﷺ فلم نفارقه وهو على بغلة شهباء - وربما قال بغلته البيضاء- أهداها له فروة بن نعامة الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين وطفق رسول اللهﷺ يركض بغلته قبل الكفار.

[1]) هو عبد الله بن أبي حدر الأسلمي من أهل المدينة توفي سنة إحدى وسبعين من الهجرة. الذهبي، تاريخ وفيات المشاهير والأعلام، جـ ٥ ص١٨١.
٢) المقريزي، إمتاع الأسماع، جـ٢ ص١٠.
٣) البيهقي، دلائل النبوة، جـ ٥ ص ١٢٧. السهيلي، الروض الأنف، جـ ٧ ص ٢٨٤.

قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول اللهﷺ أكفها وهو لا يألو ما أسرع نحو المشركين وأبو سفيان بن الحارث آخذ بغرز رسول اللهﷺ فقال رسول اللهﷺ يا عباس: ناد أصحاب السمرة (١) قال: وكنت رجلا صيتا فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة ؟.

وكأنه يريد أن يقول لهم، هذا مكان تحقيق البيعة التي أخذتموه. قال: فو الله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها.

فقالوا: يا لبيك يا لبيك، وأقبل المسلمون فاقتتلوا هم والكفار، فناديت الأنصار يقولون، يا معشر الأنصار، ثم قصرت الداعون على بني الحارث بن الخزرج فنادوا يا بني الحارث بن الخزرج قال: فنظر رسول اللهﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول اللهﷺ" هذا حين حمي الوطيس"

قال: ثم أخذ رسول الله ﷺحصيات فرمي بهن وجوه الكفار ثم قال: " انهزموا ورب الكعبة انهزموا ورب الكعبة ".

قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى قال: فو الله ما هو إلا أن رماهم رسول اللهﷺ بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا حتى هزمهم الله قال وكأني أنظر إلى النبيﷺ يركض خلفهم على بغلته ولم يكتمل رجوع المسلمين إلى رسول اللهﷺ حتى وجد الأسرى مكتفين عند رسول الله ﷺ " (٢).

---

(١) السمرة: هي الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية.

(٢) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، باب حديث العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ ح ١٧٧٥، جـ ٣ص ٢٩٦. وانظر أيضا، النيسابوري، محمد بن عبد الله بن حمدويه، ت ٤٠٥هـ، المستدرك على الصحيحين، باب ذكر إسلام العباس،ح ٥٤١٨، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية،الطبعة١٤١١هـ/١٩٩٠م جـ ٣ص٣٧٠ وانظر أيضا: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، جـ ٨ ص ٩٨

ولما سمع المجاهدون هذه الكلمات تحركت مشاعر الإيمان والشجاعة في نفوسهم، فقالوا بصوت واحد: لبيك يا رسول الله لبيك، وانتظم الجيش مرة أخرى واشتد القتال، وما هي إلا ساعة حتى انهزم المشركون، وولوا الأدبار تاركين النساء والأموال والأولاد، تحولت الهزيمة إلى نصر بإذن الله تعالى.

وحول ما حصل في حُنين من فرار الناس عن رسول اللهﷺ قال الله عز وجل:

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ التوبة: ٢٥ - ٢٦ .

وانهزم المشركون فتقهقروا إلى الطائف ومعهم مالك بن عوف النصري وتحصنوا بها، وأمر رسول اللهﷺ بملاحقتهم، فأدرك بعض الفارين منهم بأوطاس وهزمهم بعد مناوشات دارت بين الفريقين، وأمر رسول اللهﷺ بالغنائم والأموال والسبايا فجمعت وأمر أن تساق إلى الجعرانة " في الشمال الشرقي من مكة " وأن تحبس هناك وكلف أشخاصا معينين بحراستها (١).

وانطلق جيش المسلمين إلى الطائف لمطاردة فلول المنهزمين الذين لجأوا إلى حصونها وأغلقوا عليهم أبواب مدينتهم ونصبوا الكمائن للقتال، ونزل رسول اللهﷺ قريبا من حصنهم، وأمطروا على المسلمين بوابل النبل فقتلوا منهم احدى عشر رجلا.

١) ابن كثير، السيرة النبوية، جـ ٣ ص ٦٣٨. الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن جـ ١٤ ص ١٨١

وأصيب ناس منهم بجراحة، استمر الحصار تسعة عشر ليلة، فنصب رسول اللهﷺ عليهم المنجنيق، وكانت مقاومة شرسة تكبد المسلمون خلالها خسائر مادية وبشرية، فقد حاول نفر من أصحاب رسول اللهﷺ الدخول تحت دبابة خشبية مغشاة بالجلود حتى دنوا من سور الطائف، فأرسلت ثقيف عليهم سكك الحديد المحماة، فأحرقت دبابتهم ورموهم بالنبل، فأصابوا عددا منهم ([١]).

وأمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب أهل الطائف، فاسترحمه ابن الأسود بن مسعود الثقفي في ماله فكف عن قطعه رحمة لهم ([٢]).

وذكر الواقدي أن سفيان بن عبد الله الثقفي قال للرسولﷺ يا محمد. لا تقطع أموالنا؟. إما أن تأخذها إن ظهرت علينا، وإما أن تدعا لله وللرحم كما زعمت!. فقال رسول اللهﷺ " فإني أدعها لله وللرحم " ([٣]).

وأمر رسول اللهﷺ مناديا فنادى بالأمان لكل من نزل من الحصن، فخرج إليه بضعة عشر رجلا وأسلموا فأعتقهم رسول اللهﷺ ودفع كل رجل منهم إلى مسلم يمونه فشق ذلك على أهل الحصن مشقة شديدة ([٤]).

ثم عزم رسول اللهﷺ على رفع الحصار بعد أن أصيب عدد من المسلمين جراء رشق أهل الحصن بالنبال، فأمر عمر بن الخطابرضي الله عنه فنادى في الناس: إنا قافلون غدا إنشاء الله؛.

[١]) الواقدي، جـ ٣ص ٩٢٧ وما بعدها... أنظر الخريطة رقم (٣٠).

[٢]) ابن حزم، جوامع السيرة ، جـ ١ص ١٩٣.

[٣]) الواقدي، جـ ٣ ص ٩٢٨.

[٤]) الواقدي، جـ ٣ص ٩٣١، المقريزي، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال، جـ ٢ص ٢٢. الشامي، محمد يوسف، سبل الهدى والرشاد لهدي خير العباد، جـ ٥ص ٣٨٤.

ولما سمع الناس ذلك ثقل عليهم المغادرة، وقالوا: يا رسول الله نذهب ولم نفتحه ؟. فقال لهم: " أغدوا على القتال" فغدوا وأصيب عدد منهم بجروح، ثم نادى رسول الله ﷺ فقال: " قولوا لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده".

فلما ارتحلوا واستقلوا قال: " قولوا آيبون إنشاء الله عابدون لربنا حامدون" ثم انصرف رسول الله ﷺ عن الطائف حتى نزل الجعرانة وكان قد غنم غنائم كثيرة من الإبل والشياه، وأسر عددا مهولا من المشركين، ثم دعا لثقيف فقال: اللهم اهد ثقيفا وائت بهم ! (١).



١) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق : السقا، القسم الثاني، ص ٤١٤. الواقدي، جـ ٣ص ٩٣٧. ابن حزم، جوامع السيرة، جـ ١ص٢٤٢.

المطلب الثاني: المن على الأسرى والسبايا من هوازن.

واستجاب الله لدعاء نبيهﷺفقدم وفد هوازن إليه بالجعرانة وأعلنوا إسلامهم بعد أن فقدوا كل ما كان لهم وخسروا نساءهم وأبناءهم وأموالهم، ثم سألوا رسول اللهﷺ أن يرد إليهم ما أخذ منهم، فخيرهمﷺ إحدى الطائفتين، إما السبي وإما المال.

وكان رسول اللهﷺ انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أن رسول اللهﷺ غير راد إليهم أموالهم إلا إحدى الطائفتين قالوا: إنا نختار سبينا !.

فقام رسول اللهﷺ في المسلمين وأثنى على الله بما هو أهله ثم خطبهم فقال:

" أما بعد: فإن إخوانكم هؤلاء قد جاءوا تائبين، وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول مال يفئ الله علينا فليفعل " فقال الناس: قد طيبنا ذلك يا رسول الله (١).

ومن رسول اللهﷺ على أسرى هوازن بعد القسمة وطلب من المسلمين أن يطلقوا سراح أسراهم بعد أن أطلق سراح من بيده وأيدي بني عبد المطلب من الأسرى.

ثم سأل رسول اللهﷺ الوفد عن زعيمهم مالك بن كعب، فقالوا هو بالطائف مع ثقيف، فقال: " أخبروه أنه إن أتاني مسلما رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل ".

١) البيهقي، دلائل النبوة جـ ٥ ص ١٩١. وانظر أيضا: ابن كثير، السيرة النبوية، جـ ٣ ص٦٧٠. المقريزي، إمتاع الأسماع، جـ ٩ ص ٣٥٤.

وقدم مالك الجعرانة فأكرمه الرسولﷺ ورد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل وأسلم فحسن إسلامه، وقد تأثر مالك بن عوف بهذه المعاملة الكريمة،والخلق العظيم بإكرام رسول اللهﷺ له وإطلاق كل الأسرى من قومه، فمدح رسول اللهﷺ بأبيات من الشعر شكر فيها رسول اللهﷺ قائلا.

مَـا إنْ رَأَيْـتُ وَلاَ سَمِعْـتُ بِمِثْلِـهِ   فِي النَّـاسِ كُلِّهِـمُ بِمِثْـلِ مُحَمَّـدِ
أَوْفَى وَأَعْطَـى لِلْجَزِيـلِ إذَا اجْتُـدِي   ومَـتَى تَشَـأْ يُخْـبِرْكَ عَمَّـا فِي غَـدِ
إذَا الْكَتِيبَةُ عَرّدَتْ أَنْيَابَهَا   بِالسَّمْهَرِيِّ وضَرْبِ كُلِّ مُهَنَّدِ
فكأنه ليث على أشباله   وسط الهباءة خادر في مرصد.

واستعمله رسول اللهﷺ على قومه وعلى من أسلم من تلك القبائل حول الطائف وحفظ له مكانته ومنزلته. (١).

وهذا من أروع النصوص الدالة على رحمة الإسلام بالأسرى، ومن الأدلة الرائعة التي تبين أن الإسلام إنما جاء لمكافحة آثار الرق والاستعباد لغير الله تماما كالطبيب الماهر الذي عليه أن يضع أنواعا من العلاج للمريض، لمنع تسرب الداء وانتشاره وامتداده إلى الأعضاء الأخرى السليمة من الجسم، وكان عدد سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء، ومن الإبل والشاء ما لا يُدرى عدته (٢).

١) الواقدي، جـ ٣ص٩٥٦. وانظر أيضا : البيهقي، دلائل النبوة، جـ ٥ ص١٩٨. ابن كثير، السيرة النبوية، جـ ٣ ص٦٨٣

٢) ابن هشام، تحقيق : السقا، القسم الثاني، ص٤١٤. البيهقي، جـ ٥ ص ١٧١. السهيلي، الروض الأنف، جـ ٧ ص ٣٤٧.

وكان من بين الأسرى الذين سيقوا إلى رسول اللهﷺ الشيماء بنت حليمة السعدية أخت النبيﷺ من الرضاعة ([1]) ساقها المسلمون وهم لا يدرون.

فقالت: تعلمون أني والله لأخت صاحبكم من الرضاعة ؟ فلم يصدقها أحد حتى قدموا بها إلى النبيﷺ فلما جاءت قالت: يا رسول الله إني أختك من الرضاعة.

قال: " وما علامة ذلك ؟ " قالت: عضة عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك ([2]) فعرف رسول الله العلامة، فبسط لها رداءه فأجلسها عليه فأكرمها رسول اللهﷺ وأعطاها وأحسن إليها، ثم قال لها:" إن أحببت أقمت عندي مكرمة محببة أو متعتك ورجعت إلى قومك فاختارت قومها فمتعها رسول اللهﷺ فأسلمت وردها إلى قومها مكرمة معززة "([3]).

وقال أبو الطفيل ([4]) رأيت النبيﷺ وأنا غلام إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه ؟. قالوا أمه التي أرضعته (٥).

وعن عمرو بن السائب أن رسول اللهﷺ كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقامﷺ فأجلسه بين يديه ثم خيرها بين الجلوس معه وبين الرجوع إلى قومها فاختارت أن ترجع إلى بلادها مختارة لذلك (٦).

---

[1]) هي بنت الحارث بن عبد العزى، من بني سعد بن بكر بن هوازن. ابن حبان، الثقات، جـ ١ص ٣٨.

٢) متوركتك: حاملتك على وركي. والورك: ما فوق الفخذ، ابن منظور، لسان العرب،جـ ١٠ص ٥٠٩.

٣) الواقدي، جـ ٣ ص٩١٣. السهيلي، الروض الأنف، جـ ٧ ص ٣٠٤.

٤) هو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمير بن جابر بن حميس بن جزء بن سعد بن ليث بن كلدة ، ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٥ص٤٥٧.

٥) الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، جـ ٢ص ٢٠٥. ابن كثير ، السيرة النبوية ، جـ ٣ص ٦٨٩.

[6]) ابن حزم، جوامع السيرة، جـ ١ص٢٤٥، وانظر أيضا : القاضي، أبو الفضل عياض بن موسى، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، جـ ١ص ١٢٨.

وقد وردت أحاديث أخرى تدل على أن أبوي رسول اللهﷺ وأخواه من الرضاعة جاءوا إلى رسول اللهﷺ وهو مقيم بالجعرانة فبسط لهم ثوبه وأجلسهم عليه وأن أمه سألته من سبايا حنين فأعطاها نصيبه ولما رأى الناس ذلك أعطوها أنصباءهم، وفيما يلي سياق ما ورد من الآثار.

ومنها ما أخرجه الطبري عن قتادة قال: " ذكر لنا أن أم رسول اللهﷺ التي أرضعته أو ظئره من بني سعد بن بكر أتته فسألته سبايا يوم حنين، فقال رسول اللهﷺ " إني لا أملكهم وإنما لي منهم نصيبي، ولكن ائتيني غدا فسليني والناس عندي، فإني إذا أعطيتك نصيبي أعطاك الناس" فجاءت الغد فبسط لها ثوبا، فقعدت عليه ثم سألته، فأعطاها نصيبه، فلما رأى ذلك الناس أعطوها أنصباءهم (١).

وقد عمرت حليمة دهرا ، فإنه من وقت أرضعت رسول اللهﷺ إلى وقت الجعرانة أزيد من ستين سنة، وأقل ما كان عمرها حين أرضعتهﷺ ثلاثين سنة، والله أعلم بما عاشت بعد ذلك (٢).

وحديث عمرو بن السائب المتقدم ذكره تدل على أن لهذه القصة أصلا.

وقد عدَّ العلماء حليمة السعدية وزوجها وابنها في الصحابة.

قال ابن حجر: "ويحتمل أن يكون ذلك وقع للأب والابن، وقد سماه بعضهم عبد الله، وذكره في الصحابة، ثم أورد حديث عمر بن السائب في قدوم أبوي رسول اللهﷺ وأخيه إلى الجعرانة (٣) .

---

١) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، جـ١١ص ٣٨٩

٢) إبراهيم قريبي، مرويات غزوة حنين، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة، الأولى،١٤١٢هـ، ص٢٦٨.

٣) ابن حجر العسقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة،جـ١ص٦٧٧.

وكان عمرﷺ قد أصاب جاريتين من سبي حنين فوضعهما في بعض بيوت مكة، فلما من رسول اللهﷺ على السبايا، قال عمر لابنه عبد اللهﷺ: يا عبد الله. اذهب فأرسل الجاريتين (١).

وقد اتبع الرسولﷺطريقة حكيمة في تحرير الأسرى فعند ما جاءه وفد القوم مسلمين وناشدوه إخلاء سبيل أسراهم قال لهم: " ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم "، ثم أوحي إليهم سراً أن يستشفعوا به لدى المسلمين عقب انصرافه من الصلاة ففعلوا، فقام النبيﷺ وسأل الناس أن يخلوا سبيل الأسرى.

ووعد المتمسك بحقه من الجند، أن يدفع له ست نياق من أية غنائم تأتى إلى النبيﷺفي أقرب وقت ممكن، تعطى له مقابل كل نفس يطلق سراحها، فتنازل المهاجرون بحقهم في الأسرى وقالوا: ما كان لنا فهو لرسول الله، ثم تنازل الأنصار عن حقهم كذلك لرسول اللهﷺ (٢).

وهكذا خطط النبيﷺ في تحرير الأسرى بأسلوب غير مباشر ودعا إلى إطلاق سراح الجميع، ووعد كل من يطلق سراح أسير لديه بعطاء سخي في أقرب فرصة كما حدث في غزوة بني المصطلق (٣).

وذكر ابن إسحاق قال: حدثني أبي وجزة السعدي يزيد بن عبيد أن رسول الله ﷺ أعطى من سبي هوازن علي بن أبي طالب جارية يقال لها ريطة بنت هلال بن حيان بن عميرة وأعطى عثمان زينب بنت حيان وأعطى عمر بن الخطاب فلانة فوهبها لعبد الله بن عمر (٤).

---

١) ابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر إبراهيم الرياض، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م . وانظر أيضا : ابن كثير، السيرة النبوية، جـ ٦ص ٣٩٣

٢) عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، ص ٣٠١.

٣) الواقدي، جـ ٣ص٩٥١. وانظر أيضا، ابن حزم، جوامع السيرة، جـ ١ص٢٤٥. وانظر أيضا: مسند الإمام أحمد، جـ ١١ص ٦١٣.

٤) البيهقي، دلائل النبوة، جـ ٥ ص ١٦٩.

قال ابن إسحاق: " أعطى رسول اللهﷺ عمر بن الخطابرضي الله عنه جارية من سبي هوازن، فوهبها لعبد الله بن عمر ابنه، فبعث بها إلى أخواله من بني جمح ليصلحوها له وذهب ابن عمر ليطوف بالبيت ثم أقبل من المسجد وهو يريد أن يصيبها فإذا به يرى الناس يشتدون، قال : فقلت:" ما شأنكم "؟ .

قالوا: " رد علينا رسول اللهﷺ نساءنا وأبناءنا؛ قلت: تلكم صاحبتكم في بني جمح، فاذهبوا فخذوها " فذهبوا فأخذوها ([1]).

وأنزل الله عز وجل في يوم حنين ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ التوبة: ٢٥ ـ ٢٦.

١) ابن هشام،السيرة النبوية ، تحقيق: السقا، القسم الثاني، ص ٤١٦. السهيلي، الروض الأنف، جـ ٧ص٣٥٢. وانظر أيضا : ابن كثير، السيرة النبوية، جـ ٣ص٦٧١.


جامعة أم القرى
UMM AL-QURA UNIVERSITY

المبحث الرابع: الأسرى في سرايا مختلفة.

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : الأهداف من وراء هذه السرايا.

- سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة.
- سرية أبي سلمة بن عبد الاسد إلى بني أسد.
- بعث عمرو بن أمية الضمري لقتل أبي سفيان.

المطلب الثاني: الأسرى في سرايا سنة ست.

- سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء.
- غزوة الغابة لتأديب بني فزارة "ذي قردة".
- سرية عكاشة بن محصن إلى الغمر
- سرية زيد بن حارثة إلى الجموم.
- سرية أبي عبيدة إلى ذي القصة.


جامعة أم القرى
UMM AL-QURA UNIVERSITY

- سرية زيد بن حارثة إلى العيص.

- سرية زيد بن حارثة إلى حسمى.

- سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة.

- سرية كرز بن جابر إلى العرنيين.

- سرية زيد إلى مدين.

المطلب الثالث: الأسرى في سرايا سنة تسع.

- سرية علي بن أبي طالب إلى بني طي.

- سرية خالد بن الوليد إلى أكيدر "بدومة الجندل".

- سرية غزوة عيينة بن حصن بني العنبر من بني تميم

المطلب الأول: الأهداف من وراء هذه السرايا.

بعد أن استقر رسول الله ﷺ في المدينة، وأرسى قواعد دولته،جاء الأمر الرباني بالبدء بالقتال، فبدأ رسول الله ﷺ يبعث سراياه المسلحة لتجوس خلال الصحراء المجاورة مخترقا طرق القوافل المارة بين مكة والشام وتستطلع أحوال القبائل المارة والضاربة هنا وهناك، وكان الهدف من تلك السرايا.

١- الإغارة على قوافل قريش بحرب اقتصادية أرقت مضجع قريش وأرهقتها، مما اضطرها للخروج من موطنها لتقاتل في بدر.

٢- استهداف قريش بالحرب فقط، دون سائر العرب إلا من سولت له نفسه حرب المدينة.

٢- قطع موارد قوتها من يهود وأعراب وإبقاؤها في الساحة القتالية وحدها.

٣- الدخول معها في مصالحة إن وافقت على وضع الحرب بشرط الاعتراف بحق المسلمين في المقدسات ([1]).

وفي السنة الأولى من الهجرة، وفي شهر رمضان المبارك بعث رسول الله ﷺ أول سرية له بقيادة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في ثلاثين نفر من الصحابة للالتقاء بأبي جهل الذي كان يقود قافلة لقريش تضم ثلاثمائة راكب، وقد حجز بينهما مجدي بن عمرو الجهني فلم يقع قتال بين الطرفين ([2]).

---

[1]) صالح الشامي، من معين السيرة، ص١٩٨. مهدي رزق الله ، السيرة النبوية،، الرياض، دار إمام الدعوة، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ جـ ١ص٣٩٣. وما بعدها.

[2]) البيهقي، دلائل النبوة،جـ ٣ص١١.

وفي شوال أرسل عبيد بن الحارثﷺ في ستين راكبا إلى وادي "رابغ "([1])
فالتقى بمئتي مشرك على رأسهم أبو سفيان بن حرب، وترامى الفريقان بالنبل ولم يقع بينهما قتال.
وفي ذي القعدة خرج سعد بن أبي وقاصﷺ في نحو عشرين رجلا لاعتراض عير لقريش ففاتته.
وفي جمادى الآخر خرجﷺ إلى العشيرة من بطن " ينبع " وأقام شهرا صالح فيه بني مدلج.

يقول الشيخ محمد الغزالي: والحكمة في توجيه هذه السرايا على ذلك النحو المتتابع هو إشعار مشركي يثرب ويهودها وأعراب البادية الضاربين حول المدينة، بأن المسلمين أقوياء، ومستيقظين ضد أي عدوان، وأنهم قد تخلصوا من فترة الضعف التي كانوا فيها، والذي مكن قريشا في مكة من مصادرة عقائدهم وحرياتهم واغتصاب دورهم وأموالهم، ومن حق المسلمين أن يعنوا بهذه المظاهرات العسكرية على ضآلة شأنها فإن المتربصين بالإسلام في المدينة كثر، ولن يصدهم عن النيل منه إلا الخوف وحده وهذا بيان تفسير قوله تعالى:﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾
الأنفال: ٦٠.

والصنف الآخر هم المنافقون الذين يبطنون البغضاء للإسلام وأهله، ولا يمنعهم من إعلان السخط عليه إلا الجبن وسوء المغبة.

---

[1]) رابغ: بكسر ثانيه، وبالغين المعجمة: موضع بين المدينة والجحفة. البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، جـ ٢ص ٦٢٥.

وقد منعت السرايا الزاحفة أن تتكرر أن يتجرأ البدو على تهديد المدينة حينا بعد حين، كما قطعت نيات الطمع في مثل ذلك وحفظت هيبة المسلمين.

كما لعبت دورا كبيرا في إنذار قريش عقبى طيشها لمحاربت الإسلام بمكة ونكلت بالمسلمين، ثم ظلت ماضية في غيها لاتسمح لأحد من أهل مكة أن يدخل في دين الله ولا تسمح لهذا الدين أن يجد قرارا في بقعة أخرى من الأرض وقد أحب الرسول ﷺ أن يشعر حكام مكة بأن فترة الضعف قد انتهت ودخل المسلمون في مرحلة القوة وأن أي خطة جائرة ستلحق بهم الأضرار الفادحة ([1]).



[1]) الغزالي، محمد، فقه السيرة، جـ ٢٢٢ وما بعدها.

- سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة [1].

في شهر رجب من السنة الثانية من الهجرة، الموافق ٦٢٤م. بعث رسول الله ﷺ سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه في ثمانية رهط من المهاجرين وكتب له كتابا، وطلب منه ألا ينظر فيه إلا بعد أن يسير بأصحابه يومين.

وقد امتثل القائد المجاهد عبد الله بن جحش للأوامر النبوية العليا، وسار بالسرية وبعد يومين فتح الرسالة فإذا مكتوب فيها " إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها عير قريش وتعلم لنا من أخبارهم " وعندما قرأ الرسالة تهلل وجهه فرحا وقال: سمعاً وطاعة، والتفت إلى أصحابه وأخبرهم بما جاء في مضمون الرسالة، وقال لهم نهاني رسول الله ﷺ أن أستكره أحدا منكم، فمن أحب الشهادة فلينهض، ومن كره الموت فليرجع وأما أنا فناهض، فنهضوا كلهم ومضى الجميع لأمر رسول الله ولم يتخلف منهم أحد (٢).

لم يكن التكليف تكليفًا شفهيا، ولا تكليفًا علنيًا، بل إن الرسول ﷺ دخل حجرته واختلى بكاتبه، وتم كتابة الرسالة في سرية تامة، ثم دعا رسول الله ﷺ قائد هذه السرية فدفعها إليه بيده الكريمة.

---

١) نخلة على الطريق القديم بين مكة والطائف، واد يصب في يدعان، عاتق البلاذري، ص٣١٧. أنظر خريطة سرية نخلة رقم "١٠"١١".

٢) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الأول، ص٥٣٣. السهيلي، الروض الأنف، جـ ٥ ص٥٢. ابن كثير السيرة النبوية، جـ ٢ص٣٦٦.

ولعل السبب في هذ الحرص على سِّرِيَةِ هذه السريَّة هو أن المدينة كانت تعيش فيها يهود ومشركون ومنافقون ولربما تسرب الخبر عن السرية من المدينة إلى قريش، فلما سار أفراد السرية وهم بأنفسهم لا يعلمون وجهتهم أصبح النبيﷺ آمنا من اكتشاف الهدف المقصود، وهذه من العبقريات الحربية العسكرية الفذة التي استعملها الرسولﷺ في هذه السرية.

غير أنهم لما كانوا في أثناء الطريق أضل سعد بن أبي وقاص ([1]) وعتبة بن غزوان ([2]) بعيرا لهما كانا يتعقبانه فشغلا في طلبه. ولأن المهمة سرية لا تحتمل التأخير وأهم عنصر فيها الوقت الذي يعتبر أساسيًّا لعنصر المباغتة استأذنا القائد في التخلف عنه في طلبه حتى لا يكونا سببًا في تعطيل مسير السرية الاقترابي نحو الهدف، ومضى عبد الله بن جحشرضي الله عنه ببقية أصحابه حتى نزلوا " بنخلة " فمرت بهم العير فاستشار عبد الله بن جحش في قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم واتفقوا على ذلك، فرمى واقد بن عبد الله التميمي ([3]) عمرو ابن الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، وأفلت نوفل بن عبد الله فأعجزهم، وعاد عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين حتى قدموا على رسول اللهﷺ وعزل عبد الله بن جحش الخمس لرسول الله وقسم الباقي بين أصحابه.

---

١) هو سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، ويكنى أبا إسحاق. وأمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس، أسلم وهو ابن سبع عشرة سنة،و شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، مات في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة فحمل إلى المدينة على رقاب الرجال وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة. وذلك في سنة خمس وخمسين. وكان يوم مات ابن بضع وسبعين سنة، انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٣ص ١٠١ وما بعدها.

٢) جابر بن وهب بن نسيب بن زيد بن مالك بن الحارث ن جابر بن وهب بن نسيب بن زيد بن مالك بن الحارث ، يكنى أبا عبد الله، وكانت ولايته على البصرة ستة أشهر. ثم قدم على عمر المدينة فرده عمر على البصرة واليا فمات في البصرة سنة سبع عشرة. وهو ابن سبع وخمسين سنة. وذلك في خلافة عمر بن الخطاب.انظر المصدر السابق جـ ٣ ص٧٢.

[3]) هو واقد بن عبد الله بن عبد مناة بن عزيز بن ثعلبة بن يربوع التميمي،ابن سعد الطبقات،جـ٣ ص٣٩٠.

فلما قدموا على رسول اللهﷺ أنكر القتال عليهم، وأوقف التصرف بالأموال فلم يأخذ منها شيئا، وحبس الأسيرين وقال لأصحابه. " ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام "([1]).

وقد وضع الرسولﷺ في حرج شديد، ولم يكن عنده وحي بهذا الشأن، وهو لا يُقِرُّ خرق المواثيق والحرمات، ولم يسعده ما حدث رغم كل الآلام التي عاناها قبل ذلك من قريش.

وأما الصحابة الذين قاموا بالسرية فقد أسقط في أيديهم، ورأوا أنهم قد أخطأوا في الاجتهاد، وجاء إليهم بقية الصحابة ممن لم يشارك في السرية يلومونهم ويعنفونهم ويلقون عليهم اللوم ([2]).

يقول ابن حزم" وكانت هذه أول غنيمة غنمت في الإسلام وخمست، وأول أسيرين أسرا من المشركين، وأول قتيل قتل منهم "(٣).

وفي ظل هذه الحادثة وجد مشركي قريش فيما حدث فرصة لاتهام المسلمين بأنهم قد أحلوا ما حرم الله من حرمة الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال، فشنت حربا إعلامية ضد الإسلام ونبي الإسلام والمسلمين أمام الرأي العام في الجزيرة العربية.

وبدأ اليهود يثيرون القلاقل والفتن في المجتمع ويتشاءمون بالشر وكان مما قالوا: عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله التميمي، عمرو عمرت الحرب، والحضرمي حضرت الحرب، وواقد وقدت الحرب، فجعل الله عز وجل ذلك عليهم لا لهم (٤).

[1]) البيهقي، دلائل النبوة، جـ ٣ص١٩.

[2]) أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العبيكان، الطبعة السابعة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م،جـ٢ص ٣٤٧.

[3]) ابن حزم، جوامع السير، جـ ١ص ١٠٦. وانظر: العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري،كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة، جـ٢ص٢٧.

٤) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الأول، ص ٥٣٥. وما بعدها. وانظر: البغوي، تفسير البغوي" معالم التنزيل" جـ١ص٢٧٤.

فلما أكثروا في ذلك أنزل الله عز وجل من القرآن الكريم ما يوضح للناس كافة - مؤمنهم ومشركهم- الحقائق كما ينبغي أن تكون، وليبين للناس ما اختلفوا فيه وليخرج المسلمين من المثالية إلى فقه الواقع (١) وفقه الموازنات (٢) وفقه الأولويات(٣) ونزل ليفضح مكر الماكرين وكيد الكافرين، ويؤازر الطائفة المؤمنة الصادقة التي أرادت أن ترفع عن كاهلها وكاهل المسلمين بعض ما وقع عليهم من ظلم.

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ البقرة: ٢١٧.

لقد بين الله ﷻ أنه لا معنى أبدًا لتلك الضجة المفتعلة، والتمثيلية الهزلية التي قام بها كفار قريش، ومن يدافع عن الحرمات لابد أن يكون مؤهلا لما يدعيه، فعلى الرغم من أن القتال في الشهر الحرام أمر كبير لا ينبغي أن يسعى إليه المسلمون، إلا أن ما فعلته قريش أكبر وأعظم من ذلك، فالكفر بالله تعالى وعبادة الأصنام من دون الله أكبر من القتال في الشهر الحرام.

---

١) فقه الواقع: هو علم يبحث في فقه الأحوال المعاصرة، من العوامل المؤثرة في المجتمعات، والقوى المهيمنة على الدول. ناصر العمر، فقه الواقع ص٥.و قال محمد بن شاكر الشريف، فقه الواقع: يعنى فقه الحياة التي يعيشها الشخص."مجلة البيان " العدد ٢٣٨ " جـ ٢٤٣ص ٤، أهل الذمة والولايات السياسية

٢) فقه الموازنة هو: تقدير المصالح والمفاسد وفقه الموازنات مما تتفاوت فيه الاجتهادات وتتباين فيه التقديرات، أبو فيصل البدراني، معالم الطريق إلى الله، ص ٣٣.

٣) فقه الأولويات: هو وضع كل شيئ في مرتبته بالعدل، من الأحكام والقيم والأعمال، ثم يقدم الأولى فا الأولى بناء على معايير شرعية صحيحة، يهدي إليها نور الوحي، ونور العقل، يوسف القرضاوري، في فقه الألويات، دراسةجديدة في ضوء القرآن والسنة، القاهرة، مكتبة وهبة، شارع الجمهورية، عابدين، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٩

ومنع المسلمين من الطواف بالكعبة وأداء المناسك أكبر من القتال في الشهر الحرام، وفتنة المسلمين عن دينهم بالتعذيب والتشريد والقتل أكبر من القتال في الشهر الحرام، وكل هذه الجرائم فعلتها قريش.

ولم يحجزهم شهر حرام ولا بلد حرام، وهو أكبر بكثير مما فعله المسلمون كما وضح المولى بنفسه في الكتاب ([1]) .

ولم يحرص المسلمون على الإتيان بالضرر الأصغر الذي فعلوه من القتل في الشهر الحرام، بل على العكس كانوا يتمنون لو كان القتال في شعبان وليس في رجب، ولكن القافلة كانت ستفلت، وسيستمر ضرر قريش الأكبر تجاه المسلمين فهم معذورون فما قاموا به إنما كان لدفع الضرر عن أنفسهم بمبادرة عدوهم ([2]).

وهكذا أيد الله موقف الصحابة المجاهدين، ووضح الرؤية لعموم المسلمين؛ فهدأت النفوس، واطمأنت القلوب، ثم إن رسول الله ﷺ تعامل مع الحدث تعاملا سياسيا حكيما، يجمع فيه بين القوة والعزة من جانب، وبين التفاهم والتحاور من جانب آخر؛ فقد أخذ القافلة كغنيمة ورفض أن يردها إلى قريش، واعتبرها جزءًا بسيطًا من ممتلكات المسلمين المسلوبة.

ثم هو في الوقت نفسه لم يتشدد في أمر الأسيرين، بل على العكس قبل فيهما الفداء بالمال، ومع ذلك فهذا القبول كان في عزة عظيمة، وظهر ذلك في موقف مهم لرسول الله في قضية هذين الأسيرين، وهو أن السرية رجعت إلى المدينة بغير الصحابيين سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان، الذين سبق الحديث عن تخلفهما.

---

[1]) محمد ابن سويلم ، ١٤٠٣هـ، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، دمشق، دار القلم، الطبعة الثامنة،١٤٢٧هـ، جـ٢ ص ١٢١.وانظر: الغزالي، فقه السيرة، ص ٢٢٤.

[2]) محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، جـ ٢ ص ٦٨٧.

وهنا قرر الرسولﷺ ألا يفدي الأسيرين إلا بعد عودة الصحابيين الجليلين إلى المدينة وذلك مخافة أن يكون كفار مكة قد ألقوا القبض عليهما وقتلوهما، فلما عاد الصحابيان أذن رسول اللهﷺ في الفداء (١).

يقول الرازي: وأكثر المفسرين: رووا عن ابن عباس أنه قال: إن رسول اللهﷺ بعث عبد الله بن جحش الأسدي وهو ابن عمته قبل قتال بدر بشهرين ([٢]).

وهكذا كان رسول اللهﷺ قائداً حريصًا على جنوده، وحريصًا على عدم قطع قنوات الاتصال السياسية مع أعدائه؛ فقَبِل فداء الأسرى، بل وأعطى دية المقتول لأهله؛ وذلك ليفتح باب التعامل بالمثل إذا وقع في أيدي الكفار أسيرٌ مسلم أو قُتِل في يوم ما أحد المسلمين.

كان الهدف الأسمى من هذه السرية هو القيام بجولة استطلاعية وهو رصد عير قريش بين مكة والطائف، والتعرف على أخبارها وإفادة الرسولﷺ بأخبار تلك العير، كما كان إرسال هذه السرية وقوع القتال في آخر يوم من رجب إحد الأشهر الحرم.

وفي ظل هذه الحادثة نجد قريشا كانت في حالة حرب مع رسول اللهﷺ وقد نجحت سرية عبد الله بن جحش في تحقيق هدفها المنشود، على التوغل في المناطق الخاضعة لنفوذ قريش مما أذهلها،بتلك السِّرية التامة، والدقة المتناهية التي تمت بها العملية، حتى إن جواسيس قريش لم تستطع رصدها ولا معرفة الوجهة التي قصدتها، وكان ذلك ما أراده رسول اللهﷺ وخطط له، كما أثبتت هذه السرية بما لا يدع مجالاً للشك بأن سرايا النبيﷺ قوية تستطيع تنفيذ أصعب الأعباء والمهمات وتتحلى بمزايا القتال، وقدرتها على إنجاز الواجبات بكل كفاءة واقتدار؛ مما يدل على روحها المعنوية العالية ([٣]).

١) مغازي الواقدي، جـ١ص١٦ وما بعدها.
[٢]) مفاتيح الغيب، جـ ٦ ص٣٨٦.
[٣]) محمد الصلابي، السيرة النبوية، ص ٣٧٢.

- سرية أبي سلمة بن عبد الأسدﷺ إلى بني أسد .

كانت هذه أولى السرايا التأديبية التي قام بها الجيش الإسلامي ضد عرب البادية، ففي شهر ذي الحجة من السنة الرابعة من الهجرة ترامت الأنباء إلى رسول اللهﷺ بالمدينة أن قبيلة بني أسد تتأهب للإغارة على المدينة، وقد بدأت تتحشد بقيادة المحارب الشهير " طليحة بن خويلد، وأخيه سلمة (١). "

فسارع النبيﷺ إلى تجهيز حملة من المهاجرين والأنصار قوامها مائة وخمسين فارسا وأسند قيادتها إلى أبي سلمة بن عبد الأسد المخزوميرضي الله عنه ورسم الرسولﷺ خطة هذه السرية وأمرهم بأخذ الحيطة والحذر والكتمان في الأمر وقال له: سر حتى تنزل أرض بني أسد فأغر عليهم، وأوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرا، فلما علمت بنو أسد بدخول المسلمين أرضهم أفلتوا وتفرقوا في شعاب الجبال، وتركوا الإبل والغنم، وأصاب المسلمون من الإبل والشاء الشيء الكثير فأخذها المسلمون، وأسروا منهم ثلاثة مماليك، ثم أقبلوا راجعين إلى المدينة، وكان دليل هذه السرية رجل من بني أسد فأكرمه أبو سلمة ونفَّلُه من المغنم -الشيء الكثير- وأخرج صفّي النبيﷺ عبدا وخمَّس الغنيمة، وقسم الباقي بين أصحابه ثم قدم المدينة (٢).

---

١) طليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن حجوان الأسدي، كان من أشجع العرب، وكان يعد بألف فارس، وفد مع قومه إلى النبيﷺ سنة تسع فأسلم، ثم ارتد وتنبأ في حياة النبي ﷺولما توفي رسول الله عظم أمر طليحة، فأرسل إليه أبو بكر جيشا بقيادة خالد بن الوليد فقاتله بنواحي سميراء وبزاخة، فا نهزم ولحق بالشام، ثم قدم المدينة في عهد عمر بن الخطاب فأسلم إسلاما صحيحا وأبلى في القادسية بلاء حسنا. أنظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، جـ ٣ص٩٤.

٢) الواقدي، جـ ١ص٣٤١. وانظر أيضا : ابن كثير، السيرة النبوية ، جـ ٣ص١٢١. ابن سيد الناس، عيون الأثر، جـ ٢ص ٥٥.

- بعث عمرو بن أمية الضمر لقتل أبي سفيان بن.

وبعث رسول اللهﷺ عمرو بن أمية الضمري بعد مقتل خبيب بن عدي وأصحابه إلى مكة، وأمره أن يقتل أبا سفيان بن حرب، وبعث معه جبار صخر الأنصاري، فخرجا حتى قدما مكة، وحبسا جمليهما بشعب من شعاب يأجج ثم دخلا مكة ليلاً، فقال جبار لعمرو: لو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين؟ فرد عليه عمرو وكان أعلم بأهل مكة منه: إن القوم إذا تعشوا جلسوا بأفنيتهم، ولكن الأنصاري أصرَّ على رأيه، فما زال بعمرو حتى طاف بالبيت سبعا، وصليا ركعتين، ثم خرجا فمرَّا على مجلس من مجالس قريش، ثم خرجا يريدان أبا سفيان، قال عمرو فو الله إنا لنمشي بمكة إذ نظر إلي رجل من أهل مكة فعرفني، فقال عمرو بن أمية: والله إن قدمها إلا لشر؛ فقلت لصاحبي: النجاة، فخرجنا نشتد، حتى أصعدنا في جبل، وخرجوا يشتدون في أثرنا.

حتى إذا علونا الجبل، يئسوا فرجعوا عنا بعد أن أعجزناهم، فدخلنا كهفا في الجبل، فبتنا فيه بعد أن استترنا فيه بحجارة، فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرسا له ويخلي عليها، فغشينا ونحن في الغار، فقلت: إن رآنا صاح بنا، فلم يزل يدنو منهما حتى قام على باب الغار، فإذا هو عثمان بن مالك التميمي يجمع حشيشا لفرسه، قال: ومعي خنجر قد أعددته لأبي سفيان، فأخرجته وطعنته تحت ثدييه، فصاح صيحة أسمع أهل مكة، ورجعت إلى مكاني، واتبع أهل مكة الصوت مسرعين فوجدوه وبه رمق، فقالوا: من ضربك؟. فقال: عمرو بن أمية، وغلبه الموت، فمات مكانه.

وشغل أهل مكة بالبحث عنا، فمكثنا في الغار يومين حتى سكن عنهما الطلب ثم خرجنا ليلا من مكة نريد المدينة، فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خبيب بن عدي؛ فقال أحدهم: والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية، لولا أنه بالمدينة، لقلت: هو عمرو بن أمية.

قال: فلما حاذى الخشبة شد عليها، فأخذها فاحتملها، وخرجا شداً، وخرجوا وراءه، حتى أتى جرفا بمهبط مسيل يأجج ([1]) فرمى بالخشبة في الجرف، فغيبه الله عنهم، فلم يقدروا عليه، قال ومضيت حتى أخرج على ضجنان ([2]).

ثم أويت إلى جبل، فدخلت كهفا، فبينا أنا فيه إذ دخل علي شيخ من بني الديل أعور، في غنيمة له فقال: من الرجل؟. فقلت: من بني بكر، فمن أنت؟. قال: من بني بكر، فقلت: مرحبا فاضطجع، ثم رفع عقيرته، فقال:

ولست بمسلم ما دمت حيا ولا دان لدين المسلمينا.

فقلت في نفسي: سوف تعلم! فلم يلبث الأعرابي أن نام وغطَّ أخذت قوسي، فجعلت سيتها في عينه الصحيحة، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم، ثم خرجت النجاء، حتى جئت العرج، ثم سلكت ركوبة، حتى إذا هبطت النقيع، إذا رجلان من قريش من المشركين، كانت قريش بعثتهما عينا إلى المدينة ينظران ويتحسسان، فقلت: استأسرا، فأبيا، فأرمي أحدهما بسهم فأقتله، واستأسر الآخر، فأوثقه رباطا، وقدمت به المدينة ([3]).

وذكر ابن سعد أن سبب هذه السرية هو أبو سفيان قال لنفر من قريش، ألا أحد يغتال محمدا!. فإنه يمشي في الأسواق وحده، فأتاه رجل من الأعراب وقال قد وجدت أجمع الرجال قلبا وأشدهم بطشا وأسرعهم عدوا، فإذا أنت فديتني خرجت إليه حتى أغتاله فإن معي خنجرا كجناح النسر، وإني عارف بالطريق.

---

[1]) يأجج: اسم مكان من مكة على ثمانية أميال وكان من منازل عبد الله بن الزبير، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ ٥ص٤٢٤. وقال عاتق البلادري: وتسمية عامة أهل مكة –وادي بئر مقيت– لبئر هناك. انظر معالم مكة التأريخية والأثرية، ص٣٢٥.

[2]) ضجنان: بفتح أوله وسكون ثانيه على وزن فعلان: حرة مستطيلة من الشرق إلى الغرب، ينقسم عنها سيل وادي الهدة، ويمر بها الطريق من مكة إلى المدينة بنصفها الغربي على ٥٤ كيلاً ويعرف هذا النغف اليوم بخشم المحسنية، وكذلك الحرة تسمى حرة المحسنية. انظر البكري، معجم جـ٣ص٨٥٦.

[3]) ابن هشام، السيرة النبوية، ت، السقا، القسم الثاني، ص٥٣٢.

فقال له أنت صاحبنا، فأعطاه بعيرا ونفقة، وقال له اطو أمرك، وخرج ليلا إلى أن قدم المدينة، ثم أقبل يسأل عن رسول الله فدل عليه، وكان في مسجد بني عبد الأشهل، فعقل راحلته وأقبل على رسول الله، فلما رآه قال إن هذا يريد غدرا، والله حائل بينه وبين ما يريد، فجاء ليجني على رسول الله، فجذبه أسيد بن حضير بداخلة إزاره فإذا بالخنجر فسقط في يده، وقال: دمي! دمي! فأخذ أسيد يخنقه خنقا شديدا.

فقال له رسول الله أصدقني، قال وأنا آمن، قال نعم، فأخبره بأمره فخلى عنه رسول الله فأسلم ([1]).

فرد عليه النبيﷺ بالمثل وأرسل عمرو بن أمية الضمري، وسلمة بن أسلم إلى أبي سفيان لقتل، وانتهت هذه المهمة دون أن تحقق هدفها الأساسي لكل من الجانبين، فالذي بعثه أبو سفيان ما نجح في اغتيال رسول الله، والذي بعثه الرسولﷺ ليقتل أبا سفيان ما قتله؛ لأن الله أراد أن يتم الرسول رسالته، وأراد أن يصبح أبا سفيان مسلماً ربانياً يقود المعارك في الإسلام، فالظاهر تدبير الناس والباطن هو تدبير الله عز وجل، ولكنها حققت بعضا الأهداف، من أهمها إدخال الرعب في نفوس قريش وزعمائها على الخصوص وإعلامهم بأن المسلمين قادرون على الوصول إليهم حتى في بيوتهم.

واختُلِفَ في تاريخ هذه السرية فذكر الطبري وابن هشام وابن كثير أنها بعد حادثة الرجيع مباشرة (٢).

أما ابن حجر فأرَّخ لها بعد وقعة بني النضير حكاية عن الواقدي ولكن الواقدي في روايته المنقولة عنه لم يذكر لها تاريخا(٣).

---

[1]) ابن سعد الطبقات الكبرى، جـ٢ص٧٢.

[2]) تاريخ الطبري" تاريخ الرسل والملوك" جـ٢ص٥٤٢. وانظر أيضا: ابن هشام، السيرة النبوية، ت، السقا، القسم الثاني،ص٥٣٢. وانظر أيضا: ابن كثير، جـ٤ص٥٢٤.

[3]) العسقلاني، الاصابة، ترجمة سلمة بن أسلم بن حريس جـ٣ص١٢٠.

المطلب الثاني: الأسرى في سرايا سنة ست.

- سرية محمد بن مسلمة ﷺ إلى القرطا ء (١).

في العاشر من محرم سنة ست من الهجرة، بعث النبيﷺ سرية يقودها محمد بن مسلمة إلى بني القرطاء، وهم بطن من بني بكر بن كلاب، وأمرهﷺ أن يشن عليهم الغارة، فسار الليل وكمن النهار، وأغار عليهم فقتل نفرا منهم، وهرب سائرهم واستاق نعما وشاء ولم يعرض للظعن (٢) وانحدر إلى المدينة، فخمَّس رسول اللهﷺ ما جاء به، وقسم على أصحابه ما بقي فعدلوا الجزور بعشر من الغنم، وكانت النعم مائة وخمسين، كانت سرية محمد بن مسلمةﷺ هي أول عمل عسكري بعد غزوة الأحزاب وقريظة، تتحرك في مهمة عسكرية ضد بني القرطاء في أرض نجد، وفي طريق عودة السرية تم أسر ثمامة بن أثال الحنفي سيد بني حنيفة، والصحابة لا يعرفونه، فقدموا به المدينة وربطوه بسارية من سواري المسجد، فلما خرج إليه رسول اللهﷺ ورآه قال لأهله: "اجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوه إليه " وأمرﷺ بلقحته أن يشرب ثمامة من حليبها (٣).

وكان رسول اللهﷺ يتودد إليه ويتردد عليه، فهزته الأخلاق المحمدية هزّا عنيفًا، وملكت عليه زمام قلبه، وأسرته في أسر جديد! .

---

١) أنظر خريطة موطن قبيلة القرطاء رقم "٢٤". والقرطاء: قبيلة عربية ، كانت تنزل بناحية ضريّة بالبكرات وبين ضرية والمدينة. قال ابن سعد: وهم من بني بكر بن كلاب. الطبقات، جـ ٣ ص ٣٣٨.

٢) الظعن: النساء، واحدها ظعينة؛ قال: وأصل الظعينة الراحلة التي يرحل ويظعن عليها أي يسار، وقيل: الظعينة المرأة في الهودج، ثم قيل للهودج بلا امرأة وللمرأة بلا هودج ظعينة. أنظر: ابن منظور، لسان العرب، جـ ١٣ص٢٧١.

٣) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، ت، ٥٩٧هـ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى١٤١٢هـ/١٩٩٢م، جـ ٣ص٢٤٩. وانظر أيضا السيد الجميلي، غزوات النبيﷺ، بيروت، دار ومكتبة الهلال، الطبعة ١٤١٦هـ، ص٩١.

ومر به رسول اللهﷺ فقال: "ما عندك يا ثمامة ؟ " قال: عندي خير يا محمد، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه. ثم مرّ به مرة أخرى، فقال له مثل ذلك، فرد عليه كما رد عليه أولا، ثم أمر مرة ثالثة فقال: بعد ما دار بينهما الكلام السابق- أطلقوا ثمامة، فأطلقوه، ذهب من تلقاء نفسه إلى نخل قريب من المسجد النبوي واغتسل غُسل المسلمين، ثم قدم إلى المسجد وقد هطلت على وجهه مُزنة الإيمان، وتهللت أساريره بشاشة ووضاءة، فنطق بشهادة التوحيد، وثنَّاها بكلمة حق، وأعقبها بكلمة حب، وختمها باستئذان، رسول اللهﷺ لأداء العمرة، فأذن له ﷺ ثم علَّمه صفة العمرة على منهج التوحيد، ولقنه التلبية فكان أول ملبيا يدخل مكة قاصدا بيت الله الحرام بعد أن أخرج رسول الله وصحابته منها، ولما قدم مكة، عيره رجال قريش قائلا: أصبوت ؟! ([1]) فقال قولة من ذاق حلاوة الإيمان: " لا ، ولكن أسلمت مع محمد ﷺ".

وهكذا أعلن السيد القوي صاحب العزيمة هويته بين ظهراني قريش، معتزا بدينه ومفتخرا بعقيدته، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، ثم أخذ قراره، وأعلن موقف اليمامة من قريش الجائرة فقال: والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ"([2]).

وهدد ثمامة قريشا بمقاطعته لهم جزاء محادة الله ورسوله حتى جاءت قريش وناشدت رسول اللهﷺ أن يأذن لثمامة أن يبيع لهم الحنطة.

[1]) أي أكفرت بدين الآباء؟. والصابئ : الخارج من دين إلى دين، وكانت العرب تسمى النبي ﷺ ومن يدخل في الإسلام،والصابئة. والصابئة في الأصل هم قوم عبدوا الكواكب. ابن منظور، لسان العرب، جـ ١ ص ١٠٨.

[2]) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني ص ٥٣٧.: ابن حبان، السيرة النبوية، جـ١ص ٢٦٨. وانظر: البيهقي، دلائل النبوة، جـ ٤ص ٧٩.

- غزوة الغابة لتأديب بني فزارة [١] (بذي قردة) .

كانت هذه الغزوة في ربيع الأول سنة ست للهجرة، وسببها أن عيينة بن حصن الفزاري زعيم قبائل نجد المطاع، وألد أعداء رسول اللهﷺ أغار على منطقة الغابة ([٢]) ومعه قوة كبيرة من فرسان غطفان، فأخذوا منها إبلا وشياها لرسول اللهﷺ، وقتلوا الغفاري وسبوا امرأته واسمها ليلى ([٣]).

ثم ساقوا الإبل وهربوا شمالا إلى منازلهم، ووصل النبأ بسرعة إلى رسول اللهﷺ عن طريق الفارس العداء المشهور" سلمة بن الأكوعرضي الله عنه" الذي ظل بمفرده يشاغل المغيرين ويراميهم بالنبل، وكان من أمهر رماة العرب في عصره وقد استطاع أن يستخلص مجموعة من الإبل المنهوبة قبل قدوم كتيبة الفرسان ([٤]).

ولما بلغ رسول ﷺالله خبر هذا الاعتداء همه ذلك واستنفر الصحابة وتحركوا من المدينة بقيادة الرسول ﷺ نفسه إلى منطقة الغابة، وبعث أمامه بقوة من الفرسان لمقاتلة المغيرين وإشغالهم بقيادة الصحابي الجليل سعد بن زيد بن مالك، الذي تمكن مع سلمة بن الأكوع من دحر العدو واستعادة ما انتهبوه من الإبل، ووصل النبيﷺ إلى ذي قردة وقد استعاد الفرسان معظم الإبل فأقام يوما وليلة ونحر لكل مأة من جيشه جزورا.

[١]) هم أولاد فزارة بن ذبيان، جـ ١٣ ص ٩٧. أنظر خريطة سرية بني فزارة رقم "٢٥" .

٢) منطقة الغابة : هو موضع قرب المدينة من ناحية الشام كانت فيها أموال لأهل المدينة ، الحموي ، معجم البلدان، جـ ٤ ص ١٨٢.

٣) الروض الأنف، جـ ٤ ص ٧.

٤) ابن هشام، السيرة النبوية ،ت ، السقا، القسم الثاني، ص ٢٤٠.

واستشهد في هذه العملية ثلاثة من فرسان المسلمين اثنان من أفراد فصيلة الفرسان هما: محرز بن نضلة رضي الله عنه ([١]) ووقاص بن محرز رضي الله عنه ([٢]) وراعي الإبل الغفاري الذي لم يذكر اسمه، أما قتلى المشركين فكانوا ثلاثة وهم حبيب، وعبد الرحمن أبناء عيينة بن حصن الفزاري، وفارس يقال له مسعد من فزارة ([٣]).

عودة المرأة الأسيرة.

وقد تمكنت الأسيرة من الإفلات من القوم والفرار على ناقة لرسول الله ﷺ والعودة إلى المدينة سالمة، ولما قدمت على رسول الله ﷺ أخبرته الخبر فلما فرغت قالت:
" يا رسول الله؛ إني قد نذرت لله أن أنحرها إن نجاني الله عليها ".

فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: "بئس ما جزيتها أن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها؛ إنه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا تملكين إنما هي ناقة من إبلي فارجعي إلى أهلك على بركة الله" ([٤]).

[١]) هو محرز بن عامر بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري، يكنى أبا نضلة، شهد بدرا وأحدا والخندق، وخرج مع رسول الله ﷺ إلى غزوة الغابة يوم السرح حين أغير على نعاج رسول الله في غزوة ذي قرد سنة ست، فقتله مسعدة بن حكمة، وكان يوم قتل ابن سبع وثلاثين أو ثمان وثلاثين سنة. أنظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، جـ ٣ص١٦٦٤.

٢) هو وقاص بن محرز المدلجي، لم يوصل نسبه، استشهد يوم ذي قَرَدٍ حين أغار عيينةُ ابن حصنٍ على لقاح النبي عليه السلام، أنظر: الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله، جـ ١ص٤٥٠. وانظر ايضا: البري محمد بن أبي بكر بن عبد الله، ت ٦٣٥هـ، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، تعليق: محمد التونجي، الرياض، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م، جـ ١ص ١٦٨.

[٣]) مغازي الواقدي، جـ ٢ص٥٤٩. ابن حبان، الثقات، جـ ١ص٣٠٦.

٤) السيرة النبوية لابن هشام، القسم الثاني، ص٢٤٤. الواقدي، جـ ١ص ٥٣٨ وانظر. البيهقي، السنن الكبرى، جـ ٩ص١٨٥.

سرية عكاشة بن محصن (إلى الغمر)([١])

بعث رسول اللهﷺ عكاشة بن محصن ([٢]) في شهر ربيع الأول سنة ست إلى الغمر في أربعين رجلا، منهم ثابت بن أقرم ([٣]) وشجاع بن وهب ([٤]) ويزيد بن رقيش([٥]) فخرج سريعا يغذ السير، فخرج سريعا يغذ السير، ونذر به القوم فهربوا فنزلوا علياء بلادهم، ووجدوا دار خلوفا، فبعث شجاع بن وهب طليعة، فرأى أثر النعم، فتحملوا فأصابوا ربئة لهم ([٦]) فأمنوه على دمه، فدلهم على نعم لبني عم له، فأغاروا عليها فاستاقوا مائتي بعير، فأرسلوا الرجل، وحدروا النعم إلى المدينة، وقدموا على رسول اللهﷺ ولم يلقوا كيدا ([٧]).

---

[١]) قال ابن منظور: الغمر هو الماء الكثير، ابن منظور، لسان العرب، جـ٥ص٢٩.وقال ابن سعد: الغمر ماء لبنى أسد على ليلتين من فيد طريق الأول إلى المدينة، الطبقات، جـ ٢ص٦٥.

[٢]) هو عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، ويكنى أبا محصن. شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول اللهﷺ قتل بعد ذلك بسنة ببزاخة في خلافة أبي بكر الصديق سنة اثنتي عشرة، أنظر الفصيل في ترجمة ثابت بن أقرم. ابن سعد، الطبقات، جـ٣ص٦٧.

[٣]) هو ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن الجد بن العجلان، شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺوخرج مع خالد بن الوليد إلى أهل الردة في خلافة أبي بكر، يستعرض الناس فكلما سمع أذانا للوقت كف وإذا لم يسمع أذانا أغار، فلما دنا من القوم ببزاخة، بعث عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم طليعة أمامه يأتيانه بالخبر، وكانا فارسين، عكاشة على فرس له يقال له الزرام وثابت على فرس يقال له المحبر، فلقيا طليحة وسلمة ابني خويلد طليعة لمن وراءهما من الناس فانفرد طليحة بعكاشة وسلمة بثابت بن أقرم فلم يلبث سلمة أن قتل ثابت، وصرخ بالمسلمين فلم يرعهم إلا ثابت قتيلا تطؤه المطي فعظم ذلك على المسلمين، ثم لم يسيروا إلا يسيرا حتى وطئوا عكاشة قتيلا، المصدر السابق، جـ٣ ص٣٥٥.

[٤]) هو شجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مالك بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، يكنى أبا وهب، كان من مهاجرة الحبشة في الهجرة الثانية، وهو رسول رسول الله ﷺبكتابه إلى حارث بن أبي شمر الغساني بغوطة دمشق، شهد شجاع بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺوقتل يوم اليمامة شهيدا سنة اثنتي عشرة. ابن سعد، جـ٣ص٦٩.

[٥]) يزيد بن رقيش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة. ويكنى أبا خالد. شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺوقتل يوم اليمامة شهيدا سنة اثنتي عشرة. أنظر المصد السابق في نفس الصفحة. أنظر ابن سعد الطبقات، جـ ٣ص٦٧.

[٦]) الربيئة، وهو عين القوم الذين يربأ لهم. الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، جـ١٥ص١٩٧.

[٧]) ابن سعد، الطبقات الكبرى،جـ٢ ص٦٥. وانظر أيضا: المقريزي، إمتاع الأسماع،جـ١ص٢٦٥.

قال الواقدي فأوفوا على الظريب ([1]) فإذا نعم رواتع، فأغاروا عليه فأصابوه، وهربت الأعراب في كل وجه، ونهى عكاشة عن الطلب، واستاقوا مائتي بعير فحدروها إلى المدينة، وأرسلوا الرجل، وقدموا على النبيﷺ ولم يصب منهم أحد ولم يلقوا كيدا (٢).

- سرية زيد بن حارثة ﷺ إلى الجموم ([3]).

في ربيع الآخر سنة ست للهجرة أرسل رسول اللهﷺ زيد بن حارثة إلى الجموم فأصاب امرأة من مزينة يقال لها حليمة، فدلتهم على محلة لبني سُليم أصابوا فيها نعما وشاء وأسرى، وكان من بين الأسرى زوج حليمة المزنية فوهبه رسول اللهﷺ لها وأطلقها مكافئة لها (٤).

- سرية أبي عبيدة ﷺ إلى ذي القصة ([5]).

بعث رسول اللهﷺ أبا عبيدة بن الجراحﷺ في أربعين رجلا إلى مصارع أصحاب محمد بن مسلمة وساروا ليلهم حتى وافوهم في الفجر، وأغاروا عليهم فأعجزوهم هربا في الجبال وأسروا رجلا واحدا فأسلم فأطلقوه، وغنموا من أنعامهم ومتاعهم وقدموا بها المدينة ([6]).

---

[1]) الظرب: الجبل الصغير، ابن منظور، لسان العرب، جـ١ص٥٦٩.

[2]) المغازي، جـ٢ص٥٥٠.

[3]) الجموم : انظر تعريفه في ص ٢٨٥

٤) البيهقي، دلائل النبوة، جـ ٤ص ٨٤. ابن سيد الناس،عيون الأثر، جـ ٢ص ١٤٤. الحليبي،الحسن بن عمر بن حبيب، ت، ٧٧٩هـ، المقتفى من سيرة المصطفى، تحقيق: مصطفى محمد الذهبي، القاهرة، دار الحديث ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ١٦٧. أنظر خريطة الجموم رقم "٣١".

٥) ذو القصة: موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا، القطيعي،عبد المؤمن، ت ٧٣٩هـ ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، بيروت، دار الجيل، الطبعة: الأولى،١٤١٢هـ، جـ ٣ص ١١٠٢. أنظر خريطة ذي القصة رقم "٢٦".

[6]) الواقدي، جـ ٢ص ٥٥٢. الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، جـ ٢ص٣٥٢.

وقال ابن سيد الناس: أجدبت بلاد بني ثعلبة وأنمار فسارت بنو محارب وثعلبة وأنمار، وأجمعوا أن يغيروا على سرح المدينة فبعث رسول اللهﷺ أبا عبيدة في أربعين حين صلوا المغرب، فمشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع الصبح، فأغاروا عليهم، فأعجزوهم هربا في الجبال، وأصاب رجلا واحدا فأسلم، وتركه وأخذ نعما من نعمهم، فاستاقه ([1]).

- سرية زيد بن حارثة ﷺ إلى العِيص.

وفي جمادى الأولى من السنة السادسة من الهجرة، الموافق ٦٢٧م. بلغ رسول اللهﷺ أن عيراً لقريش قد أقبلت عائدة من الشام بالبضائع إلى مكة، فبعث زيد بن حارثةﷺ في سبعين ومائة راكب لاعتراض هذه القافلة والاستيلاء عليها، ولما وصلوا منطقة العيص التقوا بقافلة قريش، واستولى رجاله على هذه القافلة وأخذوا جميع الذين كانوا يقودون القافلة أسرى دون مقاومة تذكر، وكان زعيمهم أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى ختن رسول اللهﷺ وزوج ابنته زينب (٢) وقدم زيد بن حارثة ورجاله بالقافلة وبالأسرى القرشيين إلى المدينة.

ابنة النبي ﷺ وزوجها الأسير.

ولما وصلت القافلة المدينة قدم أبو العاص حتى دخل على زوجته زينب بنت رسول اللهﷺ سحرا فاستجارها فأجارته، ونادت في الناس حين أدى رسول اللهﷺ صلاة الفجر هو وأصحابه فقالت أيها الناس: إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع، فأقبل رسول اللهﷺ إلى الناس حين سلم من الصلاة وقال " هل سمعتم ما سمعت؟".

---

[1]) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، جـ ٢ ص ١٤٣.

[2]) ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٢ ص٦٦. الواقدي، جـ ٢ ص٥٥٣.

قالوا: نعم. قالﷺ: " أما والذي نفسي بيده ما علمتُ بشيء مما كان من هذا ؟" ثم انصرف النبيﷺ إلى منزله فدخلت عليه ابنته فقال: " أجرنا من أجرت ([١])".
فسألته أن يرد إلى أبي العاص ما أخذ منه، فأجابها إلى ذلك، وقال لها:" أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلصن إليك، فإنك لا تحلين له". ثم كلم رسول اللهﷺ أفراد السرية فردوا عليه ما أُخذ منه، وخرج إلى مكة فأدى إلى كل ذي حق حقه من الأموال ثم رجع إلى النبيﷺ فأسلم فرد عليه زينب بنكاحه الأول (٢).

- سرية زيد بن حارثة ﷺ إلى حسمى.

كانت هذه السرية في جمادى الآخرة من السنة السادسة من الهجرة، وسبب هذه الحملة العسكرية أن رسول اللهﷺ أرسل الصحابي الجليل دحية بن عمرو الكلبيﷺ برسالته إلى قيصر ملك الروم يدعوه فيها إلى الإسلام، فلما وصل دحية إلى ملك الروم أكرمه وكساه وأعطاه تحف وهدايا، وقفل عائدا إلى المدينة فلما مر بمنطقة حسمى([٣]) لقيه الهنيد بن عارض وابنه عارض في أناس من جذام، وقطعوا عليه الطريق وسلبوه ما معه ولم يتركوا عليه إلا ثوبا خرقا، فسمع بذلك نفر من جذام من بني الضبيب ([٤]) ممن أسلم منهم فنفروا إليهم واستنقذوا لدحية ما أخذ منه فردوه عليه.

[١]) قال الأزهري، الجار:هو الحليف. والناصر، والشريك في التجارة، انظر تهذيب اللغة، جـ١١ ص ١٢١.
٢) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: السقا، القسم الأول، ص ٥٨٠.وانظر أيضاً: الطبراني، المعجم الكبير، جـ ٢٢ ص ٤٢٦. الواقدي، جـ ٢ ص٩٩ وما بعدها
٣) حِسْمَى: بالكسر ثم السكون، مقصور، يجوز أن يكون أصله من الحسم وهو المنع، وهي أرض ببادية الشام، بينها وبين وادي القرى ليلتان، الحموي ، معجم البلدان، جـ ٢ ص ٢٥٨.
٤) بنو الضبيب: تصغير ضب، وهم بطن من جذام ذكرهم الحمداني، و من افخاذهم عمرو بن مالك بن الضبيب. القلقشندي، أحمد بن علي، ت، ٨٢١هـ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية ،١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ص ٦٤.

وواصل دحيةرضي الله عنه سيره حتى بلغ المدينة، وأخبر رسول اللهﷺ بما فعل به الهنيد وعصابته، فقرر النبيﷺ إرسال حملة عسكرية كبيرة في خمسمائة رجل للإغارة على هؤلاء المعتدين وتأديبهم، فبعث إليهم زيد بن حارثةرضي الله عنه فأغار عليهم فقتل ناسا منهم الهنيد وابنه عارض، وجمعوا ما وجدوا من النعم ألف بعير ومن الشاة خمسة آلاف شاة، ومن السبي مائة من النساء والصبيان ([1]).

ولما سمع بنو الضبيب بما صنع زيد ركبوا إليه فقالوا: إنا قوم مسلمون، فطلب زيد من زعيمهم أن يقرأ أم الكتاب فقرأها، لكن زيدا لم يأبه به، فقدم جماعة منهم إلى رسول اللهﷺ وأخبروه بما فعل زيد، فقالﷺ: وكيف أصنع بالقتلى؟.

فقال زعيمهم أبو زيد بن عمرو الجذامي، يا رسول الله: أطلق لنا من كان حيا ومن قتل فهو تحت قدمي هاتين فقال الرسولﷺ صدق أبو زيد، فبعث معهم علي بن أبي طالبرضي الله عنه يأمر زيد أن يخلي بينهم وبين حرمهم وأموالهم، لكن علي رضي الله عنه خاف ألا يصدقه زيد ؛ فأعطاه الرسولﷺ سيفه كعلامة، وتوجه إلى زيد رضي الله عنه فأبلغه أن رسول اللهﷺ يأمره برد الأموال وإطلاق السبايا والأسرى من القوم، فقال زيد: ما علامة ذلك ؟.

قال: هذا سيفه، فعرف زيد السيف وصاح بالناس فأطلقوا كافة الأسرى والسبايا وردوا كل ما أخذوه من أموال القوم ([2]).

كانت هذه السرية هجومية دفاعية وتأديبية - لجذام - لقطعهم الطريق على رسولِ رسول اللهﷺ إلى قيصر وقد أغار عليهم وأثخن فيهم وغنم وعاد.

---

١) الماوردي، علي محمد، الحاوي الكبير، جـ٤ص٤٦.

[2]) الواقدي، كتاب المغازي، جـ ١ص ٥٥٦.

- سرية زيد بن حارثة ﷺ إلى أم قرفة.

كانت هذه السرية في رمضان سنة ست للهجرة، وسببها أن زيد بن حارثة ﷺخرج في تجارة إلى الشام ومعه بضائع للصحابة، وكانت هذه أول مرة يخرج فيها أحد من أصحاب رسول اللهﷺ في تجارة إلى الشام، فلما بلغ وادي القرى لقيه ناس من بني فزارة فقتلوا أصحابه، وأصيب هو حتى ظنوا أنهم قتلوه، وتحامل زيد حتى قدم المدينة فأخبر رسول اللهﷺ بما حدث، فلما استبل من جراحه ([1]) بعثه رسول اللهﷺ في سرية فكمنوا النهار وساروا الليل حتى وصلوا إلى بني فزارة وصبحوهم فاقتتلوا بوادي القرى وأصاب فيهم، وقتل قيس بن المحسر بن اليعمري، مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر، وأسرت أم قرفة ([2]).

كانت أم قرفة ([3]) ملكة رئيسة وذات شرف ومكانة في قومها، وكان لها اثنا عشر من الولد، وكل أولادها كانوا من الرؤساء في قومهم، لذلك كانت من أعز العرب، وفيها يضرب المثل في العزة والمنعة فيقال:" لو كنت أعز من أم قرفة" كان يُعلّق في بيتها خمسون سيفاً، كلُّ سيفٍ لذي محرم منها، فضرب بها المثل (٤).

وكانت تؤلب على رسول اللهﷺ ([5]) وقيل: إنها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها وولد ولدها، وقالت لهم: اغزوا المدينة واقتلوا محمدا؛ فلما بلغ ذلك النبيﷺ قال: اللهم اثكلها بولدها.

---

١) استبل: أي صحَّ. الرازي، مختار الصحاح، ص٤٠.

٢) الواقدي، جـ ٢ص٥٦٤. ابن سيد الناس،عيون الأثر، جـ ٢ص١٥٠. وانظر أيضا: المقريزي، إمتاع الأسماع، جـ ٢ص ١٤٧.

٣) هي فاطمة بنت ربيعة بن بدر، وابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر. ابن سعد، الطبقات، جـ ٢ ص٩٠.

٤) ابن سيد الناس، " عيون الأثر في فنون المغازي والسير" جـ ٢ص ١٤٨-١٥١. وقال النويري: كان يعلّق في بيتها سبعون سيفا، شهاب الدين أحمد، نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ ٢ص ١٢٤.

٥) تؤلِّب: تجمع وتحشد. تقول: بنو فلان ألب واحد. وحشدوا أي جمعوا. ابن منظور، لسان العرب، جـ٤ص٣٠٢.

وأسرت أم قرفة وعمد إليها قيس بن المحسرﷺ ([1]) فقتلها قتلا عنيفا، ثم قدموا على رسول اللهﷺ بابنتها وبابن مسعدة ، وسبى سلمة بن الأكوعﷺ ابنة أم قرفة فسألها رسول اللهﷺسلمة فوهبها له، فأهداها لخاله حزن بن أبي وهب ([2]).

وذكر الواقدي أن سلمة أقبل بالجارية فذكر للنبيﷺ جمالها فقال يا سلمة: "ما جارية أصبتها ؟. قال جارية يا رسول الله رجوت أن أفتدي بها امرأة منا من بني فزارة.

فأعاد رسول اللهﷺ مرتين أو ثلاثا يسأله ما جارية أصبتها ؟. حتى عرف سلمةﷺ أنه يريدها فوهبها له، فأهداها رسول الله ﷺلحزن بن أبي وهب فولدت له امرأة ليس له منها ولد غيرها (٣).

أ – الاحتجاج على أسر هذه المرأة وقتلها .

وقد احتج البعض على أسر هذه المرأة وقتلها مع أن الرسول ﷺ كان كثيرا ما ينهى عن قتل النساء والشيوخ وغيرهم في غزواته وسراياه، والجواب عن هذه الشبهة من وجهين:

الأول: أن هذه المرأة أسرت في الحرب فكانت من المحاربين وقد نهي عن قتل النساء العزّل أما المشاركات في الحرب فحكمهن حكم المحاربين في ساحة المعركة.

الثاني: أنها كان تحرض على قتل رسول اللهﷺ والمسلمين وقد سبق الكلام أنها كانت تعلق السيوف في بيتها لقتل المسلمين، وقد حرضت أبناءها على قتل الرسولﷺ.

---

١) هو قيس بن المحسر، لم يوصل نسبه. الاستيعاب، جـ ٣ ص ١٢٩٨.

٢) ابن هشام، ت، السقا، القسم الثاني، ص ٥١٩ وما بعدها.

٣) المغازي، جـ ١ ص ٥٦٥.

وقد أمر رسولﷺ الله يوم الفتح بقتل هند بنت عتبة لما كانت تفعل من التحريض على قتال المسلمين حتى أسلمت، واستثنى ممن أمنهم يوم فتح مكة قيساً وابن خطل وأمر بقتلهما لأنهما كانا يغنيان بهجاء رسول اللهﷺ فلو أمر رسول اللهﷺ بقتلها لكان لمواقفها هذه، ولكنه ﷺ لم يأمر بقتلها كما سبق أن زيد بن حارثة هو من أمر بقتلها.

وأخرج مسلم، والروياني، وابن ماجه، وابن أبي شيبة عن سلمة بن الأكوعرضي الله عنه قال: غزونا فزارة وعلينا أبو بكر، أمره رسول اللهﷺ علينا فلما كان بيننا وبين الماء ساعة، أمرنا أبو بكر فعرسنا، ثم شنَّ الغارة فورد الماء، فقتل من قتل عليه، وسبى، وأنظر إلى عنق من الناس فيهم الذراري، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل، فرميت بسهم بينهم وبين الجبل، فلما رأوا السهم وقفوا، فجئت بهم أسوقهم وفيهم امرأة من بني فزارة عليها قشع من أدم (١) معها ابنة لها من أحسن العرب، فَسُقْتُهُمْ حتى أتيت بهم أبا بكر، فنفلني أبو بكررضي الله عنه ابنتها، فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوبا، فلقيني رسول اللهﷺ في السوق، فقال: " يا سلمة هب لي المرأة ".

فقلت يا رسول الله: والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبا ثم لقيني رسول اللهﷺ من الغد في السوق فقال لي " يا سلمة: هب لي المرأة لله أبوك ".

فقلت: هي لك يا رسول الله فو الله ما كشفت لها ثوبا، فبعث بها رسول اللهﷺ إلى أهل مكة ففدى بها ناسا من المسلمين كانوا أسروا بمكة (٢).

---

١) القشع: النطع، ابن منظور، لسان العرب، جـ٨ص٢٧٣.

٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب التنفيل، وفداء المسلمين بالأسارى، ح ١٧٥٥، جـ ٣ص ١٣٧٥. وانظر أيضا: الرُّوياني، أبو بكر محمد، ت ٣٠٧هـ، مسند الروياني، تحقيق: أيمن علي أبو يماني، القاهرة، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، جـ٢ص٢٥١.وانظر: القزويني، محمد بن يزيد أبو عبد الله، ٢٠٧. ٢٧٥هـ سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر، جـ ٢ص ٩٤٩. وانظر أيضا: ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، ت ٢٣٥هـ مصنف بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوث، الرياض، مكتبة الرشد ، الطبعة ١٤٠٩هـ، جـ ٦ص ٤٩٥. وانظر أيضا ،ابن حنبل، مسند الإمام جـ ٤ص ٤٦.

ب – اختلاف أصحاب المغازي والسير في السرية وقائدها .

اختلف أصحاب المغازي والسير في هذه السرية على قولين.

القول الأول: قول ابن إسحاق. ذكر سببها أنَّ سرية بعثها رسول اللهﷺ قبل هذه السرية مباشرةً، وبقيادة زيد بن حارثةرضي الله عنه إلى وادي القرى فلقي به بني فزارة وأصيب بها ناسٌ من أصحابه، وانفلت زيد من بين القتلى، فلمَّا قدم زيد بن حارثة، نذر أنْ لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو فزارة ".

والقول الثاني: وهو قول الواقدي وابن سعد حيث ذكرا أن زيد بن حارثةرضي الله عنه خرج في تجارة إلى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبيﷺ فلما كان بوادي القرى تعرض له ناس من فزارة فضربوه وأصحابه وأخذوا ما كان معهم وقدم زيد إلى النبيﷺ وأخبره بما حصل فبعثه رسول اللهﷺ إليهم.

وقد جمع ابن سيد الناس بين روايتي ابن إسحاق وابن سعد فقال: وقد ثبت عن ابن سعد لزيد سريتان إحداهما في رجب بوادي القرى والآخرى في رمضان ([1]).

---

[1]) ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، جـ ٢ص ١٥١.

جـ- الخلاف في قائد السرية .

اختلف أهل المغازي في قائد هذه السرية على قولين.

١- ذكر ابن إسحاق والواقدي وابن سعد أنَّ قائدها زيد بن حارثة ﷺ، وأنَّ سلمة بن الأكوع ﷺ كان معهم في السرية، وأنه أصاب جارية جميلة من بني فزارة، ذكر أهل المغازي أنَّها بنت أُمّ قرفة، وأنَّ رسول اللهﷺ استوهبها من سلمة، فوهبها له، فأهداها رسولُ اللهﷺ لخاله حزن بن أبي وهب ([1]).

٢- وأخرج الإمام مسلم وأحمد، وغيرهما " عن سلمة بن الأكوع ﷺ في قوله غزونا فزارة وعلينا أبو بكر، أمَّره رسول اللهﷺ علينا.
وذكر الحديث كما سبق، وذكر قصة أسره لامرأةٍ من بني فزارة، ومعها ابنة لها من أحسن العرب، وأنَّ أبا بكر نفله إيَّاها، وأنه قدم بها المدينة، وأنَّ رسول اللهﷺ سأله إيَّاها فوهبها له، فبعَثَ بها رسولُ اللهﷺ إلى أهل مكة ففدى بها ناساً من المسلمين كانوا أسرى بمكة ([2]).

وحاول المتأخرون من أهل المغازي الجمع، أو ترجيح إحدى الروايتين على الأُخرى، فقد نقل الحلبي، عن الشامي الجمع بين الروايتين حيث قال: " يُحتمل أنَّهما سريتان، اتَّفق لسلمة بن الأكوع فيهما ذلك، أي إحداهما لأبي بكر والأخرى لزيد بن حارثة.

---

١) السيرة النبوية لابن هشام، ت، السقا،القسم الثاني، ص٥٢٠. الواقدي، جـ ٢ص ٥٦٤. ابن سعد الطبقات الكبرى، جـ ٢ص٦٩. هو حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم المخزومي، جد سعيد بن المسيب، قتل يوم اليمامة، وقيل: يوم بزاخة. انظر ابن الأثير، علي بن الكرم، أسد االغاب جـ٢ص٥.

٢) صحيح مسلم، جـ ٣ ص ١٣٧٥. الروياني، محمد بن هارون، ت، ٣٠٧هـ، مسند الروياني، تحقيق: أيمن أبو يماني، القاهرة، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، جـ ٢ص ٢٣٥.

ويؤيد ذلك أنَّ في سرية أبي بكر أنَّ رسول اللهﷺ بعَثَ ببنت أُمِّ قرفة إلى مكة ففدى بها أسرى كانوا في أيدي المشركين، وفي سرية زيد وهبها لخاله حزن بمكة. قال: ولم أرَ من تعرَّض لتحرير ذلك". كما يقتضي أن أم قرفة تعددت وأن كل واحدة كانت لها بنت جميلة وأن سلمة بن الأكوع أسرهما ([١]).

وأخرج البيهقي وغيره أن أبا بكر استتاب امرأة يقال لها أم قرفة كفرت بعد إسلامها فلم تتب فقتلها وكانت قد ارتدت وحرضت أولادها على المسلمين في خلافته رضي الله عنه، وفي السير أن النبيﷺ قتل أم قرفة يوم قريظة وهي غير تلك ([٢]). ومن الجدير ذكره أنَّ أهل المغازي لم يذكروا سريَّة أبي بكررضي الله عنه لبني فزارة ما عدا ابن سعد (٣).لكن ما في الصحيح مقدم كما سبق ذكره والله أعلم.

- سرية كرز بن جابر رضي الله عنه إلى العرنيين.

وفي شوال سنة ست من الهجرة قدم رهط من عكل ([٤]) وعرينة حي من بجيلة([٥]) إلى المدينة فأظهروا الإسلام وأقاموا بالمدينة فمرضوا فبعثهم رسول اللهﷺ مع الرعاة ليشربوا من ألبانها وأبوالها، فلما صحوا قتلوا الراعي ومثلوا به: أي قطعوا يديه ورجليه، وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات واستاقوا اللقاح الذي غذاهم من لبنها وأسمنهم يريدون الهروب، وكفروا بعد إسلامهم.

---

١) بريك بن محمد بريك، أبو مايلة العمري، غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى،١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م ص٥٤.

٢) البيهقي، أحمد بن الحسن، السنن الكبرى، باب حكم المرتد والمرتدة، جـ ٨ص ٣٥٤. وانظر أيضا: العيني، بدر الدين محمود، عمدة القاري، شرح صحيح البخاري، باب حكم المرتد والمرتدة، ح ٦٩٢٢، جـ٢٤ص ٨٠.

٣) الطبقات، جـ ٢ ص ١١٨.

٤) بنو عكل: بطن من طابخة من العدنانية، القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ٣٦٧.

٥) بنو عرينة: بطن من انمار بن أراش من كهلان من القحطانية، وهم بنو عرينة بن نذير بن قيس بن عبقر بن أنمار، وأمه بجيلة، القلقشندي، ص ٣٦١. أنظر خريطة سرية كرز إلى عرينة رقم "٢٨"

ولما بلغ رسول الله ﷺ هذا النبأ بعث في آثارهم كرز بن جابر الفهري ([1]) في عشرين فارسا من أصحابه فانطلقوا في طلب هؤلاء المفسدين من الأعراب ([2]).

وقوعهم في القبض والحبس.

وخرج كرز بن جابر بفرسانه في طلب القوم فأدركوهم وحصروهم، وأحاطوا بهم وأسروهم بأجمعهم ولم يفلت منهم إنسان ثم ربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة فأمر رسول الله ﷺ بمسامير فأحميت لهم، فكواهم وقطع أيديهم وأرجلهم، ولم يحسمهم وسمل أعينهم كما سملوا عين الراعي وألقاهم في الحرة يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا (٣).

وأنزل الله فيهم: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ ﴾ المائدة: ٣٣.

فلم يكن تمثيلا من الرسول ﷺ فقد نهى أصحابه من التمثيل بالأسرى والقتلى ولكن كان جزاء وفاقا وعقابا من جنس العمل الإجرامي الذي أقدموا عليه، وسمى الله فعلهم هذا محاربة له ولرسوله تعظيماً.

---

[1]) هو كرز بن جابر بن حسيل بن لاحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك القرشي الفهري. أسلم بعد الهجرة،قتل كرز بن جابر يوم الفتح، وذلك سنة ثمان من الهجرة في رمضان. وكان قد أخطأ الطريق. وسار في غير طريق رسول الله ﷺفلقيه المشركون، فقتلوه رحمه الله، انظر، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، جـ ٣ ص ١٣١٠.

[2]) ابن حبان، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء،جـ ١ ص ٢٧٤. البيهقي، دلائل النبوة، جـ ٤ ص ٨٥.

[3]) صحيح البخاري، جـ ١ ص ٥٦. وما بعدها، وانظر : الواقدي، جـ ١ ص ٥٦٩. وانظر : ابن سعد . الطبقات الكبرى، جـ ٢ ص ٩٣ .

- **سرية زيد بن حارثة ﷺ إلى مدين([1]).**

بعث زيد بن حارثة نحو مدين ومعه ضميرة ([2]) مولى علي بن أبي طالب وأخ له، فأصاب منهم سبيا فبيعوا ففرق بينهم، فخرج رسول الله ﷺ إليهم وهم يبكون فقال ما لهم؟. قيل يا رسول الله فرق بينهم فقال رسول الله ﷺ لا تبيعوهم إلا جميعا.

قال ابن هشام أراد الأمهات والأولاد (٣).

وأخرج الصنعاني في المصنف عن عبد الله بن حسن عن أمه فاطمة بنت حسين أن النبي ﷺ بعث زيد بن حارثة رضي الله عنه في سرية فأصاب سبيا فجاء بهم فاحتاج إلى ظهر فباع غلاما منهم فجاءت أمه فرآها النبي ﷺ تبكي فسأله، فقال: احتجت إلى بعض الظهر فبعت ابنها، فقال له النبي ﷺ "ارجع فرده أو اشتره" قال: فوهبه بعد ذلك لعلي قال فكان خازنا له، قال: وولد له ([4]).

١) مدين: بفتح الميم وسكون الدال المهملة وفتح التحتية وآخره نون: مدينة قوم شعيب عليه السلام وهي تجاه تبوك على بحر القلزم بينهما ست مراحل وهي أكبر من تبوك . ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ ٥ ص ٧٧.

٢) هوضميرة بن ضميرة كان والده مولى رسول الله، كان ممن أفاء الله عز وجل عليه. قيل: اسم أبي ضميرة سعد الحميري من آل ذي يزن، وقيل: اسم أبي ضميرة روح بن سندر، وقيل: روح بن شيرزاد، والأول أصح. انظر ابن عبد البر، الاستيعاب، جـ٤ص١٦٩٥.

٣) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني ص ٥٣٣ وما بعدها. السهيلي، الروض الأنف،جـ ٧ ص ٥٤٨.

٤) الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام، مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، جـ ٨ ص٣٠٧.

المطلب الثالث: الأسرى في سرايا سنة تسع.

- سرية علي بن أبي طالب ﷺ إلى بني طي (١).

في شهر ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة بعث رسول اللهﷺ علي بن أبي طالب في خمسين ومائة رجل من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرساً، ومعه راية سوداء ولواء أبيض إلى الفلس (٢) ليهدمه، وعلم عدي بن حاتم بمقدم أصحاب رسول اللهﷺ وكان نصرانيا ففر إلى الشام، وشنت سرية المسلمين الغارة على الفلس فجرا فهدموه وملأوا أيديهم من السبي والنعم والشاء، ثم رجعوا إلى المدينة، وكان في السبي سفانة بنت حاتم الطائي وأخت عدي بن حاتم.

واستعمل رسول اللهﷺ على السبي أبا قتادة (٣) وعلى الماشية والرثة (٤) عبد الله بن عتيك (٥) وقسم الغنائم، ثم عزل الخمس، وعزل آل حاتم فلم يقسمهم حتى قدم بهم المدينة (٦).

---

١) بني طي: قبيلة من كهلان من القحطانية، وهم بنو طي بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، وإليهم ينسب حاتم الطائي المشهور بالكرم،ومنهم زيد الخيل بن مهلهل الصحابي الذي وفد على رسول الله ﷺ في وفد طي فأسلم فسماه زيد الخير، القلشندي، أحمد بن علي،نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب جـ ١ص ٣٢٦. أنظر خريطة سرية . رقم (٣٢).

٢) الفلس: اسم صنم كان بنجد تعبده طيّ وكان سدنته بني بولان. الحموي، معجم البلدان، جـ ٤ص٢٧٣.

٣) هو أبو قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري ثم أحد بني سلمة من الخزرج شهد أحدا، واسمه فيما قال محمد بن إسحاق الحارث بن ربعي. وقال عبد الله بن محمد بن عمارة الأنصاري، ومحمد بن عمر: اسمه النعمان بن ربعي، وقال غيرهما: عمرو بن ربعي وكان قد نزل الكوفة ومات بها ، وعلي بها فصلى عليه، وأما محمد بن عمر فأنكر ذلك، وقال: حدثني يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة أن أبا قتادة توفي بالمدينة سنة أربع وخمسين، وهو ابن سبعين سنة. ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٦ ص ١٥.

٤) الرثة: هي متاع البيت الدون، ابن منظور، لسان العرب، جـ٢ص١٥١. وعند المقريزي، الرثة: المتاع، إمتاع الأسماع، حاشية رقم"٣ " جـ٣ص٩٨٨.

٥) عبد اللّه بن عتيك بن قيس بن الأسود بن مريّ بن كعب بن غنم بن سلمة بن الخزرج الأنصاري. ابن حجر، الإصابة، جـ ٤ ص ١٤٣.

٦) الواقدي، جـ ٣ ص ٩٨٨. وانظر أيضا: ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي، جـ ٢ ص ٢٥٧.

- أسر ابنة حاتم وإطلاق سراحها .

ولما أقبلت السرية بسفانة بنت حاتم الطائي جعلتها في حظيرة بباب المسجد، فمر بها رسول اللهﷺ فلما رأته قامت إليه تناشده، وكانت امرأة جلدة، فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد وغاب الوافد، فامنن علي من الله عليك ، قالﷺ: " من وافدك ؟ " قالت: عدي بن حاتم قال: " الفار من الله ورسوله " ثم مضى رسول اللهﷺ وتركها حتى إذا كان من الغد مر بها فقامت وقالت له مثل ما قالت بالأمس.

فرد عليها الرسولﷺ بمثل ما رد عليها بالأمس، فلما كان من الغد مر رسول اللهﷺ بها وقد يئست منه، فأشار إليها رجل من خلفه أن قومي فكلميه، فقامت ثم قالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن علي من الله عليك، قال: " قد فعلت فلا تعجلي بالخروج حتى تجدي ثقة يبلغك إلى بلادك، ثم آذنيني "

فأقامَتْ حتى قدم رهط من بني قضاعة فيهم ثقة وبلاغ، فكساها رسول اللهﷺ وحملها، وأعطاها نفقة، فأسلمت وحسن إسلامها بحسن معاملة الرسول الكريم لها، فخرجت حتى قدمت الشام على أخيها عدي بن حاتم ([1]).

فلمّا وصَلتْ إلى أخيها عدي بن حاتم، أخبرته بكل ما حصل، ثم قالت وكانت امرأة حازمة: أرى والله أن تلحق به سريعا فإن يك نبيا، فللسابق إليه فضيلة وإن يكن ملكا فلن تزال عن عز اليمن وأنت أنت!!.

[1]) الواقدي، جـ ٣ص٩٨٩. ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، القسم الثاني، ص ٤٨٩.

فتهيأ عدي للخروج إلى المدينة، وقدم على رسول اللهﷺ حتى دخل على ورسول اللهﷺوهو في المسجد، فسلم عليه، فقال من الرجل ؟. فقال، عدي بن حاتم.

فقام رسول اللهﷺ وانطلق به حتى دخل بيته فناوله وسادة من أدم ([1]) محشوة ليفا، فقذفها إليه فقال: " اجلس على هذه " فجلس، وجلس رسول اللهﷺبالأرض،

ثم تحبب إليه وتودد وخاطبه بمنطق النبوة، وذكر له ما كان له من العز والكرامة في ملكه ثم قال: "يا عدي لعلك إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من الفقر والحاجة، فو الله ليوشكن المال أن يفيض الله فيهم من الأموال حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من الدخول في الإسلام لما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فو الله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل ([2]) قد فتحت عليهم " فأسلمرضي الله عنه..

وكان عديرضي الله عنه يقول: مضت اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونن، فقد رأيتُ القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها

لا تخاف حتى تحج هذا البيت الحرام، وايم الله لتكونن الثالثة، وليفيضن المال حتى لا يوجد من يأخذه (٣).

---

١) الأدم: الجلد المدبوغ، ابن منظور، لسان العرب، جـ١٢ ص ١٠.

٢) بابل: اسم ناحية منها الكوفة والحلة، ينسب إليها السحر والخمر، ويقال: إن أول من سكنها نوح، عليه السلام، وهو أول من عمرها، وكان قد نزلها بعقب الطوفان، فسار هو ومن خرج معه من السفينة إليها لطلب الدفء، فأقاموا بها وتناسلوا فيها وكثروا من بعد نوح، وملكوا عليهم ملوكا، وابتنوا بها المدائن، واتصلت مساكنهم بدجلة والفرات، وقال المفسرون في قوله تعالى: وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت، قيل بابل العراق، وقيل بابل دنباوند. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ ١ص ٣٠٩.

٣) السيرة النبوية لابن هشام، القسم الثاني، ص٤٩٠ .وما بعدها. الواقدي، جـ ١ص ٩٨٩. الأصبهاني، معرفة الصحابة،. جـ ٦ ص ٣٣٦٢.

- سرية خالد بن الوليد ﷺ إلى أكيدر بدومة الجندل بن عبد الملك (١).

وفي رجب من السنة التاسعة من الهجرة بعد عودة الرسولﷺ من تبوك أرسل خالد بن الوليد في أربعمأة وعشرين فارسا في رجب إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل (٢)

وكان ملكا نصرانيا وقال له: أنك ستجده يصيد بقرة، فخرج خالد حتى إذا كان قريبا من حصنه منظر العين في ليلة مقمرة صافية، وهو على سطح له ومعه امرأته، جاءت بقرة تحك بقرونها باب الحصن، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟.إن هذا لعجب، قال نعم. . قال: لا والله؛ قالت: فمن يترك هذه ؟.

قال: لا أحد، فنزل فأمر بفرسه فأسرج، وركب معه نفر من أهله فيهم أخ له يقال له حسان ومملوكان، فلما فصلوا من الحصن وأوغلوا في الفلاة تلقتهم خيل خالد فاستأسر أكيدر وقاتل أخوه حتى قتل، وهرب المملوكان ومن كان معه من أهل بيته فدخلوا الحصن، وكان على حسان قباء ديباج مخوص بالذهب، فاستلبه خالد فبعث به إلى رسول اللهﷺ مع عمرو بن أمية الضمري حتى قدم عليهم فأخبرهم بأخذهم أكيدر.

١) أكيدر: بضم الهمزة وكاف مفتوحة ومثناة تحتية ساكنة ودال مكسورة وراء مهملتين، وهو ملك كندة، اختلف في إسلامه وصحبته، قال ابن الأثير: ومن قال: إنه أسلم، فقد أخطأ خطأ ظاهرا، وكان أكيدر نصرانيا، ولما صالحه النبي ﷺعاد إلى حصنه، وبقي فيه، ثم إن خالدا أسره لما حصر دومة أيام أبي بكرﷺفقتله مشركا نصرانيا، وقد ذكر البلاذري أن أكيدرا لما قدم على النبي مع خالد أسلم، وعاد إلى دومة، فلما مات النبيﷺارتد ومنع ما قبله، فلما سار خالد من العراق إلى الشام قتله، وعلى هذا القول أيضا، فلا ينبغي أن يذكر من الصحابة، وإلا فيذكر كل من أسلم في حياة رسول الله، ثم ارتد.أسد الغابة، جـ١ص٢٧٣.

٢) دومة الجندل: نسبة إلى أم دومان بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وهي قرية بالجوف يشرف عليها حصن أكيدر الكندي، عاتق بن غيث البلادري، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية.ص ١٩٦.

وكان رسول اللهﷺقال لخالد بن الوليد: إن ظفرت بأكيدر فلا تقتله وائت به إلي، فإن أبى فاقتلوه، فطاوعهم (١).

قال البيهقي: وذكر خالد قول رسول اللهﷺ ثم قال لأكيدر: أرأيتك إن أجرتك تفتح لي دومة؟ قال: نعم.

فانطلق حتى دنا منها، فثار أهلها وأرادوا أن يفتحوا له فأبى عليهم أخوه، فلما رأى ذلك قال لخالد: أيها الرجل خلني فلك الله لأفتحنها لك إن أخي لا يفتحها لي ما علم أني في وثاقك، فأرسله خالد ففتحها له، فلما دخل أوثق أخاه وفتحها لخالد، ثم قال: اصنع ما شئت، فدخل خالد وأصحابه فذكر خالدﷺ له قول رسول اللهﷺ والذي أمره، فقال له أكيدر: والله ما رأيتها قط جاءتنا إلا البارحة -يريد البقر- ولقد كنت أضمر لها إذا أردت أخذها، فأركب لها اليوم واليومين، ولكن هذا القدر ثم قال: يا خالد إن شئت حكمتك، وإن شئت حكمتني.

فقال خالد: بل نقبل منك ما أعطيت، فأعطاهم ثمانمائة من السبي، وألف بعير، وأربعمائة درع، وأربعمائة رمح، على أن ينطلق به وأخيه إلى رسول اللهﷺ فيحكم فيهما حكمه. فلما قاضاه خالدﷺ على ذلك خلى سبيله ففتح الحصن، فدخله خالد وأوثق أخاه مضادا أخا أكيدر، وأخذ ما صالح عليه من الإبل والرقيق والسلاح، ثم خرج قافلا إلى المدينة، ومعه أكيدر ومضاد. فلما قدم بأكيدر على رسول اللهﷺ صالحه على الجزية (٢) وحقن دمه ودم أخيه وخلى سبيلهما، وكتب رسولﷺ الله كتابا فيه أمانهم وما صالحهم، وختمه يومئذ بظفره (٣).

١) مغازي الواقدي، جـ٣ص١٠٢٥-١٠٢٦.

٢) الجزية: هي عبارة عن الْمَال الذي يُعْقَد للْكِتَابي عليه الذِّمَّة، وهي فِعْلة، من الجزَاء، كأنها جَزَت عن قتله ، والجزية مقابل إقامتهم في الدولة الإسلامية وحمايتها لهم، انظر.ابن زنجويه، حميد بن مخلد، ت ٢٦١هـ، الأموال، ص ٩٨.

٣) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، باب بعث النبيﷺخالد بن الوليد إلى أكيدر دومة، وما ظهر في إخباره عن وجوده وهو يصيد البقر من آثار النبوة، جـ٥ص٢٥٢.

قال الواقدي: وكان على حسان قباء ديباج مخوص بالذهب، فاستلبه خالد فبعث به إلى رسول اللهﷺ فجعل المسلمون يتلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه،فقال رسول الله ﷺأتعجبون من هذا؟ فو الذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا! ([1]).

وفي الصحيحين عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء، يقول: أهديت لرسول اللهﷺحلة حرير، فجعل أصحابه يلمسونها ويعجبون من لينها، فقال: "أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة، خير منها وألين" ([2]).

- سرية عيينة بن حصن إلى بني العنبر من بني تميم.

وبعث رسول اللهﷺ غزوة عيينة بن حصن إلى بني العنبر من تميم فأغار عليهم فأصاب منهم أناسا، وسبى منهم أناسا وذلك لانهم هربوا وتركوا عيالهم لما علموا انه توجه اليهم وقدم بهم إلى رسول اللهﷺ فأعطى عائشة من السبي للوفاء بنذرها.

عن عاصم بن عمر بن قتادة: أن عائشة قالت لرسول اللهﷺ يا رسول الله، إن علي رقبة من ولد إسماعيل. فقالﷺ هذا سبي بني العنبر يقدم الآن، فنعطيك منهم إنسانا فتعتقينه، فلما قدم بسبيهم على رسول اللهﷺ ركب وفد من رجال بني تميم فكلموه في السبي فأعتق بعضا وفدى بعضا ([3]).

---

[1]) المغازي، جـ٣ ص١٠٢٦.

[2]) صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبيﷺ باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه، ح ٣٨٠٢، جـ٥ ص ٣٥. وانظر: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل سعد بن معاذرضي الله عنه، ح ١٢٦ – "٢٤٦٨" جـ ٤ ص ١٩١٦.

[3]) ابن هشام، السيرة النبوية، ت، السقا، القسم الثاني، ص٥٢٣.

قال البغوي كان قدومهم المدينة وقت الظهيرة فوافقوا النبيﷺ قائلا في أهله، فلما رأتهم الذراري أجهشوا إلى آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول اللهﷺحجرة، فعجلوا قبل أن يخرج إليهم ينادونه يا محمد أخرج الينا؛ ويصيحون حتى أيقظوه من نومه، وهم الذين نزل فيهم قول الله تعالى

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ الحجرات: ٥ ـ ٤

ثم خرج اليهم النبي ﷺ ففادى نصفهم وأعتق نصفهم. وقال مقاتل في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا ﴾ ([١]).

ونقل ابن هشام عن ابن اسحاق قال: كان فيمن قدم بسبب السبايا، القعقاع بن معبد ([٢]) وقيس بن عاصم ([٣]) والاقرع بن حابس([٤])

وفي ذلك قال الفرزدق.

وعند رسول الله قام ابن حابس ... بخطة سوّار الى المجد حازم

له أطلق الاسرى التي في حباله ... مغللة أعناقها في الشكائم ([٥]).

---

[١]) البغوي" تفسير البغوي" معالم النزيل، جـ ٤ص٢٥٥.

[٢]) هو القعقاع بن معبد بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم التميمي الدارمي كان من سادات تميم، هكذا ذكره ابن الأثير ولم يذكر لوفاته تاريخا. ابن الأثير، أسد الغابة، جت٤ص١٠٩.

[٣]) هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد من بني تميم. وكان قيس قد حرم الخمر في الجاهلية ثم وفد على رسول الله ﷺفي وفد بني تميم. فأسلم، فأمره أن يغتسل بماء وسدر. قال رسول اللهﷺ فيه "هذا سيد أهل الوبر" وكان سيدا جوادا، أوصى قيس بن عاصم بنيه عند موته بوصايا عظيمة، انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٧ص٢٦.

[٤]) هو الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد ن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. وكان في وفد بني تميم الذين قدموا على رسول اللهﷺ فأسلم وكان ينزل أرض بني تميم ببادية البصرة. انظر المصدر السابق، جـ٧ص٢٧.

[٥]) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني، ص٥٢٣.

وروى البخاري في سياق هذه الغزوة عن عبد الله بن الزبير انه لما قدم ركب من بنى تميم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل أمر الاقرع بن حابس قال أبو بكر ما أردت الاَّ خلافي؛. قال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾الحجرات: ٤ ([١])

وقال قتادة نزلت الآية في ناس من أعراب بني تميم جاءوا إلى النبيﷺفنادوا على الباب ([٢]).

ولم يذكر ابن هشام لهاة تاريخا إنما ذكرها في جملة السرايا والبعوث، ورتبها بعد غزوة عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان الهذلي، وقبل غزوة غالب بن عبد الله أرض بني مرة ([٣]) وذكر ابن سعد أنها كانت في السنة التاسع من الهجرة ([٤]).



[١]) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب" إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون " جـ٦ص١٣٧.

[٢]) البغوي، تفسير البغوي" معالم التنزيل " جـ٤ ص٢٥٥.

[٣]) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني،ص٥٢١.

[٤]) ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ٢ص١٢١.


جامعة أم القرى
UMM AL-QURA UNIVERSITY

الفصل الثالث: أسرى أهل الكتاب.

وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: أسرى بني قينقاع.

المبحث الثاني: أسرى بني قريظة.

المبحث الثالث: أسرى خيبر.


جامعة أم القرى
UMM AL-QURA UNIVERSITY

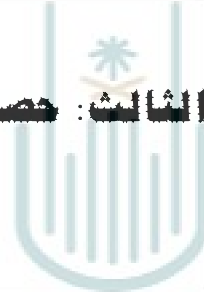
المبحث الأول: أسرى بني قينقاع.

وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: اليهود في المدينة.

المطلب الثاني: أسباب حصار بني قينقاع.

المطلب الثالث: حصار بني قينقاع وإجلائهم عن المدينة.



المطلب الأول: اليهود في المدينة.

اختلف المؤرخون حول بداية نزول اليهود في يثرب حتى قيل إنهم نزلوها في عهد موسى عليه السلام ولكن الصحيح على أرجح الأقوال أن قدوم اليهود إلى يثرب كان بين سنتي ٧٠ – و ١٣٥م وذلك بسبب الإضطهاد الروماني الذي أعقب احتلال فلسطين في القرن الأول ق. م، ولما ثار اليهود على الحكم الروماني في القرن الأول الميلادي قام الرومان بتدمير عاصمة اليهود وأحرقوا معبدهم وطاردوا رجالهم ففر الكثير منهم إلى بلاد العرب، ونزلوا في شمال الحجاز ثم فيما بين سنتي ١٣٢– و١٣٥م ثار اليهود مرة أخرى فأنزل الرومان بهم ضربة قاصمة وحولوا معبدهم إلى معبد وثني وفر كثير من اليهود نحو الحجاز ويثرب وانتشروا في أماكن كثيرة من منطقة يثرب والطريق المؤدية إلى الشام، وكانت القبائل اليهودية الكبرى وهي: قينقاع ، والنضير، وقريظة تتركز في يثرب بالذات ([1]).

وإلى جانب هذه القبائل الثلاث كانت توجد بطون وعشائر يهودية أخرى متفرقة تضم أكثر من عشرين بطنا سكنوا في جهات مختلفة من يثرب، وقد عاشت قبائل اليهود الثلاثة الكبرى في مساكنها عيشة التكتل والأحياء الخاصة؛ بينما عاشت البطون الصغيرة منتشرة إلى جوارهم أو إلى جوار البطون العربية في يثرب، وكان بنو قينقاع يدعون أنهم من ذرية يوسف الصديق عليه السلام ([2]).

---

١) محمد مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣م، ص ٤٤٨– ٤٤٩.

٢) السهمودي،علي عبد الله بن أحمد، ت ٩١١هـ، وفاء الوفاء بأخبار المصطفى، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى،١٤٩١هـ، جـ ١ص ١٢٦. انظر خريطة مواقع اليهود في المدينة رقم " أ ٨ " ٩" ب " جـ ١٠".

وكان بنو النضير وقريظة ([1]) وهم أول من قطعوا الحلف مع الأوس والخزرج وناصبوهم العداء يسمون بالكاهنين ([2]).

استقر اليهود في يثرب وبنوا فيها الحصون والقلاع والقرى المحصنة، لتوطيد مركزهم وإقرار هيبتهم في نفوس العرب، وقد بلغت آطام اليهود في يثرب تسعة وخمسين أطمًا (٣).

ولما قدم رسول اللهﷺ المدينة، اجتمع بالقبائل اليهودية كلها، وكتب بينه وبينها كتاباً ألحق فيها كل قوم بحلفائهم، وجعل بينه وبينهم أماناً، وشرط فيه شروطاً تنص على التعاون وحسن الجوار والتعايش السلمي للمجتمع المدني واحترام المواطنة وكان فيما شرط لهم أيضا ألا يظاهروا عليه عدواً ([4]).

كان الغرض الذي يرمي إليه الرسولﷺ من وراء الصحيفة هو هدم النظام القديم وإيجاد نظام جديد يمكن أن تتوحد به العناصر السكانية وحفاظا لحق الوطن والمواطن وتحديد نظام حياة المسلمين فيما بينهم، ومع غيرهم من اليهود وأهل الملل الأخرى، كما يهدف إلى تحويل هذه التجمعات إلى مجتمع واحد وتنظيم العلاقات بينهم بعد أن كانت منقسمة إلى عدة دوائر كل دائرة تابعة إلى بطن من البطون بما فيها الأراضي الزراعية والآطام التي كانت ملكا خاصا للقبائل لليهودية والأسر.

---

١) بني قريظة: نسبت القبيلة إلى رجل يقال له قُرظ نزل أولاده قلعة حصينة بقرب المدينة فنسبت إليهم، وقريظة والنضير أخوان من أولاد هارون النبيعليه السلام. أنظر السمعاني عبد الكريم بن محمد، ت ٥٦٢هـ ، الأنساب، تحقيق : عبد الرحمن بن يحي المعلمي وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ /١٩٦٢م جـ ١٠ص ٣٧٩.

٢) البكري، عبد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، جـ ١ص ٤١٥.

[3]) السهمودي، وفاء الوفاء، جـ ١ص ١٣١. وما بعدها

[4]) مغازي الواقدي، جـ ١ص ١٦٥. السهيلي، الروض الأنف، جـ ٤ص ١٧٦.

وفي ظل هذه الصحيفة تحالفت البطون اليهودية الصغرى مع الأوس والخزرج بعد سيادتهما في المدينة، أما قبائل اليهود الثلاثة الكبرى فقد اعتزت بقوتها وبقيت محتفظة بشخصيتها ثم إنها ناوأت الإسلام وأظهرت عدائها لنبي الإسلام ([1]).

بدأ اليهود منذ اللحظة الأولى التي أشرق فيها نور الإسلام ومنذ وصول النبيﷺ المدينة يكيدون للإسلام ويتربصون به الدوائر بغيا وحسدا وضغنا لما خص الله به العرب من اصطفائه رسوله منهم رغم ما وصت به " التوراة " من اتباع النبي العربي المكتوب عندهم ([2]).

وبالرغم من اللين والتسامح الذي عامل به النبيﷺ اليهود عند وصوله المدينة والمعاهدات الدفاعية المشتركة وعدم الاعتداء المعقود والمبرم بين المسلمين واليهود، ظل اليهود ما أمكنهم يقاومون الدعوة الإسلامية ويثيرون المتاعب أمام النبيﷺ وينشرون الأراجيف والأكاذيب لتشكيك الناس في الرسولﷺ والإطاحة بدعوته والنفور منها، ويتآمرون ضده بغية الإطاحة بحكمه والقضاء على دعوته وإحداث الشغب والفتن والفساد غير مبالين بعهد أعطوه ولا مقيمين وزنا لميثاق أبرموه.

وقد عانى النبيﷺ والمسلمين في يثرب من هذا الخلق اليهودي- طيلة أربع سنوات- حاول فيها رسول اللهﷺ والمسلمون مقابلة الدسائس والمؤامرات بحلم وتسامح عظيم وسعى إلى تهدئة الوضع، وظل اليهود ورائه في إشعال نار الفتنة والتفرقة بين المجتمع المدني وإعادتهم إلى ما كانوا عليه من الحروب والنزاع.

---

[1]) عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، مؤسسة الرسالة، دار النفائس، الطبعة ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م، ص ٣٢٤ وما بعدها.

[2]) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الأول، ص ٤٩٦. الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله جـ ١ ص ٢٧٩.

من ذلك ما أقدم عليه الزعيم اليهودي شاس بن قيس الذي حاول الإيقاع بين الأوس والخزرج بعد أن مر يومًا على نفر وهم في مجلس حب وإخاء وصفاء، فغاظه وآلمه ذلك التصافي والتحابب والألفة وأحزنه بعد ما كان بينهم من العداء، وكان اليهود يعيشون في منجاة من الخوف منهم، لما كان بينهم من الدمار والخراب.

فأراد أن يبعث العداوة بينهم من جديد، فأمر شاس شاباً يهوديا فانضم إلى مجلسهم وأخذ يذكر ما كان بينهم من نزاع حتى ذكرهم بيوم بعاث، فذكروه وتناشدوا الشعر، فتكلم القوم وتنازعوا وثارت الحمية القبلية بينهم فتسابوا وتشاتموا حتى هموا بالقتال ([1]).

فأتاهم الرسولﷺ وذكرهم بالله تعالى وبمقامه بينهم فقال: يا معشر الأنصار أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟.

فهدأ القوم وأفاقوا من غضبهم وذهب الشر عنهم، وعلموا أن هذا كيد من عدوهم، فألقوا السلاح، وبكوا وعانق بعضهم بعضًا، ثم انصرفوا مع رسول اللهﷺ سامعين مطيعين، وباء كيد هذا العدو الخائن وتدبيره بالخسران والخذلان المبين ([2]).

قال الطبري ونزلت الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ آل عمران : ١٠٠ (٣).

---

[1]) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، جامع البيان في تأويل أي القرآن، بيروت، دار الفكر، الطبعة ١٤٠٥هـ، جـ ٦ ص ٥٥. وانظر أيضا: ابن سيد الناس، عيون الأثر، جـ١ص ٢٧٤.

[2]) ابن هشام السيرة، النبوية ، تحقيق: السقا، القسم الأول، ص ٤٩٦.ومابعدها. وانظر أيضا: الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله، جـ ١ ص ٢٨١ وما بعدها. السهيلي، الروض الأنف، جـ ٤ص ٢٥٢.

[3]) الطبري، جامع البيان جـ ٤ص ٢٣.

المطلب الثاني: أسباب حصار بني قينقاع.

ويتكون من أسباب مباشرة وغير مباشرة.

أولا: الأسباب الغير المباشرة.

فرح اليهود عند سماعهم بنبأ تحركات قوات قريش نحو بدر لضرب المسلمين بما كانوا يعلقون من آمالهم على نشوب المعركة بين الفريقين فقد كانوا يظنون أن جيش مكة الكبير سيكفيهم مئونة القضاء على محمدﷺ وأتباعه، وبالتالي سيجتث جذور الدعوة الإسلامية من الأساس، كما كانوا يتوقعون أن النصر والغلبة ستكون للمشركين على المسلمين، ولكنهم فوجئوا بما لم يقع في حسباهم حين سمعوا أن قريشا غُلبوا هنالك وانقلبوا فلولهم صاغرين، كما خارت معنوياتهم وعلاهم الذل والمهانة والانكسار، لما رأوا زعماء مكة وقادتهم منقادون يتعثرون في خطاهم الأمر الذي أطار صواب اليهود وانفجرت براكين العداوة في صدورهم وصاروا يتوقعون نهاية أمرهم فلجئوا إلى أسلوب جديد في محاربة الإسلام (١).

سكنت بنو قينقاع في حي عرف باسمهم داخل المدينة، وكانوا أصحاب صناعة وحرف، فمعظمهم صاغة وحدادين وصناع أسلحة، ولأجل هذه الحرف كانت قد توفرت لكل رجل منهم آلات الحرب، وكانوا أشجع يهود المدينة (٢).

كانت بنو قينقاع أول قبيلة يهودية نقضت ما بينهم وبين رسول اللهﷺ وسعت لإعلان الحرب على المسلمين فيما بين بدر وأحد، فما أن سمعوا المدينة وقد اهتزت بالتكبير والتهليل من أقصاها إلى أقصاها فرحا بنصر الله.

[1]) محمد أحمد باشميل، غزوة بني قريظة، دمشق، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ/١٩٧١م ص ١٠٢ وما بعدها.
[2]) ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٢ ص ٢٩.

وبدأ الناس يتحدثون بهذا النصر المبين في المجالس والنوادي، استبشارا بهذا النصر المؤزر الذي أدخل المسلمين في التاريخ من أوسع أبوابه، وأصبحت لهم عزة وقوة وهيبة ومكانة في المدينة وما حولها، وبدؤوا يسخرون من رسول اللهﷺ والمسلمين، ويقللون من شأن انتصارهم يوم بدر وخرج شاعرهم كعب بن الأشرف (١) إلى مكة بحملة عدائية ضد المسلمين، وأخذ ينشد الأشعار ويبكى قتلى بدر من المشركين، ويحرض قريشًا ويشحذ من هممهم على الأخذ بثأرها ومحو عار هزيمتها النكراء التي ألحقتها في العرب، ولم يكتف الشاعر اليهودي بذلك فحسب؛ بل أخذ يهجو رسول اللهﷺ وأصحابه ويشبب بنساء المسلمين بشعره (٢).

وعندما بلغ بهم الأمر إلى هذا الحد واتضح عزمهم على الوقوف في وجه الدعوة وتجرؤوا لإعلان الحرب على الرسولﷺ لجأ إلى مفاوضتهم وإرجاعهم إلى جادة الحق بنصحهم وتخويفهم، وطلب منهم أن يكفوا أذاهم عن المسلمين وأن يحفظوا العهد الذي بينهم وبين المسلمين، وذكرهم عواقب البغي والعدوان إن هم سلكوا طريقه.

غير أن بني قينقاع واجهوا النصح النبوي الصادق في غاية الغطرسة والتحدي والتهديد، واستخفوا بوعيده ﷺ وردوا عليه بكل سفه وحماقة وجابهوا الرسولﷺ بقولهم يا محمد: لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لن تلق مثلنا ؟؟.

١) هو كعب بن الأشرف الطائي من بني نبهان. شاعر جاهلي. وأمه من يهود بني النضير. اعتنق اليهودية وشرف في أخواله وسكن معهم. وأدرك الإسلام ولكنه ناصب المسلمين العداء. وحرض قريشا على الانتقام من المسلمين بعد هزيمتهم في بدر. وهجا رسول اللهﷺ. وآذى المسلمين والمسلمات. فانتدب له خمسة من الأنصار بأمر النبيﷺ فقتلوه على باب حصنه. الحميري، محمد بن عمر مبارك،ت،٩٣٠هـ ، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار، تحقيق، محمد حسان نصوح عزقول، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ص ٢٧٤.

٢) سنن أبي داود، جـ ٣ ص ١٥٤. وانظر أيضا : الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله، جـ ٣ ص٤٩.

ونقضوا العهد الذي بينهم وبين المسلمين واستمروا في تحرشهم بالمسلمين واستفزازهم ومحاولة إثارتهم وجرهم إلى الحرب (١).

وهكذا بدأت الأزمة تتفاعل وتتفاقم حيث لم يكن في ردهم ما يشير إلى الالتزام ولا الاحترام بالمعاهدة التي أبرموها بل العكس فإنهم قد أظهروا الروح العدائي والاستعداد للقتال.

ثانيا : الأسباب المباشرة للغزو.

لم يتوقف بنو قينقاع في مسلكهم العدواني ضد المسلمين بل استمروا في خططهم التي رسموها في التحرش بالمسلمين ومحاولة إثارتهم وجرهم إلى الحرب حتى بلغ بهم الأمر إلى درجة الاعتداء على نساء المسلمين، فقد حدث أن امرأة مسلمة قدمت بحلي لها إلى سوق يهود بني قينقاع، فجلست إلى صائغ في السوق، واجتمع حولها نفر من اليهود يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها وهى غافلة فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها وضحك اليهود منها!.

وصاحت المرأة على من في السوق، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديا، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، وهكذا طارت الشرارة ووقعت الحرب بين المسلمين وبنى قينقاع (٢).

---

[1]) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، القسم الثاني، ص ٤٤. وانظر البيهقي، دلائل النبوة، جـ ٣ ص ١٧٤.

[2]) الواقدي، جـ ١ص ١٦٥. وانظر أيضا: الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله، جـ ص٢ ٥٩ وغيرها.وقد اشتهر في كتب المغازي والسير أن هذه القصة وقعت في السنة الثانية من الهجرة ، ومن المعروف أن نساء المسلمين لم يرتدين الحجاب حتى نزول آية الحجاب من سورة الأحزاب في السنة الخامسة للهجرة، فالظاهر والله أعلم أن تغطية المرأة وجهها إنما كانت من العادات الاجتماعية للعرب قبل الإسلام.وأقرها الإسلام بعد ذلك. ولم أقف على مصدر ذكر لهذه المرأة اسما .

المطلب الثالث: حصار بني قينقاع وإجلائهم عن المدينة.

وبعد هذا التحدي الصارخ على نبي الإسلام والتمادي والطغيان، لم يبق أمام المسلمين إلا مقاتلة بني قينقاع. .وفي يوم السبت للنصف من شوال من السنة الثانية من الهجرة، الموافق سنة ٦٢٣م. خرج إليهم رسول اللهﷺ هو وأصحابه، وفرض عليهم الحصار بعد أن استعدوا لحرب المسلمين، واعتصموا بحصونهم المنيعة، وكان عليه الصلاة والسلام قد نبذ إليهم العهد كما أمره تبارك وتعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ الأنفال: ٥٨.

ودام الحصار خمس عشرة ليلة،حيث بلغ فيهم الجهد والتعب مبلغه، وقذف الله في قلوبهم الرعب إذ أراد خذلانهم وهزيمتهم، فانهارت مقاومتهم واضطروا إلى التسليم والنزول على حكمه فقد فاجئهم أسلوب الحصار وأربكهم وأوقعهم في حيرة من أمرهم بعد أن قطع عنهم كل مدد وجَمَّد حركتهم فعاشوا في سجن مما جعلهم في النهاية ييأسون عن المقاومة والصبر، ويطلبون المفاوضة للتسليم ففاوضهم النبيﷺ وانتهت المفاوضة باستسلامهم ونزولهم تحت حكم رسول الله دون قيد أو شرط بعد أن كانوا يهددون رسول الله أنهم أولو قوة وأولو بأس شديد وأنهم يختلفون عن مشركي قريش (١).

فلم يكن سبب إجلائهم يعود إلى رفضهم الدخول في الإسلام لأن الإسلام في هذه المرحلة كان يقبل التعايش السلمي معهم، وأن نصوص صحيفة المدينة تؤكد إعطاء اليهود حريتهم الدينية في المدينة، وإنما يعود سبب الإجلاء إلى ما أظهروه من روح عدائية ضد المسلمين. ولو احترم اليهود ما بينهم وبين المسلمين من عهود ومواثيق لما وجدوا من يسيء إليهم بكلمة أو يزعجهم في مسكن أو مقام (٢)".

---

[١]) الواقدي، جـ ١ ص ١٧٦. وانظر أيضا: ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٢ ص ٢٨ وما بعدها.

٢) مهدي رزق الله، السيرة النبوية، جـ ١ ص ٤٥٢.

فأنزل الله قوله تبارك تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٢–١٣.

كان المنافقون وعلى رأسهم زعيمهم عبد الله بن أبي سلول يرقبون باهتمام بالغ ما كان يجري بين المسلمين وبين يهود بني قينقاع، وكان في أمنياتهم أن ينجح يهود بني قينقاع في انتفاضتهم وتمردهم على المسلمين، غير أنه أسقط في أيديهم حيث وقع يهود بني قينقاع في قبضة المسلمين واضطروا بعد أن حاصرهم النبيﷺ رغم استعدادهم وتحصنهم في حصونهم، فأمر بهم الرسولﷺ فكتفوا وربطوا، واستعمل على ربطهم المنذر بن قدامة السلميرضي الله عنه (١) وكان الرسولﷺ ينوي قتل المقاتلين وسبي الذرية.

فلما أمكن الله رسوله منهم أقبل رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول يشفع لهم عند رسول الله ﷺ فقال: يا محمد. أحسن في موالي، وكان بنو قينقاع حلفاء الخزرج في الجاهلية، وألحَّ على رسول اللهﷺ أن يصدر العفو عنهم، فأبطأ عليه رسول اللهﷺ؛ فكرر ابن أبي مقالته فأعرض عنه الرسولﷺ ولم يجبه بشيء، فوضع يده في جيب درعه، فقال له رسول اللّهﷺ" أرسلني " وغضب حتى رأوا لوجهه ظُللاً، من شدة الغضب ثم قال: "ويحك ، أرسلني"!. ولكن المنافق مضى على إصراره غير مبال، بل إنه أقسم بالله على رسولهﷺ فقال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي؛ أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة ؟. إني والله امرؤ أخشى الدوائر ؟؟.

---

١) هو المنذر بن قدامة السلمي من بني السلم رهط سعد بن خيثمة. ابن سعد، الطبقات، جـ ٢ص ٢٩.

وأمام هذا الإصرار والإلحاح والمضايقة لم يسع للنبيﷺ إلا أن يستجيب لطلبه فقال: " هم لك " فحلهم من الحبس، وأعفاهم من القتل.

واستجاب رسول اللهﷺ إلى طلب هذا المنافق وعامله بالحسنى، وحكم رسول اللهﷺ على بني قينقاع بالإجلاء عن المدينة وأمهلهم ثلاثة أيام فقط لا يحملون إلا أولادهم ونساءهم، ويتركون أموالهم غنيمة للمسلمين، مقابل إعفائهم عن القتل فغادروا المدينة إلى الشام بعد أن كانوا يتوقعون الموت جزاء نكثهم وتمردهم واكتفى بالتخلص من شرهم وطهر أسواق المدينة منهم، لعل غيرهم من اليهود يتعظون ويعتبرون ([1]).

وفى حوار عبد الله بن أبى مع الرسولﷺ نزل قوله تعالى﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِىَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٍ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ المائدة: ٥٢ ([2]).

ودلت الحادثة وما أعقبها من دفاع عبد الله بن أبي سلول عن اليهود ودوره في أحداث الفتن والتخذيل والترويج للإشاعات في صفوف المسلمين على نفاقه ومع كل ذلك عامله الرسولﷺ على أنه مسلم.

وهذا دليل على أن المنافق إنما يعامل في الدنيا على أنه مسلم ويتولى الله أمر باطنه يوم القيامة، والحكمة من معاملة المنافقين بحسب الظاهر، أن تظل العدالة بين الناس في مأمن من التلاعب إذ ربما اتخذ بعض الحكام حجية الأدلة الوجدانية والاستنتاجية وحدها ذريعة إلى الإضرار ببعض الناس بدون حق " ([3]).

١) مغازي الواقدي، جـ ١ص ١٧٧. السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق : مصطفى السقا، القسم الثاني، ص ٤٥. وانظر أيضا: ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٢ ص ٢٩. وانظر أيضا: البلاذري، أنساب الأشراف، جـ ١ ص ٣٠٩. وانظر أيضا : النويري فنون الأدب، جـ ١٧ ص ٥١. وانظر أيضا: البيهقي، دلائل النبوة، جـ ٣ ص١٧٤.

٢) تفسير ابن كثير، جـ ٢ ص ٧٠.

٣) مهدي رزق الله، السيرة النبوية، جـ ١ ص ٤٥٤ وما بعدها.

وكانت غزوة بني قينقاع أول عملية تطهيرية لطائفة يهود من المدينة نقضت العهد مع الرسولﷺ.

وفي هذه الحادثة قد يطرح السؤال التالي: وهو لماذا أجلى النبيﷺ القبيلة كلها رغم أن المخطئ واحد فقط..؟!

والجواب: هو أن الباقين متعاونون معه وراضون بفعله ولم يأخذوا على يده ولم يظهروا رفضهم لفعله؛ بل أقروا عليه وأعانوه على فعله ولم يمنعوه من نقض العهد فكلهم ناقضون، كما أنهم شاركوا جميعهم في قتال الرسولﷺ وعناده بمواصلة الإجرام على عدم النزول في حكمه طوال مدة الحصار، والتي كانوا يأملون خلالها نصرة المنافقين أو إخوانهم من اليهود لكن الله خذلهم.

المبحث الثاني: أسرى بني قريظة

وفيه خمسة مطالب.

المطلب الأول: محاصرة بني قريظة ونزولهم تحت حكم الرسول.

المطلب الثاني: تفويض الرسول الحكم عليهم إلى سعد بن معاذ

المطلب الثالث : مصير السبايا والغنائم.

المطلب الرابع : هل بني قريظة أسرى حرب ؟؟.

غزوة بني قريظة.

كانت بني قريظة التي سكنت جنوب شرق المدينة في حصونها وقلاعها وسلاحها تشكل خطرا كبيرا أمام المسلمين ([1]) وفي السنة الخامسة للهجرة تعرض المسلمون لأقسى محنة وذلك عندما تحالفت أكبر قوة عسكرية معادية للإسلام قدر عددها عشرة آلاف مقاتل من مشركي قريش وغطفان وبني سليم وأسد وفزارة وغيرهم بعددهم وعدتهم للقضاء على المسلمين داخل المدينة فيماعرف بغزوة الخندق أو الأحزاب ([2]).

وقد تواصى القوم فيما بينهم وتعاهدوا ألا يرجعوا إلا بعد استئصال شأفة المسلمين والخلاص منهم وذلك بتحريض من حيي بن أحطب زعيم بني النضير الذي انضم بعد هزيمة بني النضير وإجلائهم من المدينة إلى يهود خيبر ([3]).

وكان من المتوقع والمنتظر في الوضع الراهن وفي ظل هذه الظروف الصعبة أن ينضم يهود بني قريظة إلى صفوف المسلمين ضد القوات الغازية للحفاظ على المدينة ولحماية حدودها بناء على نصوص بنود المعاهدة المبرمة بين المسلمين واليهود والتي تنص على التكاتف معا كمجتمع واحد على كل من يقصد الاعتداء على المدينة، وليت ما حصل هو عدم الانضمام إلى الجيش الإسلامي فحسب؟.

---

[1]) أنظر الخريطة رقم "٢٣"

[2]) الحلبي،علي برهان الدين، ت ١٠٤٤هـ السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، بيروت، جـ ٢ ص ٤٥٦-٦٥٧.

٣) الواقدي، جـ ٢ص٤٥٦. وانظر أيضا: البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، بيروت، دار الكتب العلمية ، الطبعة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، جـ ٨ ص ٥٩٨.

لكن الذي حصل هو عكس ما كان يتوقع، فقد فوجئ المسلمون بخيانة بني قريظة في أخطر أوقات محنتهم، حيث لم يراعوا للجوار حقا ولا للعهود حرمة بل كانوا يسعون من وراء انضمامهم هذا إلى صفوف القوات الغازية للقضاء على المسلمين وإبادتهم من المدينة!.

وقد أحدثت هذه الخيانة زلزالا بين المسلمين وزادت من ورعهم فاشتد الخطب وعظم البلاء، وحرص الرسولﷺ في أول الأمر على كتمان الخبر عن المسلمين لما كان يخشى من وقعة في نفوس الجيش الإسلامي.

وما أن وصل إليه الخبر حتى بعث وفدًا خاصا ضم عددا من قادة الأنصار على رأسهم زعيم الأوس سعد بن معاذرضي الله عنه ([1]).

وزعيم الخزرج سعد بن عبادةرضي الله عنه وغيرهم ليذكّروا القوم بما بينهم من عقود وعهود وليحذروهم مغبة ما هم قادمون عليه، ولكنهم وجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم واستقبلوا الوفد بوابل من السباب والشتائم.

هكذا نقضت بني قريظة العهد وأنكروا المعروف وردوا على الوفد الناصح بكلام تتجلى فيه مستوى الخسة والسفاهة التي هي من طبيعتهم، وعاد الوفد الإسلامي يحمل إلى الرسولﷺ تأكيد غدر اليهود ونقضهم العهد ([2]).

١) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت، وهو عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي، يكنى أبا عمرو. وأمه كبشة بنت رافع، لها صحبة، أسلم بالمدينة بين العقبة الأولى والثانية ، على يدي مصعب بن عمير، وشهد بدرا، وأحدا، والخندق، ورمى يوم الخندق بسهم فعاش شهرا ثم انتقض جرحه فمات منه. أنظر ابن عبد البر، الاستيعاب، جـ ٢ ص ٦٠٢.

٢) الواقدي، جـ ٢ ص ٤٥٩. وانظر أيضا : السيرة النبوية لابن هشام، القسم الثاني، ص ١٩١.

وفي ظل هذا الظرف الطارئ وأمام هذا الخطر الداهم كان لابد من اللجوء إلى خطة حكيمة للدفاع عن المدينة وتعطيل تلك الحركة العدوانية التي أثارها اليهود ضد المسلمين في المدينة، فبرز الصحابي الجليل سلمان الفارسيﷺ ([١]) بفكرته في مشروع حفر الخندق لحماية المدينة ضد قوات تحالف العدو.

ولم يكن فكرة حفر الخنادق للأغراض الدفاعية معروفة عند العرب من قبل مما أدهش الأحزاب وعرقل تحركاتهم نحو المدينة ([٢]).

وكان لهذا المشروع الدفاعي نصيبه الأكبر ودوره الفعال في تجميد نشاط جيوش الأحزاب وشل حركتها ثم فشلها في النهاية فقد كانت أحد أسباب النصر الحاسم الذي كتبه الله للمسلمين حيث قال النبي ﷺ حين أجلى الأحزاب عن المدينة " الآن نغزوهم ولا يغزونا "([٣]).

وانتهت "غزوة الأحزاب" بانسحاب الأحزاب دون أن تتمكن قواتهم من اقتحام المدينة ودون أن تحقق شيئا من الأهداف التي جاءت لتحقيقها، وسلط الله عليهم ريحا شديدة لم تترك لهم شيئا إلا هدته وبعثرته، فولت جموعهم الأدبار وهم يجرون أذيال الخيبة وكان أول المنهزمين زعيمهم أبو سفيان، تاركين بني قريظة وحدهم في الميدان ليواجهوا المصير الذي يستحقه كل خائن وغادر وناكث ([٤]).

---

١) سلمان الفارسي أبو عبد الله أصله من قرية بأصبهان وهو الذي يقال له سلمان سكن الكوفة مات في خلافة على ﷺ بالمدائن سنة ست وثلاثين. ابن حبان، الثقات، جـ ٣ ص ١٥٧ .وذكر ابن سعد أن سلمان الفارسي نزل بالكوفة وتوفي في خلافة عثمان ﷺ ولم يذكر تاريخ وفاته. والظاهر: والله أعلم أن وفاته في آخر خلافة عثمان أيام الفتنة وفي أول خلافة علي بن أبي طالبﷺ.

٢) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: السقا، القسم الثاني، ص ١٩٢ وما بعدها.

٣) البيهقي، دلائل النبوة، جـ ٣ ص ٤٥٧ .وانظر أيضا المقريزي، إمتاع الأسماع، جـ ٤ص ٤٠١. وانظر الطبراني، المعجم الكبير، جـ ٧ ص ٩٨.

٤) محمد باشميل، ص ١٥٤.

المطلب الأول: محاصرة بني قريظة ونزولهم تحت حكم الرسولﷺ.

كان غدر يهود بني قريظة بالمسلمين وانضمامهم إلى صفوف الأحزاب، وإعلانهم ذلك ومساندتهم الغزاة والانضمام إليهم ضد مواطنيهم وحلفائهم المسلمين جريمة في تاريخ الإنسانية، وكانوا يدركون فظاعة جريمتهم التي ارتكبوها ضد حلفائهم المسلمين، فلما أن ولى الأحزاب حتى اعتصم اليهود في حصونهم يرتجفون خوفا

من المصير المرعب التي ينتظرهم على أيدي المسلمين جراء غدرهم وخيانتهم التي قاموا بها ضد المسلمين في ذلك الظرف الحرج والذي وصلت فيه حالة المسلمين منتهى درجات الخطورة وبلغت الأرواح أقصى الحناجر كما وصف الله تبارك وتعالى ظروف تلك الموقف وصعوبته فقال: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾ الأحزاب: ١٠.

ودقت ساعة الانتقام وجاءت الأوامر الإلهية الصريحة المشددة بعد أن ولى المشركون وحلفائهم الأدبار تأمر الرسولﷺ أن يسارع قبل أن يضع جنده السلاح بالزحف على حصون يهود بني قريظة لإنزال العقاب الرادع والعادل بأولئك الخونة المجرمين، والذين كادوا بغدرهم وخيانتهم يتسببون في إبادة الدولة الإسلامية الناشئة ومحوها من كيان الوجود، فجاء ملك الوحي جبريلعليه السلام إلى رسول اللهﷺ فقال: يا محمد، أوضعت السلاح ؟!. والله إن الملائكة لم تضع أسلحتها ؛ فانهض بمن معك إلى بني قريظة، فإني سائر أمامك أزلزل حصونهم وأقذف في قلوبهم الرعب (١).

فسار جبريلعليه السلام في موكبه من الملائكة، وخرج رسول اللهﷺ على أثره في موكبه من المهاجرين والأنصار، ونادى رسول اللهﷺفي أصحابه فقال " لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة ".

---

(١) ابن هشام السيرة النبوية، القسم الثاني، ص٢٠١ وما بعدها.با شميل، غزوة بني قريظة، ص ١٥٧ وما بعدها.

وعلى الرغم من تعب المسلمين لبقائهم مدة طويلة محاصرين في برودة الطقس وما ألمّ بهم من الظروف العصيبة فقد أسرع المسلمون إلى امتثال أمر رسولهم، ونهضوا من فورهم إلى ديار بني قريظة قبل أن يحل الظلام حتى إن بعضهم أدركهم وقت العصر في الطريق فلم يصلوها إلا في بني قريظة كما أمرهم الرسولﷺ والبعض صلوها بعد العشاء الآخرة، وقال بعضهم. لم يرد منا ذلك وإنما أراد سرعة الخروج فصلوها في الطريق فلم يعنف واحدة من الطائفتين بل احترم وجهات نظرهم المختلفة في فهم النصوص (١).

وأورد الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما رجع النبيﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد. قد وضعت السلاح ؟!

والله ما وضعناه فاخرج إليهم؟. قال: فإلى أين ؟. قال هاهنا؛ وأشار إلى بني قريظة فخرج النبيﷺ إليهم (٢).

وذكر ابن سلام والبلاذري عن ابن شهاب قال: أقبل رسول اللهﷺ حين انصرف من الأحزاب حتى دخل على أهله فوضع السلاح فدخل عليه جبريل عليه السلامفقال: أوضعت السلاح؟. وما زلنا في طلب القوم؛ فاخرج فإن الله تبارك وتعالى قد أذن لك في بني قريظة (٣).

وأنزل الله فيهم ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ الأنفال: ٥٨.

---

١) ابن عبد البر، يوسف، النمري يوسف بن البر، الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، وزارة المعارف، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، جـ ١ص ١٧٧. وانظر أيضا: ابن الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، جـ ٣ ص ١٣٠.

٢) صحيح البخاري، جـ ٤ ص١٥١٠. وانظر أيضا : الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، جـ ٥ ص ٤٠٧. وانظر أيضا: ابن سعد، الطبقات الكبرى ، جـ ٣ ص ٤٢٥

٣) ابن سلام، أبو عبيد القاسم، ت٢٢٤ هـ ، الأموال ، تحقيق : خليل محمد هراس، بيروت، دار الفكر، الطبعة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م جـ ص ٦٩. البلاذري، أنساب الأشراف، جـ ١ ص ١٥٢.

ونزل رسول الله ﷺ ومن معه من المهاجرين والأنصار على بئر من أبار بني قريظة يقال لها " بئر أنى " وفرض عليهم الحصار وحاصرهم خمسا وعشرين ليلة ([1]).

فلم يجرأ أحد على الخروج من حصونهم طيلة مدة الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فصاروا مترددين لا يستقر رأيهم على شيء من شدة الخوف.

ولما اشتد بهم الأمر أشار عليهم زعيمهم كعب بن أسد بثلاث خيارات منها:

١- أن يعتنقوا الإسلام.

٢- أو يقتلوا نساءهم وأبناءهم ثم يقبلوا إلى حرب محمد حتى يحكم الله بين الفريقين.

٣- أو يفسدوا سبتهم ويخرجوا إلى محمد وأصحابه غرة.

لكنهم أنكروا فقالوا: لا نفارق التوراة، ولا نقتل أبناءنا ولا نساءنا فما في العيش خير بعدهم، ولا نفسد سبتنا؛ ورفضوا الخيارات الثلاثة، ثم لزموا حصونهم ينتظرون مصيرهم وسط جو من الخوف والترقب، فلما طال أمد الحصار وأجهد كلا الفريقين، آلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه على نفسه أن يفتح حصنهم أو يذوق ما ذاق عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ([2]).

وبعد أن سمع اليهود إنذار حامل لواء الجيش الإسلامي واستعداده بالهجوم على حصونهم، نزلوا على حكم الرسول ﷺ.. وهكذا انهارت مقاومة اليهود وأعلنوا الاستسلام على حكم الرسول ﷺ دون قيد أو شرط وبادروا إلى فتح أبواب معاقلهم وحصونهم التي ظنوا أنها تمنعهم من الله ورسوله للمسلمين فورا فألقوا سلاحهم وأخذوا يغادرون الحصون مستسلمين للمسلمين.

---

[1]) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق ، مصطفى القسم،الثاني، ص ٢٠١ وما بعدها. وانظر أيضا : ابن حزم، جوامع السيرة، جـ ١ ص ١٩٣. ابن كثير، السيرة النبوية ، جـ ٣ ص ٢٣٠

[2]) الواقدي، جـ ٢ص ٥٠٣. ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، القسم الثاني، ص٢٠٢وما بعدها.

.

المطلب الثاني: تفويض الرسول الحكم عليهم إلى سعد بن معاذ

ثم جعل رسول الله ﷺ الحكم فيهم إلى الصحابي الجليل سعد بن معاذ سيد الأوس فرضي بنو قريظة بحكمه طمعا لما كان بينهم وبين الأوس من حلف في الجاهلية، وتوقع اليهود أن هذه الصلة قد تنفعهم كما فعل عبد الله بن أبي سلول لبني قينقاع لما وقعوا في قبضة المسلمين، لكنهم ما لبثوا أن عرفوا الفرق بين عبد الله بن أبي سلول رأس النفاق وبين سعد بن معاذ من رؤوس المتقين، وكان حكم سعد فيهم: أن يقتل المقاتلون، وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء.. كان سعد بن معاذ رضي الله عنه يعرف تماما أن الأحزاب لو انتصرت في حربهم على المدينة لكان مصير المسلمين الإبادة من الوجود، فجزاهم بمثل ما عرضوه للمسلمين وكان حكمه هذا في غاية العدل والإنصاف ([1]).

- **تنفيذ حكم الإعدام على جميع رجالهم.**

أصدر سعد بن معاذ رضي الله عنه حكمه العادل باستئصال أفاعي الغدر والخيانة على بني قريظة الذين نقضوا المواثيق المؤكدة، وعاونوا الأحزاب لمحاولة إبادة المسلمين في أحرج ساعة كانوا يمرون بها في حياتهم، وصاروا بعملهم هذا من أكابر مجرمي الحروب الذين يستحقون المحاكمة والإعدام جزاء ما اقترفوا من الخيانة والغدر، وأمر رسول الله ﷺ باعتقال الأسرى بعد خروجهم من حصونهم فكتفوا جميعا ووضعت القيود في أيديهم ثم سِيقُوا إلى بيت أسامة بن زيد، أما السبايا من النساء والذراري فأمر بعزلهم عن الرجال فجعلوا في ناحية، ثم سِيقُوا إلى دار ابنة الحارث امرأة من بني النجار، وفوض أمرهم إلى عبد الله بن سلام ([2]).

---

[1]) السيرة النبوية لابن هشام، ت، السقا، القسم الثاني،ص٢٠٥. الواقدي،جـ٢ ص١٣ وما بعدها. ابن سعد، الطبقات الكبرى،جـ٢ ص ٧٧.

٢) عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، ثم الأنصاري، يكنى أبا يوسف، وهو من ولد يوسف بن يعقوب صلى الله عليهما، كان حليفا للأنصار. يقال كان حليفا للقوافل من بني عوف بن الخزرج، وكان اسمه في الجاهلية الحصين.

ثم أمر رسول اللهﷺ فحفرت خنادق في سوق المدينة، ثم بعث إليهم، فكانوا يخرجون أرسالا وضربت أعناقهم جميعا، وكان فيمن قتل عدو الله حيي بن أخطب ورئيسهم كعب بن أسد، وكان عددهم ما بين ستمائة أو سبع مائة، وقال ابن عباسرضي الله عنه: كانوا سبعمائة وخمسين (١).

لم يكن في بال نساء بني قريظة أن يقتل رجالهن وإنما كن يتوقعن أن يمن رسول اللهﷺعلى رجالهن أو يقبل منهم الفدية فلما أصبحن وفوجئن بمقتلهم صحن وشققن الجيوب، ونشرن الشعور وضربن الخدود وامتلأت المدينة بالبكاء والعويل، فأمر هن الزبير بن باطا بالصبر والمصابرة والثبات على اليهودية فقال: "اسكتن فأنتن أول من سبي من نساء بني إسرائيل منذ كانت الدنيا، ولا يرفع السبي عنهم حتى نلتقي نحن وأنتن، وإن كان في رجالكن خيرٌ فدوكن فالزمن دين اليهود فعليه نحيا وعليه نموت " (٢).

وأتي بعدو الله حيي بن أخطب وقد جمع يداه إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول اللهﷺ قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكن من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس وقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه (٣).

ولم يظهر عدو الله أي أثر من مخايل الخوف ساعة إعدامه بل كان على جانب كبير من الشجاعة والثبات وحث إخوانه اليهود على الخضوع لأمر الله..

فلما أسلم سماه رسول اللهﷺ عبد الله، وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية سنة ثلاث وأربعين، وهو أحد الأحبار، أسلم إذ قدم النبيﷺ المدينة. ابن عبد البر، الاستيعاب، جـ ٣ص ٩٢١.

١) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: السقا، القسم الثاني، ص ٢٠٦.

٢) مغازي الواقدي، جـ ٢ص٥١٨. وهذا الكلام عار من الصحة فقد سبي كثير من بني إسرائيل على أيدي البابليين والأشوريين في الألف الأولى قبل الميلاد وكذلك على أيدي الرومان. وقد ذكرنا في المقدمة شيئا من أحوال الأسرى عند الأمم الماضية. أنظر في هذا البحث، ص ٣٤-٣٥.

٣) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، القسم الثاني، ص ٢٠٦. القرطبي، جـ ١٤ ص ١٤١ الواقدي، جـ ٢ ص ١٥وما بعدها. الطبري تاريخ الطبري، جـ ٢ ص١٠١. الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار النشر: القاهرة، دار الريان للتراث،بيروت، دار الكتاب العربي الطبعة ١٤٠٧. جـ ٦ ص ١٣٨.

واقتصر الحكم على الرجال البالغين فقط دون السبايا من النساء والذراري، فإن سعدا لما حكم بقتل رجالهم أمر رضي الله عنه أن يكشف عن أُزُرهم لمعرفة من بلغ منهم وذلك للعدالة في الحكم، ولما بلغ سول الله حكم سعد فيهم قال: " لقد حكمت بحكم الله عز وجل من فوق سبعة أرقعة "([1]).

وذكر ابن إسحاق عن عطية القرظي قال " كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يقتل من بني قريظة كل من أنبت منهم وكنت غلاما، فوجدوني لم أنبت فخلوا سبيلي" ([2]).

ووهب رسول الله ﷺ لخالته سلمى بنت قيس أم المنذر رضي الله عنها رفاعة بن سموأل القرظي، عندما طالبته بذلك وكان رجلا قد بلغ فلاذ بها فاستحيته ([3]).

وهكذا نفذ حكم الله في رجال بني قريظة على كل من أنبت منهم و من جرت عليهم المواسى.

- **شفاعة ثابت بن قيس رضي الله عنه للزبير بن باطا .**

كان نبي الإسلام حريصا على الوفاء بالعهود ومجازات الإحسان، وكان يأمر أصحابه بذلك، وفي مسند الإمام أحمد عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: من سألكم بالله فأعطوه ومن استعاذكم بالله فأعيذوه ومن أتى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه ومن استجاركم فأجيروه (٤).

---

[1]) الواقدي، جـ٢ ص ٥١٢. والأرقعة: السماوات السبع، والواحدة، رقيعة. ابن منظور، لسان العرب،جـ ٨ ص١٣٢.

[2]) ابن هشام، السيرة النبوية تحقيق : مصطفى السقا، القسم الثاني، ص ٢٠٨، سنن أبي داود، جـ ٤ ص١٤١

[3]) ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، القسم الثاني، ص ٢٠٩

٤) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، جـ ١٠ ص ٣٣. وانظر أيضا: أبي داود، سنن أبي داود، جـ ٤ ٣٢٨.

وانظر أيضا: البيهقي، سنن البيهقي. جـ ٤ ص١٩٩.

والقرآن يدعوا إلى ذلك قال تعالى﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴿٨٤﴾ ﴾القصص ٨٤.
وسبق الكلام في أسرى بدر أن النبيﷺ قال في أُسَارَى بَدْرٍ لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له ([1])

كان الزبير بن باطا من بين الأسرى ويكنى بأبي عبد الرحمن، أحد قادة بني قريظة في الجاهلية وعلماء اليهود والذي قال عنه رسول اللهﷺ"لو أسلم الزبير وذووه من رؤساء يهود لأسلمت يهود كلها إنما هم له تبع" ([2]).

منّ الزبير على ثابت بن قيس بن الشماس في الجاهلية يوم بعاث بعد أن وقع أسيرا فجزّ ناصيته ثم خلى سبيله، وفي يوم بني قريظة أراد ثابت أن يجزيه أجر ما صنع له، فجاءه وكان شيخاً كبيراً قد عمي بصره فقال له: يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني ؟.
فقال: وهل يجهل مثلي مثلك؟
قال: إنّي أريد أن أكافئك بيدك عندي؛ قال: إنّ الكريم يجزي الكريم، وذهب ثابت إلى رسول اللهﷺ وسأله أن يهب له الزبير بن باطا بعد الحكم عليه، فوهبه إياه ثم جاء إليه فقال له: إنّ رسول اللهﷺ قد وهب لي دمك.

فاستشفع الزبير لثابث أهله وماله، فعاد ثابت إلى رسول الله واستشفع له في أهله وماله فقبل رسول اللهﷺ شفاعته له في أهله وماله.. لكن عدو الله أخذ يسأل عن زعماء قومه ورؤوس الشر والفتنة من اليهود، ولما علم بمقتلهم أبى إلا أن يلحق بهم فقال: " والله ما في العيش خير بعد هؤلاء!

---

١) وقد تقدم ذكر الحديث، انظر في هذا البحث ص ١٣٥

٢) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، جـ ١ص٣٦. وانظر أيضا: ابن كثير، البداية والنهاية، جـ ٢ ص٢٦٧.

يا ثابت؛ أسألك بيدي عندك إلا ألحقتني بالقوم؛ فما أنا بصابر لله فتلة دلو ناضح حتى ألقى الأحبة !" فقدمه ثابت فضرب عنقه وألحق بهم ([1]).

هكذا حلف عدو الله بعد أن علم بمقتل قرنائه من قومه، وأبى بعد صدور العفو عنه إلا أن يقتل كما قتل قومه فضرب عنقه وألحق بهم، وهذه قصة عجيبة تدل على عناد اليهود وتمسكهم بغيهم وضلالهم وعنادهم لما جاء به نبي الإسلام حسدا من عند أنفسهم، وتم إعدام جميع بني قريظة جزاء غدرهم وخيانتهم ونكثهم العهد.



[1]) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، القسم الثاني، ص٢٠٧، وما بعدها. وانظر أيضا : ابن كثير إسماعيل بن عمر، السيرة النبوية، جـ ٣ ص ٢٤٠.وانظر أيضا: البيهقي، دلائل النبوة، جـ ٤ ص ٢٤. وانظر أيضا: الواقدي، جـ ١ص٥١٩.

المطلب الثالث: مصير السبايا والغنائم.

وبعد أن فرغ رسول الله ﷺ من أمر رجال بني قريظة أمر بإحصاء الغنائم من سبي وأموال وتقسيمها على المسلمين، وتم ذلك حسب القانون الذي نزل به القرآن الكريم، وهو أن تقسم الغنائم خمسة أقسام، قسم يبقى تحت تصرف النبي ﷺ يتصرف بها حسب ما تقتضيه المصلحة.

قال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٤١﴾ ﴾ الأنفال: ٤١.

وتم توزيع الأسهم الباقية على المحاربين، فكان للفارس ثلاثة أسهم، وللراجل سهم وبعث مع سعد بن زيد الأنصاري ([١]) بعض سبايا بني قريظة إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا ([٢]).

واصطفى رسول الله من سبايا بني قريظة ريحانة بنت زيد بن عمرو القرظية، وكانت جميلة وَسِيْمَة فخيرها رسول الله ﷺ بين الإسلام ودينها، فاختارت الإسلام، فأعتقها وتزوّجها، وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشا ([٣]) وقيل كانت موطوءة بملك اليمين والتفصيل في ذلك كما يلي ([٤]).

---

١) هو سعد بن زيد بن مالك بن عبد بن كعب بن عبد الأشهل ويكنى أبا عبد الله وأمه عمرة بنت مسعود بن قيس بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، شهد بدرا، وأحدا، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله، ومات سنة خمس وأربعين وهو ابن سبعين سنة، ودفن بالمدينة وقد انقرض عقبه فلم يبق منهم أحد.ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٣ ص ٤٣٩.

٢) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، القسم الثاني، ص ٢٠٩. وانظر أيضا: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الصحابة، جـ ٢ص ٥٩٢. وانظر أيضا: غزوة بني قريظة، باشميل٢٢٨ وما بعدها.

٣) الأوقية: جمع أواقي، والأوقية: أربعون درهما. قال الأزهري: السنة في النكاح ثنتا عشرة أوقية ونش، والنش: عشرون . الأزهري، تهذيب اللغة، جـ١٣ص٢١٦.

٤) ابن سيد الناس، عيون الأثر، جـ٢ص٣٧٣، وانظر أيضا: الحلبي، السيرة الحلبية، جـ٣ ص٤٥٠.

- الرسول ﷺ يتزوج من بني قريظة.

اصطفى رسول اللهﷺ من بين سبايا بني قريظة السيدة ريحانة بنت عمرو (١). إحدى نساء بني عمرو بن قريظة، وعرض عليها الإسلام فأبت إلا اليهودية واستعصت، فأعرض عنها رسول اللهﷺ ولم يجبرها على الإسلام، ووجد في نفسه لذلك من أمرها، وبينما رسول اللهﷺ جالس مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه؛ فقال: " إن هذا لثعلبة بن سعية ([٢]) يبشرني بإسلام ريحانة ".

فجاء ثعلبة فقال: يا رسول الله، قد أسلمت ريحانة، فسر ذلك من أمرها ([٣]).

فكانت عند رسول اللهﷺ حتى توفي عنها وهي في ملكه، وكان رسول اللهﷺ عرض عليها أن يتزوجها، ويضرب عليها الحجاب؛ فقالت: يا رسول الله، بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعليك، فتركها ([٤]).

وذكر ابن سعد وابن كثير وابن عساكر في حديث طويل، أن ريحانة بنت زيد كانت أمة لرسول الله ﷺ وكانت عند رجل من بني قريظة يقال له الحكم، فلما وقع السبي على بني قريظة سباها رسول اللهﷺ وعرض عليها الإسلام فأسلمت وأعتقها وتزوجها وأصدقها باثني عشر أوقية، وكان رسول اللهﷺ معجبا بها.

---

١) هي ريحانة بنت شمعون بن زيد، بن عمرو بن قنافة بالقاف أو خنافة بالخاء المعجمة من بني النضير وقال بن إسحاق من بني عمر بن قريظة وقال بن سعد ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة بن شمعون بن زيد من بني النضير. أنظر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، جـ ٨ ص ١٤٦.

٢) هو ثعلبة بن سعية، وقيل ابن يامين، نزل هو وأخوه ثعلبة بن سعية في الليلة التي في صبيحتها نزل بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ، ونزل معهما أسد بن عبيد القرظي فأسلموا وأحرزوا دماءهم وأموالهم، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، جـ ١ ص ٩٦.

٣) السيرة النبوية لابن هشام، مصطفى السقا، القسم الثاني، ص ٢٠٩. مغازي الواقدي، جـ٢ ص ٢١ . وما بعدها. وانظر أيضا: السيرة النبوية لابن كثير، جـ ٤ ص ٦٠٤.

٤) السهيلي، الروض الأنف، جـ ٦ ص ٢٤٢.

وكان تزويجه إياها في المحرم سنة ست من الهجرة ([1]).

قال الواقدي: وحدثني ابن أبي ذئب قال: سألت الزهري عن ريحانة فقال: كانت أمة رسول الله ﷺ فأعتقها وتزوجها، فكانت تحتجب في أهلها وتقول: " لا يراني أحد بعد رسول الله ﷺ ". قال الواقدي: وهذا أثبت الحديثين عندنا، وكان زوجها قبله ﷺ رجل يقال له الحكم (٢).

- من قتل من سبايا بني قريظة.

إن قانون الحرب في الإسلام يحرم قتل نساء العدو تحريما قاطعا إلا حدا أو قصاصا أو في ميدان الحرب إذا خاضتها المرأة للقتال مع الرجال لهذا فإنه لم يقتل من النساء إلا امرأة واحدة وهي بنابة ([3]) امرأة الحكم القرظي بسبب جريرة ارتكبتها، حيث طرحت رحى على خلاد بن سويد رضي الله عنه فقتلته بتلك الرحى بإرشاد زوجها لما اشتد حصار المسلمين لبني قريظة فتم إعدامها قصاصا ([4]).

كانت المرأة ساعة تنفيذ حكم الإعدام في رجال بني قريظة جالسة مع السيدة عائشة رضي الله عنها فلما استدعيت باسمها من بين السبايا سألتها السيدة عائشة عن حكايتها فقصت لها ما كان من أمرها؛ وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها تقول: والله ما ألقى عجبا منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تقتل" (٥).

---

١) الطبقات الكبرى، جـ ٨ ص١٢٩، وما بعدها. ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله، ت ٥٧١هـ، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دمشق، دار الفكر، الطبعة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م،جـ٣ص٢٤٠. ابن كثير، السيرة النبوية، جـ ٤ص ٦٠٥.

٢) الواقدي، جـ ٢ص٥٢١.

٣) أورد أبو حيان الأندلسي في تفسيره " البحر المحيط " أن اسم المرأة لبابة. محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م جـ ٧ ص ٢١٨. وذكر الحلبي في سيرته أن اسمها " نباتة " وقيل " مزنة " جـ ٢ ص ٦٦٨. وقال ابن حزم: وقتل من نسائهم امرأة واحدة، وهي بنابة امرأة الحكم القرظي، جوامع السيرة،جـ١ص١٩٥.

٤) الواقدي، جـ ٢ص ١٩. وانظر أيضا : ابن حزم، أحمد بن سعيد، ت، ٤٥٦هـ، جوامع السيرة، جـ ١ص ١٩٥. الحلبي، علي برهان الدين، ت، ١٠٤٤هـ السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، بيروت دار المعرفة، الطبعة ١٤٠٠هـ جـ ٢ص ٦٦٨. تفسير القرطبي، جـ ١٤ ص١٤١.

٥) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، القسم الثاني، ص٢٠٧. وانظر أيضا، السيرة الحلبية، جـ ٢ ص ٦٦٩.

المطلب الرابع: هل بني قريظة أسرى حرب.؟؟

إن ما وقع ببني قريظة كان نابعا من مبادئ الحق والعدل الإلهي فإن ما قاموا به من الخيانة في حقهم بنقض العهد مرات وخيانتهم ومظاهرتهم على نبي الإسلام والتحالف مع الأحزاب ورسمهم الخطة لإبادة المسلمين، كانوا يستحقون ما هو أشد وأعظم منه إن وجد حيث خرجوا بفعلهم هذا في نطاق القانون والأعراف فكان مصرعهم جزاءا عادلا.

ولو وقع المسلمون في أيدي الأحزاب الذين تواطأ معهم يهود بني قريظة لكان الإسلام قصة يروى ولما صار المسلمون إلى أقصى ما صاروا إليه، وعليه فإن ما حل ببني قريظة جزاءا وفاقا فهو عقاب عادل نزل بخونة مجرمين غادرين ارتكبوا الخيانة العظمى ضد الإنسانية حيث لم يراعوا العهود المبرمة والمواثيق بين الجانبين، وضد الوطنية وضد وطنهم ومواطنيهم، ومن هنا اقتضت مصلحة المسلمين وسلامة كيانهم إبادة هؤلاء الخونة وبترهم في جسم المجتمع المدني، وقد كانوا بالإضافة إلى ذكر قوة محاربة دلت الأحداث المتلاحقة أن بقائها في المدينة مصدر خطر كبير سلامة الدولة الإسلامية الفتية ([1]).

وقد تطاول قوم على تصرف النبيﷺ ومعاملته لبني قريظة، وقالوا إن الإعدام الجماعي الذي تم لهؤلاء القوم قد تم بصورة من القسوة والوحشية ولا يليق هذه المعاملة.

[1]) باشميل، غزوة بني قريظة، ص ١٥٤وما بعدها.

والرد على هذه التطاولات كما يلي .

أولا: أنه لو تمت نتيجة غزوة الأحزاب حسبما كان يخطط لها بنو قريظة وأحزابهم لكان الإبادة التامة هي مصير المسلمين جميعا، ولم يقدم بني قريظة على هذا العمل الخسيس إلا بعد أن تكوّن لديهم ما يشبه اليقين أن مشركي الأحزاب سوف يقومون بمساعدتهم بتدمير الكيان الإسلامي تدميراً كاملاً، واستئصال شأفة المسلمين وإبادتهم، لذلك لم يترددوا في الغدر بحلفائهم على تلك الصورة البشعة، بل كانوا حريصين كل الحرص على المصير إلى هذه النتيجة، حتى إنهم طلبوا من الأحزاب والمشركين أن يسلموا إليهم رهائن من رجالهم يكونون عندهم ليضمنوا أن جيوش الأحزاب لن تنسحب من منطقة المدينة إلا بعد الفراغ من المسلمين والقضاء عليهم قضاء تاما ([1]).

ثانياً: عاش يهود قريظة وغيرهم من القبائل اليهودية مع المسلمين في المدينة ولم يلقوا منهم طيلة السنوات التي تلت المعاهدة إلا كل بر ووفاء ومعاملة حسنة طيبة كما شهدوا على أنفسهم بذلك، فعندما ذهب حيي بن أخطب إلى زعيمهم كعب بن أسد القرظي قال له: ويحك يا حيي! دعني فلست بفاعل ما تدعوني إليه؛
فإني لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء " لكنه لم يزل به حتى أقنعه بالخيانة ونقض العهد ([2])

[1]) السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق: السقا، القسم الثاني، ص ١٩٨. ابن كثير، السيرة النبوية، جـ ٣ص٢١٥.
٢) البيهقي، السنن الكبرى،جـ ٩ ص ٣٨٨.

ومن جهة أخرى فإن اعتداء اليهود في ساعة المحنة غدر وخيانة في أربع جرائم.

أولا: رفع السلاح ضد سلطان المدينة مع الأجنبي المعتدي المحتل وإيقاع المسلمين بين شقي الرحى وتسهيلهم لدخول العدو للبلاد في حالة العسرة .

ثانيا: التجسس لصالح تحالف المشركين ودس الفتن والمشاركة في الحرب الإعلامية على الشعب ([1]).

وقد استحقوا الإعدام بكل من الجرائم الأربع، وسميت هذه الجرائم باسم الخيانة العظمى! .

ومن هذا فلا يمكن أن يعامل بني قريظة كمعاملة بني النضير وبني قينقاع لأن بني قريظة لم يكونوا أسرى حرب حتى يميل بهم إلى الشفقة، ولم يكونوا في حالة حرب مع المسلمين، وإنما كانوا جيرانا متحالفين يشكلون مع المسلمين وحدة وطنية ملزمة بالدفاع المشترك عن المدينة ضد أي عدوان.

لكنهم ظهروا أخطر من الأعداء، فكانوا بمثابة الخائن المتآمر المتواطئ مع العدو على أمته ووطنه في حالة الحرب القائمة، وهذه خيانة عظمى ليس لها في جميع الشرائع إلا الإعدام السريع.

وموقفهم هنا يختلف اختلافًا واضحًا عن موقف بني قينقاع وبني النضير لأن بني قينقاع قد أبدوا البغضاء من أفواههم وأشاعوا والشكوك والدعايات المغرضة في المجتمع فكان إجلائهم هو تخليص المجتمع الإسلامي من استهزائهم واستخفافهم وضجيجهم.

---

[1]) محمود شيت خطاب، ت ١٤١٩هـ، الرسول القائد، بيروت، دار الفكر، الطبعة السادسة ١٤٢٢هـ، ص٢٥٩

أما بني النضير فقد اتهموا بمحاولة اغتيال الرسولﷺ دون أن تتيح لهم الفرصة طريقا إلى ذلك، ونظرا لهذه الاعتبارات كلها لم يكن أمام المسلمين غير سبيل واحد: أن يعاملوهم معاملة أعداء جاهروا بعداوتهم.

وهكذا ألقوا الحصار على حصونهم، ثم رفعوه شريطة أن يجلو بنو النّضير عن المدينة فذهب بعضهم إلى خيبر واستقروا فيها، وهؤلاء وأولئك أَهون خطًبا من بني قريظة الذين سلوا السيوف ووقفوا في صفوف العدو وأوقعوا الهلع في قلوب يحيط بها الروع من كل ناحية، فتعادل الكفتين بينهما طيش لا يقره إنصاف، وقد جلا بنو قينقاع وبنو النضير عن المدينة فكانوا مثار القلق والفتنة، ومبعث الضيق للمسلمين فهم الذين ألبوا الأحزاب وجمعوا القبائل مع المشركين ليوم الخندق فأعطوا بمؤامراتهم المزعجة محمدا درسا حاسما يحتم استئصال شأفتهم ([1]).

وإن ما لقيه بني قريظة هو حكم الله من فوق سبع سموات، كما تناولها القرآن الكريم وفصلت أحداثها السنة النبوية، جاء في محكم التنزيل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ٥٦ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٥٧﴾ الأنفال: ٥٦ ـ ٥٧.

ونستنتج مما تقدم في حق بني قريظة أنهم نقضوا العهد مرات وخانوا وظاهروا على الرسولﷺ وكانوا يشكلون أعظم خطر على المسلمين، ولذلك كتب الله عليهم العقوبة وأنزل بهم بأسه وعذابه حيث جاء الأمر إلى نبيه بالخروج إليهم وقتالهم بعد أن اتضحت خيانتهم وغدرهم والله لا يحب الخائنين.

[1]) محمد رجب البيومي، افتراء حول سعد بن معاذ، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الإصدار الثالث، سنة ١٣٩٧هـ. جـ٣ ص ٢٨٦.

لم يكن هناك أي سبب يدفع بني قريظة إلى خيانة المسلمين والغدر بهم إلا الحقد الكامن في نفوس اليهود؛ فقد حافظ المسلمون على عهدهم لبني قريظة ولم يقدموا إليهم أي إساءة ولم تبدر منهم أي بادرة تدل على عدم الوفاء لهم؛.

ولم يجد يهود بني قريظة من المسلمين منذ أن عايشوهم إلا وفاء، لكن مسلكهم العدواني أبى إلا الغدر والخيانة، فلم يتركوا سبيلا إلا سلكوه ليؤذوا نبي الأمة ورسول الإسلام والذين معه، فأخذوا يتربصون بهم الدوائر، فرد الله كيدهم إلى نحورهم، وكبت عليهم تلك الملحمة العادلة،من فوق سبع سموات فنفذت لأمر الله، ولم يكن لأحد أي اعتراض على حكم الله.

فليس لأحد أن يشنع على الإسلام أو على نبي الإسلام لهذه الحادثة، وقد اعترف حيي بن أخطب أن ما حدث إنما هو بأمر من الله وأن ما يصيبهم إنما هو كتاب الله وقدره وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل ولم تكن غزوة بني قريظة بتدبير من الرسولﷺ ولا بمشورة من أصحابه بل كان بأمر من الوحي وبعد جهد نفسي وبدني ضخم بذله الرسولﷺ وأصحابه في حفر الخندق والسهر المتواصل والحذر البالغ والترقب والفزع الشديد ([1]).

[1]) المقريزي إمتاع الأسماع جـ ٨ ص ٣٧٧. محمد إبراهيم شقرة، السيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنية المسطرة، الرياض، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م ص ٤٠٥.

المبحث الثالث: أسرى خيبر.

وفيه خمسة مطالب.

المطلب الأول: في سبب الغزوة.

المطلب الثاني: محاصرة الحصون وسقوطها على يد المسلمين.

المطلب الثالث: نزول أهل خيبر على حكم الرسول ﷺ.

المطلب الرابع: من قتل بخيبر بعد مصالحتهم الرسول ﷺ.

المطلب الخامس: الرسول يتزوج بصفية بنت حيي.

المطلب الأول: في سبب الغزوة.

كانت غزوة خيبر في صفر أو ربيع الأول على قول الواقدي وفي مستهل السنة السابعة من الهجرة الموافق ٦٢٨م على رأي جمهور أهل المغازي ([1]).

قال ابن كثير: وحُكيَ عن الزهري أن افتتاح خيبر في سنة ست والصحيح أن ذلك في أول سنة سبع ([2]).

وخيبر واحة كبيرة ذات حصون ومزارع سكنها اليهود وهي على نحو مائة وستين كيلو مترا من شمال المدينة جهة الشام ([3]).

كانت خيبر وكر الدس والتآمر، ومركز الاستفزازات العسكرية، ومعدن التحرشات وإثارة الحروب، فلا ننسى أن أهل خيبر هم الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين، وأثاروا بني قريظة على الغدر والخيانة، ثم أخذوا في الاتصال بالمنافقين المتآمرين على المدينة، وبغطفان وأعراب البادية، كما أعدوا أنفسهم للقتال، وقد عاش المسلمون بسببهم محنا متواصلة، اضطرت المسلمين إلى الفتك ببعض قادتهم أمثال سلام بن أبي الحُقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق، وأسير بن زارم (٤).

---

[1]) مغازي الواقدي، جـ ٢ص٦٣٣. ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني، ص٢٧٩. وانظر أيضا: المقريزي، إمتاع الأسماع، جـ ١ص٣٠٦.

٢) السيرة النبوية، جـ٣ص٣٤٤.

٣) قال البكري في كتابه " معجم ما استعجم من أسماء البلاد" وسمّيت خيبر باسم رجل يقال له خيبر بن قاينة بن مهلائيل، وهو أوّل من نزلها. انظر كتابه المذكور، جـ ٢ص٥٢٣. وانظر حسن شراب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة،ص ١٠٩. أنظر خريطة غزوة خيبر رقم " ٣٠".

٤) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، القسم الثاني، ص٢٣٤ وما بعدها. الذهبي، شمس الدين بن محمد، تاريخ الإسلام، جـ ٢ص٣٦٢. وانظر أيضا، ابن حزم، جوامع السيرة جـ ١ص ١٨٥.

ومن خلال هذه المؤامرات والدسائس كان لابد من تخطيط عمل أكبر إزاء هؤلاء اليهود، وهو مجابهتهم بعد مهادنة العدو الأكبر والأقوى والألد ألا وهو قريش، فبعد أن أمن النبيﷺ جانب قريش بصلح الحديبية، قرر تصفية مشكلة التجمعات اليهودية فيما حول المدينة، بعد أن صفَّى اليهود من المدينة حتى يستتب الأمن والسلام، ويسود الهدوء والاستقرار في المنطقة، ويفرغ المسلمون من الصراع الدامي المتواصل إلى تبليغ رسالة الله والدعوة إليه.

وكان التخلص من اليهود نهائيا والقضاء عليهم من أهم الأهداف لتكون المنطقة في أمان عند ما يحين موعد محاسبة قريش ([1]).



[1]) محمود خطاب، الرسول القائد، ص ١٩٨.

المطلب الثاني: محاصرة الحصون وسقوطها على أيدي المسلمين.

كان اليهود في خيبر يتوقعون أن يحاربهم الرسولﷺ لما كانوا يضمرونه من الحقد والكراهية للإسلام والمسلمين، وقد أعدوا أنفسهم لذلك فصنعوا الأسلحة وبنوا الحصون المنيعة، وكانوا يظنون بعد صنيعهم هذا أن رسول اللهﷺ لن يغزوهم لمنعتهم في حصونهم وسلاحهم وعددهم، وكانوا يخرجون كل يوم قبل الفجر عشرة آلاف مقاتل استعدادا للمسلمين وإرهابا لمن تسول له نفسه أن يأتي إليهم لمقاتلتهم ويصطفون صفوفا ثم يقولون: محمد يغزونا ؟ هيهات! هيهات!.

ولما سمع من كان في المدينة أن النبيﷺتجهز إلى خيبر أخذ المنافقون يخوفون المسلمين فقالو: لو رأيتم خيبر وحصونها ورجالها لرجعتم قبل أن تصلوا إليهم، حصون شامخات في ذرى الجبال، والماء فيها دائم وقوتهم ظاهرة ([1]).

ولكن ذلك كله لم يمنع النبيﷺ من إعلان الحرب عليهم والخروج إليهم في عقر دارهم، فخرج رسولﷺ بمن معه المسلمين في ألف وستمائة مقاتل، واستخلف على المدينة نميلة بن عبد الله الليثيرضي الله عنه ([2]) ووصلوها ليلا، فلما أشرف النبيﷺعلى خيبر قال لأصحابه قفوا، ثم قال: " اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين فإنا نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها. " ثم قال: " أقدموا باسم الله ([3])"

---

[1]) الواقدي، جـ ٢ ص ٦٣٧.

٢) هو نميلة بن عبد الله بن فقيم بن حزن بن سيار بن عبد اللَّه بن كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث الليثيّ. ويقال له الكلبيّ، نسبة لجدّه الأعلى، وحيث يطلق الكلبيّ فإنما يراد به من كان من بني كلب بن وبرة. العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ ٦ ص ٣٧٣.

٣) البيهقي، السنن الكبرى، جماع أبواب آداب السفر، باب ما يقول إذا راى قرية يريد دخولها، جـ٥ص٤١٤. وانظر أيضا: ابن سيد الناس، عيون الأثر، جـ ٢ص١٧٣.

قال ابن هشام: وكان يقولها لكل قرية دخلها ([1]).

وأمر المسلمين بالمبيت بقربِ حصون خيبر، وبعد صلاة الفجر تحرّك الجيش الإسلامي نحوهم وكانوا خارجين من حصونهم نحو أراضيهم الزراعية، فلما رءوا المسلمين علموا أنّ النّبيﷺ قد أتاهم، فصاحوا يقولون: محمد والخميس ([2]) معه وولوا الادبار، فقال رسول اللهﷺ " خربت خبير إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين "([3]) وانتظم الجيش الاسلامي ووقف أمام الحصون بكامل استعداه ينتظر أمر رسول اللهﷺ، ثم ابتدأت المعارك وفتح المسلمون معظم حصونها، واستولوا على الأموال، فكان أول حصن افتتحه المسلمون بعد مقاومة عنيفة حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ([4]) برحى ألقيت عليه منه، ثم حصن القموص، وبدأت الحصون بعده تنهار تلو الآخر، وكانت مجموعة حصون متقاربة، يتخلّلها النخيل والزروع والمنازل المتفرقة حتى لم يتبق منها سوى حصني الوطيح والسلالم (٥).

ومرت الأيام والقتال يشتد، والمسلمون يبدون من ضروب الشجاعة والاستبسال والتضحية ما هم أهل له، واليهود يستميتون في الدفاع، فقال رسول اللهﷺ "لأعطينّ الراية غدا رجلا يفتح الله عليه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله "([6]).

---

١) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني، ص ٢٨٠.

٢) الخميس: الجيش.

٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ٤١٩٧، جـ، ٥ ص١٣١.

٤) هو محمود بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة، أخو محمد بن مسلمة الأنصاري، شهد أحدا والحديبية، واستشهد بخيبر، دلى عليه مرحب اليهودي رحى، فهشمت البيضة رأسه، وسقطت جلدة جبينه على وجهه، فعصبه رسول اللهﷺ بثوب، فمات يوم الثالث، فقبر هو، وعامر بن الأكوع في قبر واحد بالرجيع في غار هناك. الأصبهاني، معرفة الصحابة، جـ ٥ ص٢٥٢٢.

٥) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق السقا، القسم الثاني، ص٢٨٠. وانظر أيضا: النمري، يوسف ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير. جـ ١ص ١٩٧.

٦) صحيح البخاري،كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، جـ ٥ ص ١٣٤.

فاستشرف لها أصحاب رسول اللهﷺ وأخذ كل منهم يتمنى أن تكون الراية من نصبيه، ولما أصبح الناس دعا رسول اللهﷺ علي بن أبي طالبرضي الله عنهوكان أرمد فجيء به فتفل في عينيه فبرأ، وعقد له راية بيضاء ودفعها إليه ثم أمره بالمضي بها حتى يفتح الله عليه، ولما رأى اليهود عليا ومعه الراية أيقنوا بهزيمتهم، فقال أحد اليهود: علوتم وما أنزل على موسى، فما رجع حتى فتح الله خيبر على يديه ([1]).



١) ابن هشام، السيرة النبوية، ت، السقا، القسم الثاني، ص ٢٨٤.

المطلب الثالث: نزول أهل خيبر على حكم الرسولﷺ.

ضرب رسول اللهﷺ الحصار على أهل خيبر في حِصنيهم الوطيح والسلالم مدة أربعة عشر يوما حتى استولى عليهم اليأس، وقذف الله بهم الخوف والفزع فاضطروا إلى مفاوضة رسول اللهﷺ واستسلموا بعد أن أيقنوا بالهلكة، فأرسل زعيمهم ابن أبي الحُقيق إلى رسول اللهﷺ يقول يا محمد: " انزل أكلمك ؟ ".

فاستجاب إليه رسول اللهﷺ، ونزل ابن أبي الحُقيق من الحصن وصالح رسول اللهﷺ على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة وترك الذرية لهم، مقابل خروجهم من خيبر وأراضيها بذراريهم ويُخلُون بين رسول اللهﷺ وبين ما كان لهم من مال وأراض، وعلى الذهب والفضة والكراع والحلقة، وعلى أن لا يكتموا ولا يغيبوا شيئا ([1]).

فقال رسول اللهﷺ " وبرئت منكم الذمة إن كتمتموني شيئا " فقبلوا ذلك ثم ظهر ذلك عليهم فاستحار قتلهم واسترقاقهم، وانتهت المفاوضات في صالح المسلمين ومني اليهود بأكبر هزيمة ([2]).

[1]) الكراع: بالضم يقصد به البقر والغنم الفرس والبعير، وقيل. اسم يجمع به أنواع الخيل. الرازي، مختار الصحاح،جـ١ ص ٢٦٨. أما الحلقة: بسكون اللام: السلاح عاما، وقيل: هي الدروع خاصة. ابن منظور، لسان العرب، جـ ١٠ص ٦٥.

٢) ابن أبي سهل، محمد بن أحمد، ت ٤٨٣هـ، شرح السير الكبير، الناشر: الشركة الشرقية، تاريخ النشر ١٩٧١م، جـ ١ص ٥٣٠.

المطلب الرابع: من قتل بخيبر بعد مصالحتهم الرسولﷺ.

كان ما حصل هو أن كنانة بن أبي الحقيق عمد إلى أموال فأخفاها هو وأخوه الربيع وكشف أمره على الرسولﷺفأمر بالإتيان بهما، فقال لهما رسول اللهﷺ" أين آنيتكما التي كنتما تعيرانها أهل مكة ؟. قالا هربنا فلم تزل تضعنا أرض وترفعنا أخرى فذهبنا فأنفقنا كل شيء، وجحدا أن يكونا يعرفان مكانه، فقال لهما: إنكما إن كتمتماني شيئا فاطلعت عليه استحللت به دماءكما وذراريكما ؟.

فقالا نعم، فدعا رجلا من الأنصار فقال: اذهب إلى قراح كذا وكذا ثم ائت النخل فانظر نخلة عن يمينك أو عن يسارك فانظر نخلة مرفوعة فأتني بما فيها.
قال: فانطلق فجاءه بالآنية والأموال فوجدوا كَنْزًا كبيرًا من المال، فأمر الرسولﷺ بضرب أعناقهما وسبى أهليهما نتيجة مخالفتهما للمعاهدة التي كانت مع المسلمين وفق الشرط الذي جرى بينه وبينهما (١).

وذكر ابن هشام والبيهقي أن ابن أبي الحقيق كتم آنية من فضة ومالاً كثيراً كان في مسك الجمل عند كنانة ابن أبي الحقيق، فأمر رسول اللهﷺ بأن يدفع كنانة بن أبي الحقيق إلى محمد بن مسلمة؛ لقتله بأخيه محمود بن مسلمة رضي الله عنهما، فقد كان هو الذي دلى على محمود الرحى، وسأل أهل خيبر رسول الله أن يعاملهم في الأموال على النصف ففعل (٢).

١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٢ص١١٢. وانظر: ابن أبي سهل، شرح السير الكبير، جـ ١ص ٢٨١.
٢) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني، ص ٢٨٦. وانظر أيضا: البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، ٣٢٨-٤٥٨هـ، البيهقي، دلائل النبوة، جـ ٤ص ٢٢٦.

فدفع النبيﷺ إليهم الأرض لزراعتها وإصلاح الشجر فهو مزارعة ومساقاة معا([1]). وأقرهمﷺ عليها بأخذ الجزية وقال لهم حين أقرهم على الجزية: " نقركم ما أقركم الله "([2]) أي ما لم يأمرنا الله بإخراجكم، وهذا من باب الاستفادة معرفة العدو وخبرته، وبذلك تساقطت سائر الحصون اليهودية أمام قوات المسلمين وقد بلغ قتلى اليهود في معارك خيبر ثلاثة وتسعين رجلا ([3]).



١) وفيه دليل على إباحة المزارعة والمساقاة. قال ابن تيمية : وقد تأول من أبطل المزارعة والمساقاة ذلك بتأويلات مردودة مثل ان قال كان اليهود عبيدا للنبي ﷺ والمسلمين فجعلوا ذلك مثل المخارجة بين العبد وسيده ، ومعلوم بالنقل المتواتر أن النبي ﷺ صالحهم ولم يسترقهم حتى أجلاهم عمر ولم يبعهم ولا مكن أحدا من المسلمين من استرقاق أحد منهم. انظر ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، جـ٤ص٥٩.

٢) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب إذا اشترط في المزارعة إذا شئت أخرجتك، ح ٢٧٣٠، جـ٣ص ١٩٢.

٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٢ص١٠٧.

المطلب الخامس: الرسولﷺ يتزوج بصفية بنت حيي.

أصاب رسول اللهﷺ بخيبر سبايا منهن صفية بنت حيي بن أخطب وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهو ابن عم لها، فاصطفاها رسول اللهﷺ لنفسه ضنا لكرامتها ومنزلتها في قومها فأعتقها ﷺ وتزوجها إثر فتح خيبر، وأقام رسول الله ﷺ بخيبر حتى طهرت من حيضها، فخرج بها حتى وصل على ستة أميال من خيبر يريد أن يعرس بها فأبت عليه.

فوجد في نفسه، فلما كان بالصهباء ([1]) دفعهاﷺ إلى أم سليمرضي الله عنها فمشطتها وعطرتها وكانت من أضوأ ما يكون من النساء ثم بنى بها رسول اللهﷺ الليلة، فلما أصبح سألها ما حملك على الامتناع من النزول أولا ؟. فقالت "خشيت عليك من قرب اليهود " فعظمت في نفسه (٢).

وروى عن أنس بن مالك من رواية صهيب، أن رسول اللهﷺ لما جمع سبي خيبر جاءه دحية ([3]) فقال: أعطني جارية، من السبي قال:" اذهب فخذ جارية " فأخذ صفية بنت حي، فقيل: يا رسول الله، إنها سيدة قريظة والنضير، ما تصلح إلا لك فقال له النبيﷺ " خذ جارية من السبي غيرها " (٤).

١) الصهباء: هى من أدنى خيبر، نزل النبيﷺ فصلّى العصر، البكري، عبد الله بن عبد العزيز، جـ٣ص٨٤٤.

٢) البيهقي، جـ ٤ص ٢٢٩. المصدر السابق، جـ ٤ص ٣٠٨. وانظر أيضا : ابن كثير، البداية والنهاية، جـ ٤ ص١٩٢. وانظر أيضا العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، جـ ٧ص ٧٤٠.

٣) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد الكلبي، أسلم دحية بن خليفة قديما ولم يشهد بدرا وكان يشبه بجبرائيل، وهو حامل كتاب رسول اللهﷺ عظيم بصرى شهد دحية المشاهد بعد بدر وبقي إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان. ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ٤ ص ١٨٨.

٤) ابن عبد البر، الاستيعاب، جـ٤ص١٨٧٢. وانظر أيضا: ابن سيد الناس عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، جـ٢ص٣٧٤.

وذكر ابن أبي سهل أنه لم يسب من أهل خيبر إلا صفية وابن عمها بعد مقتل كنانة أبي الحُقيق وأخيه ربيعة بن أبي الحُقيق فقد برئت منها الذمة بسبب ما قاموا به من الخيانة بكتم بعض كنوز خيبر (١).

وكانت قبل قدوم الرسولﷺ رأت أنّ القمر وقع في حجرها، وقصّت رؤياها على زوجها، فلطمها على وجنتها لطمة اخضرت منها عينها، وقال: ما هذا إلّا أنّك تتمنّين محمّدا ملك العرب، فقُتل أبوها وزوجها يومئذ، وأتي بها إلى النّبيّﷺ وبها أثر اللّطمة، فاستبرأها حيضة، وحلّت له على مرجعه إلى " المدينة " في أثناء الطّريق فدخل بها، وأولم عليها، وأردفها خلفه على البعير، وكان ﷺ يضع ركبته لها إذا أرادت أن تركب، فتضع رجلها على ركبته ثمّ ركبت ودخل بها المدينة (٢).

وهكذا صدق الله رؤيا صفية رضي الله عنها، وأكرمها بالزواج من رسول الله، وأعتقها من النار، وجعلها أمًّا للمؤمنين، وزوجًا في الجنة لخاتم الأنبياء والمرسلين، وقد أكرمها رسول الله غاية الإكرام.

وتروي السيدة صفية رضي الله عنها فتقول: ما رأيت أحد قط أحسن خلقا من رسول اللهﷺ لقد رأيته ركب بي في خيبر وأنا على عجز ناقته ليلا فجعلت أنعس فتضرب رأسي مؤخرة الرحل فيمسني بيده ويقول " يا هذه؛ مهلا " (٣).

لقد تأثرت أم المؤمنين السيدة صفية رضي الله عنها بأخلاق رسول اللهﷺ، وأصبح أحب إليها من أبيها وزوجها والناس أجمعين، بل أصبح أحب إليها من نفسها تفديه بكل ما تملك حتى نفسها، وإذا ألم به مرض تمنت أن يكون فيها، وأن يكون رسول اللهﷺ سليمًا معافى.

---

[1]) ابن أبي سهل، شرح كتاب السير الكبير، جـ ١ص٢٨٠.

[2]) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، القسم الثاني، ص ٢٨٥ وما بعدها.

[3]) السيرة الحلبية، جـ ٢ص ٧٥٠

أخرج ابن سعد – رحمه الله – عن زيد بن أسلمﷺقال: اجتمع نساؤه في مرضه الذي توفي فيه، فقالت صفيةرضي الله عنها : إني والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي، فغمز بها أزواجه، فأبصرهن رسول اللهﷺ فقال: " مضمضن " فقلن: من أي شيء فقال: "من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة "(١).

كان زواجهﷺ بصفية لحكمة عظيمة، فهو لم يرد بزواجه منها قضاء شهوة، أو إشباعًا لغريزة، وإنما أراد إعزازها وتكريمها، وصيانتها من أن تتزوج رجلا لا يعرف لها شرفها ونسبها في قومها، هذا بالإضافة إلى ما فيه من العزاء لها، فقد قتل أبوها من قبل، وزوجها وكثير من قومها، ولم يكن هناك أجمل مما صنعه الرسولﷺ معها كما أن فيه رباط المصاهرة بين النبي واليهود عسى أن يكون هذا ما يخفف من حدة عداء اليهود للإسلام والانضواء تحت لوائه، والحد من مكرهم وسعيهم بالفساد.



[1]) ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٢ص ٣١٣. وانظر أيضا: القرشي،عبد الله بن وهب، ت، ١٩٧هـ، الجامع في الحديث، تحقيق: مصطفى حسن حسين أبو الخير، السعودية، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى١٩٩٦م ص ٦٥٥.

الفصل الرابع: معاملة الأسرى وحقوقهم في عصر النبوة.

وفيه مبحثان.

المبحث الأول: حقوق الأسرى.

المبحث الثاني: تقرير مصير الأسرى حسب الخيارات الأربعة.

المن ، الفداء ، القتل ، الاسترقاق.


جامعة أم القرى
UMM AL-QURA UNIVERSITY

المبحث الأول: حقوق الأسرى.

وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول : إطعام الأسير وتوفير اللباس والسكن له.

المطلب الثاني: احترام الأسير ذي المرتبة ومراعاة كرامته ومنزلته .

المطلب الثالث: النهي عن تعذيب الأسير أو المثلة به بغير حق وعن الفصل بين الأقارب.

المطلب الرابع: عدم قتل الأسير إن أسلم قبل القدرة عليه وتحريم قتل النساء والأطفال.

المبحث الأول حقوق الأسرى

إن مبادئ الإسلام تدعوا إلى الرفق بالأسرى وتحث على حسن معاملتهم وتوفير الطعام والشراب والكساء لهم، واحترام آدميتهم والقيام بما يهم من ضروراتهم الحياتية، وهذا مما يؤكد صلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان وشموليته لكل القضايا التي من شأنها أن تتكرر على مدى الزمن ولو بصورة مجملة وجديدة وإذا تتبعنا سور وآيات القرآن الكريم نجد خمس سور ([1]) تتحدث عن معاملة الأسير بعبارات صريحة وجلية وبنظام تميز بالعدل والرحمة والإنسانية والحفاظ على كيان الأمة مما يدل على أنه نظام سماوي ورباني.

وتناولت آيات ست من سورة البقرة اليهود ونقضهم لعهود الله التي أخذها منهم وكانت أربعة عهود: وهو ترك القتل فيما بينهم، وإخراج بعضهم بعضا من ديارهم، وترك مظاهرة بعضهم على بعض في الإثم، وفدائهم لأسراهم بعد تلك الحروب التي نهاهم الله عنها، فنزل القرآن الكريم متحدثا عن ذلك وموبخا لهم.

فقال جل من قائل: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ البقرة: ٨٤ – ٨٥.

---

١) هذه السور هي سورة البقرة آية ٨٥ : وسورة الأنفال آية ٦٧– ٧٠ : وسورة الأحزاب آية ٢٦ : وسورة محمد آية ٤ : وسورة الإنسان آية ٨.

روى الحافظ ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنبأهم الله بذلك من فعلهم وقد حرم عليهم في التوراة سفك دمائهم، وافترض عليهم فيها فداء أسراهم، فكانوا فريقين: طائفة منهم بنو قينقاع وهم حلفاء الخزرج، والنضير ، وقريظة وهم حلفاء الأوس فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت النضير وقريظة مع الأوس يظاهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه حتى سفكوا دماءهم بينهم وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم.

والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان ولا يعرفون جنة ولا نارا ولا بعثا ولا قيامة ولا كتابا ولا حلالا ولا حراما، فإذا وضعت الحرب أوزارها ، افتدوا أسراهم تصديقا لما في التوراة وأخذا ببعض الأحكام دون بعض، يفتدي بنو قينقاع ما كان من أسراهم في أيدي الأوس، ويفتدي النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم، ويطلبون ما أصابوا من دمائهم، وقتلى من قتلوا منهم فيما بينهم مظاهرة لأهل الشرك عليهم يقول الله تعالى ذكره حيث أنبأهم بذلك ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ البقرة: ٨٥

أي تفادونهم بحكم التوراة وتقتلونهم وفي حكم التوراة أن لا يقتل ولا يخرج من داره ولا يظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الأوثان من دونه ابتغاء عرض الدنيا ([1]).
أما بقية الآيات التي تناولت قضية الأسارى فتشير في مجملها إلى ما دار من نقاش حول الأسرى في بدر وما ادعاه بعض الأسارى من إسلام، كما تناولت الآيات أيضا قضية فداء الأسارى وما جاء فيها من عتاب وتهديد وإباحة.

---
[1]) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، جـ ٢ص٢٠٧. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ ١ص٢١١.

فقال جل شأنه: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ الأنفال: ٦٧ - ٧١ .

أما في سورة الأحزاب فكانت في شأن بني قريظة الذين ظاهروا المشركين ونقضوا العهد مع الرسولﷺ فرد الله كيدهم إلى نحورهم وحكم عليهم سعد بن معاذرضي الله عنه بحكم الله فيهم فقتل رجالهم وسبيت نساؤهم وذراريهم، وأنزل الله فيهم قوله تعالى ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٦

وهم بنو قريظة من اليهود ظاهرواْ أبا سفيان ومجموعة من الأحزاب على رسول اللهﷺ أي عاونوه والمظاهرة هي المعاونة ([1]).

وفي سورة محمد تناولت الآية حكما عاما في حق الكفار وتشير الآية إلى أهم الأحكام التي يجب أن تطبق في حق المقاتلين من الكفار، وفي حق الأسارى منهم إذا وضعت الحرب أوزارها وهو المن، أو القتل، أو الفداء.

فقال﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ ﴿٤﴾ ﴾ محمد: ٤.

---

[1]) الماوردي، تفسير الماوردي" النكت والعيون" جـ ٤ ص ٣٩١.

وفي سورة الإنسان حثت الآية على إطعام الأسير والبر به والإحسان إليه بعد ما ذكر في الآيات السابقة ما يتعلق به من أحكام فقال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ الإنسان : ٨.

كانت معاملة الرسولﷺ للأسارى تفوق كل الواصفين بما تتسم به من الرحمة لهم والشعور بكرامتهم الإنسانية، ولا غرو فهو الذي قال عنه المولى تبارك وتعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٧.

كان رسول اللهﷺيوصي بهم خيرا كما كان يأمر بإطعامهم والإحسان إليهم ويتفقد أحوالهم، ولما أقبلﷺ بأسرى بدر فرقهم بين أصحابه ثم قال: " استوصوا بهم خيرا " وروي أن النبي ﷺ قال لأصحابه في أسرى بني قريظة بعدما اشتد الحر في يوم صائف:" أحسنوا إسارهم، وقيلوهم واسقوهم، لا تجمعوا عليهم حر هذا اليوم وحر السلاح (١)".
كما كانعليه السلاميحث أصحابه إلى مكارم الأخلاق ويقول: " فكوا العاني- الأسير- وأطعموا الجائع، وعودوا المريض " (٢).
وقد رأينا أول مواجهة بين المسلمين وأعدائهم في معركة بدر وبعد أن نصر الله المسلمين ووقعت صناديد قريش في الأسر، لكنهﷺ عاملهم معاملة بر وإحسان، وكان هؤلاء الأسرى قبل هذه المعركة وفي أول عهد البعثة أوقعوا المظالم الفاجعة بالمسلمين، وساموهم سوء العذاب وآذوهم أشد الإيذاء يريدون إفناءهم وإبادتهم من الوجود، ولو عوقبوا بذلك لكانوا له مستحقين، لما فعلوه من محاربة الله ورسوله والمؤمنين وبصدهم عن الدعوة الإسلامية.

١) ابن أبي سهل، شرح كتاب السير الكبير، جـ ٢ص٥٧١. الواقدي، المغازي، جـ ٢ص٥١٤.
٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير ، ح ٣٠٤٦، جـ ٤ ص ٦٨.

غير أن القرآن الكريم يوجه النبيﷺ وصحبه بالعفو والصفح عما سلف ومقابلة الإساءة بالإحسان والنصح والإرشاد، ولما أحل الله تعالى فداء الأسارى وأموالهم قالت الأسارى: ما لنا عند الله من خير قد قتلنا وأسرنا (١).

فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ الأنفال: ٧٠ – ٧١.

قال ابن إسحاق: وكان العباس بن عبد المطلبرضي الله عنه يقول في الآية والله لقد نزلت حين ذكرت لرسول اللهﷺ إسلامي وسألته أن يقاصيني بالعشرين أوقية التي أخذها مني فأبى علي فعوضني الله منها عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمالي مع ما أرجو من رحمته ومغفرته ([٢]).

ودلت الآية على أن من حق الأسير دعوته إلى الحق بالتي هي أحسن وعدم إكراهه على ترك دينه وفتح باب التوبة أمامهم، وترغيبهم بما فيه النفع في الدنيا والآخرة، والمغفرة لما سلف من ذنوبهم من قبل، وإن من يتصفح كتب السير والمغازي يجد نماذج كثيرة من برهﷺ وإحسانه بالأسرى كما يجد وصاياه لأصحابه بذلك، وسوف ندرس في هذا الفصل موقف الإسلام في شأن الأسرى ومعاملتهم وحقوقهم ومصيرهم إنشاء الله.

[١]) البيهقي، دلائل النبوة، جـ ٣ ص ١٢٠

٢) المقريزي، إمتاع الأسماع، جـ ١٢ص ١٦٨. وانظر : الفسوي، يعقوب بن سفيان، ت ٢٧٧هـ، المعرفة والتاريخ، تحقيق: خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، جـ ١ ص ١٠٨. السيوطي عبد الرحمن بن الكمال، الدر المنثور، بيروت، دار الفكر، الطبعة ،١٩٩٣، جـ ٤ص١١٢.

المطلب الأول: إطعام الأسير وتوفير اللباس والسكن له.

- إطعام الأسير.

لقد كرم الإسلام الأسير وضمن له الحفاظ على حياته وأنه لا يمكن أن يتعرض له أحد بأذى، فلا يجوز في الإسلام لمن أسر أسيراً أن يقتله، بل يسلمه لإمام المسلمين، ويتشاور الحاكم المسلم مع وزرائه وقادة الرأي، في الطريقة الملائمة في معاملة الأسرى.

ومن حقوق الأسير تأمين ما يكفيه من الطعام والشراب، قال تعالى:﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ ﴾ الإنسان ٧ – ١١.

ودلت الآية على أن إطعام الأسير عبادة وقربة يتقرب بها العبد إلى ربه ومولاه ولذلك جاء في الآية ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ قال ابن بطال في شرحه في تفسير الآية: أما إنهم لم يتكلموا به، ولكن علمه الله من قلوبهم، فأثنى عليهم به؛ ليرغب فى ذلك راغب ([1]).

وفيها أيضا أن المؤمن يؤثر على نفسه قال تعالى في وصف عباده المؤمنين ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴿٩﴾ ﴾الحشر : ٩.

---

[1]) ابن بطال، شرح صحيح البخارى، جـ٤ص٩.

وقد جعل الإسلام الاهتمام بالأسير وإطعامه طريقاً إلى جنته التي هي أسمى ما يتمنى المسلم، ووعد القائمين بذلك نعيم الآخرة، ومن الملفت للنظر أن آية إطعام الأسير والاهتمام به تأتي في " سورة الإنسان" وكأن هذه المعاملة النابعة من شرع الله هي احترام لإنسانية الإنسان، بغض النظر عن الجنس والعقيدة.

كما دلت الآية على أن منع الطعام عن الأسير من الكبائر، وقد قرن الله الأسير مع المسكين حثا على القيام بإطعامه والإحسان إليه.

قال أبوبكر الجصاص: هو الأسير المشرك لأن المسلم لا يسمى أسيرا على الإطلاق والآية تدل على أن إطعام الأسير قربة ويقتضي ظاهره جواز إعطائه من سائر الصدقات (١).

وقال القرطبي: إطعام الأسير المشرك قربة إلى الله غير أنه من صدقة التطوع (٢).
وقد طبق أصحاب رسول الله ﷺ هذا المبدأ الإسلامي السامي مع الأسرى ومن الشواهد على ذلك ما يلي.
قال أبو عزيز بن مصعب بن عمير، أخو مصعب رضي الله عنهما:" كنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها قال: فأستحيي فأردها على احدهما فيردها علي ما يمسها (٣) ".

---

١) الرازي، أبو بكر أحمد علي، أحكام القرآن، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة،١٤٠٥هـ، جـ ٥ ص ٣٧٠.
٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جـ ١٩ص ١٢٩.
٣) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني، ص ١٩٥

وقال أبو العاص بن الربيع: كنت مع رهط من الأنصار جزاهم الله خيراً، كنا إذا تعشينا أو تغدينا آثروني بالخبز وأكلوا التمر، والخبز معهم قليل والتمر زادهم، حتى إن الرجل لتقع في يده الكسرة فيدفعها إلي، وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد: وكانوا يحملوننا وهم يمشون (١).

وجاء أن أصحاب رسول اللهﷺ أسروا رجلا من عقيل فأتى عليه رسول اللهﷺ وهو في وثاقه فأخذ يسأل رسول اللهﷺ ويناقشه، وكلما ناداه أقبل إليه بوجهه وسأله عن شأنه وحاجته إلى أن قال: إني جائع فأطعمني وظمآن فاسقني، فقالﷺ " هذه حاجتك " ([2]).

وبعث رسول اللهﷺ محمد بن مسلمة في سرية قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة، فإذا هو زعيم أهل اليمامة وسيدهم المطاع، فلما نظر إليه رسول اللهﷺ ابتسم ثم قال: " أتدرون من أسرتم ؟. هذا ثمامة بن أثال الحنفي، أحسنوا إساره "

ثم ذهب إلى أهله فقال: " اجمعوا ما عندكم من طعام فابعثوه إليه، وأمر بلقحته أن يُغدى عليه بها ويراح " ([3]).

وفيه أيضا أن سلمة بن الأكوع أدرك غطفان الذين أخذوا لقاح رسول اللهﷺ فجعل يرميهم ويقول: أنا ابن الأكوع، واليوم يوم الرضع، حتى استنقذها منهم قبل أن يشربوا وأقبل بها يسوقها فلقيه النبيﷺ فقال: يا رسول الله إن القوم عطاش وإني أعجلتهم أن يشربوا سقيهم، فبعث في إثرهم فقالﷺ: "يا ابن الأكوع ملكت فأسجع إن القوم يُقْرَوْنَ في قومهم "([4]).

[1]) الواقدي، جـ ١ص ١١٩

[2]) البيهقي، دلائل النبوة، جـ٤ ص١٨٩، ابن كثير، السيرة النبوية، جـ ٣ص ٢٩٣.وانظر أيضا: في صحيح مسلم، كتاب النذر، باب لا وفاء لنذر في معصية الله، ح ١٦٤١، جـ ٣ص ١٢٦٢.وفي مسند الإمام أحمد، حيث عمرا بن حصين، ح ١٩٨٩٤، جـ ٣٣ ص ٩٥.

٣) ابن هشام ، جـ ٢ص ٥٣٦. وانظر أيضا: الكلاعي، جـ ١ ص ٥٨٤.

٤) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام، جـ ٢ص ٣٤١.

وأمره رسول اللهﷺ بإحسان العفو وتسهيل الأمر بعد القدرة على هؤلاء الناهبين الذين أنهكهم العطش في المطاردة وأن يتركهم يسقون ويشربون، ورجع رسول اللهﷺ المدينة وسلمة بن الأكوع رديفه على ناقته.

وكان رسول اللهﷺ قد أمر بحبس أسرى بدر كلهم فحبسوا، وكان يتفقد أحوالهم في الأسر ويلبي حاجاتهم، وبات النبيﷺ ساهرا أول ليلته يوم بدر، وحين سئل عن سبب أرقه وسهره أجاب قائلا : " سمعت أنين عمي العباس " فقام أحد الصحابة إليه فأرخى من وثاق العباس، ثم استمع رسول اللهﷺ فلم يسمع أنينه فقال ما لي لا أسمع أنين عمي العباس فقال الرجل أنا أرخيت من وثاقه. قال اذهب فافعل ذلك بالأسارى كلهم (١).
لم يكن الرسولﷺ يريد أن يميز بين الأسرى فمحبته واحترامه لعمه العباس لن يميزه على غيره لا في الأسر ولا في الفداء".

وأورد البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أمسى رسول اللهﷺ يوم بدر والأسارى محبوسون بالوثاق بات رسول الله ساهرا أول الليل فقال له أصحابه يا رسول الله ما لك لا تنام؟. فقالﷺ: سمعت أنين عمي العباس في وثاقه فأطلقوه فسكت فنام رسول الله (٢).

وقد أثرت هذه المعاملة وهذا الخلق الكريم الذي غرسه الرسولﷺ في أصحابه وجنده وشعبه في كثير من الأسرى فكان سببا في اعتناق الكثير منهم الإسلام كما رأينا في قصة سيد اليمامة ثمامة بن أثال وغيره.

---

١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٤ص ١٣

٢) البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة، جـ ٣ص١٤١. وانظر الشامي، سبل الهدى والرشاد لهدي خير العباد، جـ١١ص ٩٨.

وكان ربط الأسير هو الوسيلة الوحيدة لمنع الأسير من الهروب والالتحاق بقوات الأعداء لأن البساطة التي كانت تعيشه الدولة الإسلامية آنذاك، وإمكانية الدولة المحدودة لم تهيئ الدولة لتخصيص أماكن خاصة لهذا الغرض، فكان أمرا لا مفر منه حتى يتم تقرير مصيره ولم يكن ربط الأسير وتوثيقهم للإهانة والتعذيب، بل من باب أخذ الاحتياط والمحافظة على الأسرى.

وحدث أن أسيراً فرَّ من حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها كما روى البيهقي، فجاء النبي ﷺ فقال: يا عائشة أين الأسير ؟.

فقالت: "نسوة كن عندي فلهينني فذهب". فأرسل النبي ﷺ في إثره العيون لطلبه حتى عثروا عليه (١).

وإن المعاملة الحسنة التي أمر بها رسول الله ﷺ للأسرى لم تكن مجرّد قوانين نظرية ليس لها تطبيق في واقع الحياة، ولكنَّها تمثّلت في مجموعة من المظاهر التي تُنبيء عن قلوب ملأتها الرحمة، وعن مشاعر فاضت بالعطف والحنان، وسوف نتناول بعضا منها في الآتي.

وقد توج الهدي النبوي لهذه المعاملة حيث كان النبي ﷺ كثيرا ما يوصي بالإحسان إلى الأسرى، وكان يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول أحسن إليه" (٢).

ودل الحديث على اهتمام رسول الله ﷺ بالأسرى وإجابة دعائهم والقيام بما يحتاج إليه الأسير من طعام وشراب، كما مر بنا قول أبو عزيز بن عمير أخو مصعب، وأبو العاص بن الربيع وغيرهم.

---

[١]) سنن البيهقي، جـ ٩ص٨٩ . وانظر الواقدي، جـ ٢ص ٥٥٤

[٢]) البيضاوي، تفسير البيضاوي، بيروت، دار الفكر، جـ ٥ ص٤٢٧ .

- توفير اللباس للأسير.

ومن حقوق الأسير حقه في الكسوة التي تليق بالأسير، والإسلام يحرم التعري ويضمن للأسير حق الكسوة والثياب المناسبة، وقد أمرﷺ بالإحسان إلى الأسارى ولا يعقل أن يهدر الكرامة الإنسانية في ديار الإسلام بحيث يترك الإنسان عاري البدن، وقد قام الرسولﷺ بهذه المهمة خير قيام وعلم أصحابه أن حفظ الكرامة الإنسانية من أهم مبادئ الأخلاق الإسلامية وأن الدين يأمر بمكارم الأخلاق.

وروى البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما كان يوم بدر أتي بأسارى وأتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب " فنظر النبيﷺ له قميصا، فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه فكساه النبيﷺ إياه، فلذلك نزعﷺ قميصه وألبسه عبد الله بن أبي يوم وفاته. قال ابن عيينة: كانت له عند النبيﷺيد فأحب أن يكافئه ([1]).

وأعطى كسوة ونفقة لابنة حاتم الطائي عندما وقعت أسيرة في أيدي المسلمين وحملها وأمنها في رهط من قومها حتى قدمت أرض الشام على أخيها عدي بن حاتم الطائي.

وأمر رسول اللهﷺ بسبايا الطائف أن تتخذ لهم حظائر يستظلون بها من حر الشمس وأمر بُسر بن سفيان ([2]) أن يقدم مكة ، فيشتري للسبي ثيابا يكسوهن وكساهم كلهم ([3]).

---

١) البخاري البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الكسوة للأسارى، ح ٣٠٠٨، جـ ٤ص٦٠

٢) هو بسر بن سفيان بن عمرو بن عويمر الخزاعي، أسلم سنه ست للهجرة، وشهد الحديبية، وبعثه رسول الله ﷺ عينا إلى قريش فجاء وأخبره بجمعهم، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، جـ ١ص١٦٦.

٣) الواقدي، جـ ٣ص٩٤٣. المقريزي، إمتاع الأسماع، جـ ٢ص٢٧.

- توفير السكن للأسير.

روي أن النبيﷺ أنزل سبي بني قريظة والنضير في مسجد المدينة، وربط ثمامة بن أثال في المسجد، قال القرطبي: ويمكن أن يقال إن ربطه في المسجد لينظر حسن صلاة المسلمين واجتماعهم عليها ([1]).

وحبس سهيل بن عمرو في بيت السيدة سودةرضي الله عنها، وحبس أسيرا في بيت السيدة عائشة رضي الله عنهاوأنزل بعض المشركين الوثنيين في المسجد، وأبىﷺ في أسرى بني قريظة بعد كل ما قاموا به من عداء وخيانة للمسلمين أن يبقوا في شدة الحر، بل أمر الصحابة أن يتركوهم للقيلولة وأن يسقوهم باردا فقال" لا تجمعوا عليهم حر هذا اليوم وحر السلاح قيلوهم واسقوهم حتى يبردوا (٢)".



[1]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جـ ٨ ص١٠٥.وانظر أيضا: العييني، بدر الدين محمود، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، جـ ٣ص ١٣٢.

[2]) ابن أبي سهل، شرح كتاب السير الكبير، جـ ٢ص ٥٧١. الواقدي، المغازي، جـ ١ص ٥١٥.

المطلب الثاني: احترام الأسير ذي المرتبة ومراعاة كرامته ومنزلته.

من حقوق الأسير احترام منزلته ورتبته ومراعاة كرامته وآدميته، وقد كرم الله سبحانه وتعالى الإنسان وفضله على سائر المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ الإسراء: ٧٠.

ومنها تعامله ﷺ مع سيد أهل اليمامة ثمامة بن أثال (١) أسرته خيل رسول الله وهم لا يعرفونه، وربطوه بسواري المسجد، فلما رآه النبي ﷺ قال: أتدرون من أخذتم هذا ثمامة بن أثال الحنفي أحسنوا إساره، ورجع رسول الله ﷺ إلى أهله فقال: اجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به إليه، وأمر بلقحته أن يُغدى عليه بها ويراح (٢).

وكان رسول الله ﷺ يزوره في معتقله ويلاطفه ويعامله معاملة الاحترام والتأدب فهزته الأخلاق المحمدية هزًّا عنيفًا، ملكت عليه زمام قلبه، وأسرته في أسر جديد ثم إنه عفا عنه وأطلقه بغير فدية ليذهب حُرًّا كيف شاء.

فقال النبي ﷺ لأصحابه: " أطلقوا ثمامة، وغادر ثمامة مسجد رسول الله ﷺ ثم توجه إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل غسل المسلمين ثم أقبل إلى المسجد وقد هطلت عليه مزنة الإيمان وتهللت أسارير وجهه وأقبل إلى رسول الله ﷺ فنطق بكلمة التوحيد ثم أسلم، وانقلب من عدو لدود إلى صديق حميم، وإلى جند من جنود الدعوة الإسلامية ثم استأذن رسول الله ﷺ إلى مكة للعمرة، فقال: يا رسول الله ؟.

---

١) رُوِيَ أن النبي ﷺ دعا له ولعمه عامر بن سلمة فقال " اللهم اهد عامراً وأمكني من ثمامة" فأسلم عامر وأسر ثمامة . أنظر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، جـ ٣ص ٥٨١

٢) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني، ص ٥٣٦.

إن خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى ؟. فبشره النبىﷺ وأمره أن يعتمر، فقصد واعتمر وكان أول من يدخل مكة ملبيا، ثم وقف بين ظهراني قريش فأعلن إسلامه بين أيديهم.

ثم أعلن موقف اليمامة تجاه قريش الجائرة فقال: والله لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن رسول اللهﷺ وأعلن مقاطعته لمن حاد الله ورسوله ومنعهم الميرة (١).

هكذا أثرت المعاملة الإنسانية في قلبه إلى درجة أن تحول من أشد الناس بَغْضًا للنبي ﷺإلى أعظمهم حبا له وتفانيا في سبيل دعوته، فحسن المعاملة والرفق والإحسان إلى الناس مع اختلاف دياناتهم له أثر كبير في نشر هذا الدين، وشخصية النبي الفذَّة التي أسرت الألباب ؛ بما أوتي من جمال الصُّورة ، وتمام الخلقة، والرِّفق في المعاملة ، والعدل في الغضب والرِّضا ، والحلم والأناة ، وكل هذا أثر أثرًا بالغًا في إقبال الناس على دعوته.

وهذه جويرية بنت الحارث من بني المصطلق ابنة سيد قومها تقع في الأسر بعد أن قام أبوها الحارث بن أبي ضرار بجمع الجموع لقتال رسول الله فيهزم الله العدو، وتقع بنت قائدهم أسيرة في سهم ثابت بن الشماس فتأبى نفسها الأبية أن تسترق بعد كاتبها ثابت على نفسها؛ وتأتي رسول اللهﷺعاجزة المشي منكسة وجهها فتقوم بين يدي رسول اللهﷺ تستعينه في أمر كتابتها وتطلب منه أن ينقذها من ذل الأسر !.

فيلتفت إليها رسول اللهﷺ ويرفع رأسه فينظر إليها نظرة عطف وحنان وهي ملهوفة خائفة عاجزة، ثم يقولﷺ " وهل لك إلى خير من ذلك !؟. " قالت: وما هو يا رسول الله ؟. قال: " أقضي عنك كتابتك وأتزوجك " فتقبل هذا العرض الكريم الذي يعلي قدرها ويرد كرامتها.

---

١) والحديث بالتفصيل عند البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال جـ ١ص ١٧٠. وانظر أيضا: ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني،ص٥٣٦

ولما بلغ الناس أن رسول اللهﷺ تزوجها قالوا: أصهار رسول الله وأرسلوا ما كان في أيدهم من بني المصطلق حتى أعتق بسبها مئة أهل بيت من بين المصطلق فكانت من أعظم النساء بركة على قومها ([١]).

وتلك صورة أخرى شبيهة بأختها حصلت مع اليهود الذين نصبوا العداوة لرسول اللهﷺ ولأنبيائهم السابقين من بني جنسهم، ففي غزوة خيبر تقع السيدة صفية بنت حُيي بن أخطب اليهودي، سيد اليهود وملكهم المطاع، ويقتل زوجها وكانت عروسا وسبيت صفية، ودخل دحية الكلبيرضي الله عنه إلى رسولﷺ الله يسأله أن يعطيه جارية من السبي فأذن له الرسولﷺ أن يأخذ جارية، فأخذ صفية بنت حيي، فلما قيل للنبيﷺ إنها سيدة قريظة والنضير ما تصلح إلا لك، فأمرﷺ دحية بردِّها وأخذ جارية غيرها من السبي، واصطفاها رسول اللهﷺ ثم تزوجها بعد أن استبرأها ([٢]).

روى البخاري عن أنس بن مالكرضي الله عنه قال: قدم النبيﷺ خيبر، فلما فتح الله عليه الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب، وقد قتل زوجها وكانت عروسا فاصطفاها رسول اللهﷺ لنفسه، فخرج بها حتى بلغنا سد الروحاء ([٣]) حَلَّتْ فبنى بها ([٤]).

وقد جعل عتقها مهرها، ثم صنع حيسا في نطع صغير، ثم قال رسول اللهﷺ لأنس آذن من حولك " فكانت تلك وليمة رسول اللهﷺ على أم المؤمنين صفية، رضي الله عنها ثم خرجنا إلى المدينة قال: فرأيت رسول اللهﷺ يحوي لها وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيره، فيضع ركبته فتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب ([٥]).

---

١) ابن حبان السيرة وأخبار الخلفاء جـ ١ص٢٧٥. ابن حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد٤٣ص٣٨٥.

٢) المقريزي، إمتاع الأسماع، جـ ٦ص ٨٨.الحلبي، علي بن إبراهيم، السيرة الحلبية، جـ٣ص ٤١٥.

٣) الروحاء : بين مكة والمدينة كان طريق رسول الله ﷺ إلى بدر وإلى مكة عام الفتح وعام الحجّ . الحموي، معجم البلدان، جـ ٤ ص ٢٣٦.

٤) حلت: أي خرجت من عدتها. الجوهري، إسماعيل بن حماد، ت، ٣٩٣هـ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م، جـ ٤ص١٦٧٤.

٥) صحيح البخاري، كتاب البيوع ، باب هل يسافر بالجارية قبل أن يستبرئها، ح ٢٢٣٥، جـ ٣ص٨٤.

هكذا يحرر رسول الله ﷺ هذه السيدة من الرق ويهيئ لها مكانها، لقد كانت السيدة صفية عروسا، وهي أحوج ما تكون إلى من يعتني بها، حيث فقد تزوجها وأبوها في هذه المعركة، وقد حافظ الرسول ﷺ عليها فلم تسمع منه كلمة في نبز أهلها وقومها، بل حفظ أصل شرفها ومكانتها ولم ينس طيب معدنها.

وذكر ابن عبد البر في ترجمتها في الاستيعاب عن كنانة أن صفية رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقال: " ما يبكيك يا ابنة حيي ؟ " قلت: بلغني أن عائشة وحفصة تنالان مني، وتقولان: نحن خير منها، نحن بنات عم رسول الله ﷺ وأزواجه قال " أفلا قلت: " كيف تكونان خيراً مني وأبي هارون، وعمي موسى، وزوجي محمد ﷺ" ([1]).

وكان من بين أسرى بدر خطيب قريش المفوه سهيل بن عمرو، وأحسن رسول الله ﷺ معاملته ولما قدم المدينة بالأسرى أمر رسول الله ﷺ بحبسه في دار زوجته سودة بنت زمعة رضي الله عنها كما تقدم الكلام في ذلك ثم فرق بقية الأسرى بين أصحابه واستوصى بهم خيرا (٢) .

وقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله "دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو فيدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا في موطن أبدا" فرد عليه قائلا " لا أمثل فيمثل الله بي ولو كنت نبيا " ثم أغرى عمر بالعفو وعدم النيل منه فقال: " وما يدريك يا عمر لعله يقوم مقاما لا تذمه "([3]).

---

[1]) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، جـ ٤ ص ١٨٧٢.وانظر أيضا: الذهبي، تاريخ الإسلام، جـ ٤ص ٦٩.

٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، القسم الثاني، ص ١٩٥. وانظر أيضا: الطبراني المعجم الكبير، جـ ٢٢ ص ٣٩٣. وانظر الأغاني جـ ٤ ص ٢٠٤

٣) الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله، جـ ١ص ٣٤٩. وانظر أيضا: ابن كثير، السيرة النبوية جـ ٢ ص ٤٨٢.

وصدقت نبوءتهﷺ حين وقف سهيل بن عمرو في الردة موقفا كريما حمده الناس وحفظه له التاريخ حين توفي رسول اللهﷺ وهاج أهل مكة وكادوا يرتدون فقال فيهم بمثل خطبة أبي بكر الصديق بالمدينة: أيها الناس، من كان يعبد محمدا، فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حى لم يمت، وقد نعى الله عز وجل نبيهﷺ إليكم وهو بين أظهركم، ونعاكم إلى أنفسكم، فهو الموت حتى لا يبقى أحد، ألم تعلموا أن الله يقول ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الزمر: ٣٠

وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴿١٤٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٤

فاتقوا الله، واعتصموا بدينكم، وتوكلوا على ربكم، فإن دين الله قائم، وكلمته تامة، وإن الله ناصر من نصره، ومعز دينه، جمعكم الله على خيركم؛ فسكن الناس، وقبلوا منه ([1]).

[1]) الزبيري، مصعب بن عبد الله، ت ٢٣٦هـ، نسب قريش، المحقق: ليفي بروفنسال، أستاذ اللغة والحضارة بالسوربون، ومدير معهد الدروس الإسلامية بجامعة باريس — سابقا، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، ص٤١٥، وانظر أيضا، الكلاعي، الاطتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله، جـ٢ ص٨٧.

المطلب الثالث: عدم تعذيب الأسير أو المثلة به بغير حق أو الفصل بين الأقارب.

- عدم تعذيب الأسير.

لا يجوز تعذيب الأسير جسديا أو معنويا ولا يجوز سبه ولا شتمه بغير سبب بل وصل حد تكريم الإسلام للأسير ألا يعذب لأجل الحصول على معلومات عن جيشه أو أصحابه.

سئل الإمام مالك -رحمه الله-: أيعذب الأسير إن رُجيَ أن يدل على عورة العدو؟. فقال ما سمعت بذلك (١).

وما ورد من تعذيب كنانة بن الربيع فإنه كان بسبب خيانته وجحده لأموال خيبر وكنز بني النضير بعد أن دخلوا في ذمة الله ورسوله، كما سبق أن قتل رجلا من المسلمين اسمه محمود بن مسلمة، فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير بن العوام فقال: عذبه حتى تستأصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزند في صدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة (٢).

وفي حديث ابن عمر أن رسول الله قال لعم حيي: " ما فعل مسك حيي الذي جاء به من النضير؟ " فقال: أذهبته النفقات والحروب. فقال: " العهد قريب والمال أكثر من ذلك ". فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير فمسه بعذاب وقد كان حيي قبل ذلك قد دخل خربة، فقال: قد رأيت حييا يطوف في خربة هاهنا، فذهبوا فطافوا، فوجدوا المسك في خربة فقتل رسول الله ﷺ ابني أبي حقيق وأحدهما زوج صفية بنت حيي بن أخطب، وسبى رسول الله ﷺ نساءهم وذراريهم، وقسم أموالهم للنكث الذي نكثوه، (٣).

---

١) العبدري، محمد بن يوسف، ت،٨٩٧، التاج والإكيل لمختصر خليل، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ /١٩٩٤م، جـ ٤ ص ٥٤٨.

٢) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني ص٢٨٦.

٣) البيهقي، السنن الكبرى، جـ٩ص٢٣١.

قال ابن تيمية في الحديث: "وهذا الرجل كان ذميا والذمي لا تحل عقوبته إلا بحق؛ وكذلك كل من كتم ما يجب إظهاره من دلالة واجبة ونحو ذلك يعاقب على ترك الواجب" ([1]).

وفي غزوة بدر يعث رسول اللهﷺعلي بن أبي طالب، في جماعة من الصحابة لالتماس أخبار قريش، وظفروا برجلين على الماء فجأوا بهما إلى الرسولﷺ وهو يصلي ورجوا أن يكونا من جيش أبي سفيان فقالا: نحن سقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء. فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما. فلما أذلقوهما قالا: نحن لأبي سفيان فتركوهما. وركع رسول اللهﷺ وسجد سجدتيه ثم سلم وقال إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما (٢).

قال ابن تيمية: وهذا منهﷺ إقرار على الضرب التهمة وإنما أنكر على أصحابه استمرار الضرب بسبب بعد اعتراف المتهم.

وعلى هذا فإن الضرب في هذه الأحوال.

١ – إذا كان الضرب لانتزاع الاعتراف من شخص مشهور بالفساد مع وجود قرائن عديدة على ارتكابه لذلك الجرم إذا كان في إنكاره ضياع للحق العام أو الحقوق الخاصة.

٢ – الضرب للتأديب كتأديب عاق الوالدين أو من يقومون بأذية الناس والجيران في حالة انتهاء القضية دون وصولها للشرع ([3]).

---

١) ابن تيمة الحراني، مجموع الفتاوي، كتاب السياسة الشرعية، باب الأموال ثلاثة، جـ٢٨ص٢٨٠.

٢) ابن كثير، السيرة النبوية، جـ ٢ص ٣٩٧.

٣) ابن تيمية الحراني ، أحمد تقي الدين، ت٧٢٨هـ، الحسبة لشيخ الإسلام، حققه وعلق عليه: علي بن نايف الشحود، الطبعة: الثانية، في ١٧جمادى الأولى ١٤٢٥ هـ – الموافق ٥/ ٧/ ٢٠٠٤ م، جـ ١١٢.

- النهي عن المثلة بالأسير.

إن الله بعث رسولهﷺبالحنفية السمحة والتي تأمر بالعفو والإحسان ومقابلة السيئة بالحسنة والعفو عند المقدرة ممن أذنب وأساء ، وكان رسول اللهﷺ يأمر أصحابه بذلك، قدم عمر بن الخطابرضي الله عنه إلى رسول اللهﷺ فقال: يا رسول الله "دعني نزع ثنيتي سهيل بن عمرو فيدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا في موطن أبدا" فرد عليه قائلا " لا أمثل فيمثل الله بي ولو كنت نبيا " ثم أغرى عمر بالعفو وعدم النيل منه فقال: " وما يدريك يا عمر لعله يقوم مقاما لا تذمه "([1]). وسبق ذكره فيما سبق.

وبعث النبيﷺ سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل وأمره بغزو أهل الكفر والعناد ونهاه عن الغدر والغلول وقتل الأولاد ([2]).

- عدم الفصل بين الأم وولدها الصغير.

وهو من أنواع التعذيب وقد نهى رسول اللهﷺعن الفصل بين النساء والذرية فقال: لا يفرق بين الأم وولدها حتى يبلغوا هي رعاية لمصلحة الأسير ([3]).

وذكر الواقد عن محمد بن عبد الله الساعدي، عن جده، قال: حضرت رسول اللهﷺ يبيع سبي بني قريظة، فاشترى أبو الشحم اليهودي امرأتين، مع كل واحدة منهما ثلاثة أطفال غلمان، وجوار بخمسين ومائة دينار ([4]).

---

١) الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله، جـ ١ص ٣٤٩. وانظر أيضا: ابن كثير، السيرة النبوية جـ ٢ ص ٤٨٢.

٢) المقريزي، إمتاع الأسماع ، جـ ١ ص ٢٦٨.

٣) مغازي الواقدي، جـ٢ص٥٢٤.

٤) المصدر السابق، جـ٢ص٥٢٢-٥٢٣

قال الشافعي -رحمه الله- سبى رسول اللهﷺ سبي أوطاس، وسبي بني المصطلق وأسر من رجال هؤلاء وهؤلاء وقسم السبي، فأمر أن لا توطأ حامل حتى تضع، ولا حائل حتى تحيض، ولم يسأل عن ذات زوج ولا غيرها، وَلَا هَلْ سُبِيَ زَوْج مع امرأته ولا غيره (١).

وفي الحديث "سبى رسول اللهﷺ نساء بني قريظة وذراريهم فباعهم من المشركين فاشترى أبو الشحم اليهودي أهل بيت عجوز وولدها من النبيﷺوبعث رسول الله ﷺ بما بقي من السبايا أثلاثا ثلثا إلى تهامة وثلثا إلى نجد وثلثا إلى طريق الشام فبيعوا بالخيل والسلاح والإبل والمال"

قال الشافعي: وقد يحتمل هذا أن يكونوا من أجل أن أمهات الأطفال معهم ويحتمل أن يكون في الأطفال من لا أم له، فإذا سبوا مع أمهاتهم فلا بأس أن يباعوا من المشركين، وكذلك لو سبوا مع آبائهم (٢).

وسبق الكلام عن سرية زيد بن حارثة إلى مدين أن رسول اللهﷺ نهى زيدا عن التفرقة بين الأمهات والأولاد في بيعهم (٣).

وروي أحمد والبيهقي وغيره، عن ميمون بن أبي شبيب عن علي: قال وهب لي رسول اللهﷺ غلامين أخوين فبعت أحدهما فقال. ما فعل الغلامان ؟. قلت بعت أحدهما فقالﷺ رده (٤).

والحديث حسن لغيره، وسنده ضعيف لانقطاعه، فإن ميمون بن أبي شبيب لم يدرك علياً (٥).

---

١) الشافعي، محمد بن إدريس، ت ٢٠٤هـ، كتاب الأم، بيروت، دار المعرفة، الطبعة بدون طبعة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م جـ ٧ ص ٣٦٦.

٢) الشافعي، كتاب الأم، جـ٤ ص٧٣.

٣) أنظر في هذا البحث ص١٩٥.

٤) مسند الإمام أحمد، جـ ٢ص١٨١. سنن البيهقي الكبرى، باب من قال: لا يفرق بين الأخوين في البيع، ح ١٨٣٢٠، جـ ٩ص ١٢٧.

٥) انظر مسند أحمد، في الصفحة السابقة، حاشية رقم " ٣ "

المطلب الرابع: عدم قتل الأسير إن أسلم قبل القدرة عليه وتحريم قتل النساء والأطفال.

إذا أسلم الأسير قبل القدرة عليه يجوز قتله بالإجماع، ولا فرق بين كون إسلامه عن خوف أو رغبة، قالﷺ " أمرت أن أقاتل المشركين حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها، وصلوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وأكلوا ذبيحتنا؛ فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله" (١).

والحديث دليل على أن الكافر إذا نطق بالشهادة فقد عصم دمه وماله إلا بحق فيجب الكف عنه .

وجاء في الحديث أن رسول اللهﷺ أنكر على أسامة بن زيد قتل من قال:" لا إله إلا الله " يقول أسامة: فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم (٢).

والسبب أن ظن أنه ما ادعاه من النطق بالشهادة هو الخوف على دمه وماله فمن أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك والدليل قول الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴿٩٤﴾ ﴾ النساء: ٩٤.

ونهى رسول اللهﷺ عن قتل النساء والأطفال.

وعن ابن عمر قال مر رسول اللهﷺ بامرأة يوم فتح مكة مقتولة فقال: " ما كانت هذه تقاتل" ثم نهى عن قتل النساء والصبيان (٣).

---

١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، ح ٣٩٢، جـ ١ص ٨٧.

٢) البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: " ومن أحياها " ح ٦٨٧٢ جـ ٥ ص ١٤٤. وانظر أيضا: مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله ،ح ١٥٩، جـ ١ص ٩٧.

٣) مسند الإمام أحمد، جـ ١٠ص ١٧٣.

وكان رسول اللهﷺ إذا أمّر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال: " اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا " (١).

ومرﷺ بامرأة مقتولة يوم حنين فقال" من قتل هذه ؟ " فقال رجل: أنا يا رسول الله غنمتها فأردفتها خلفي، فلما رأت الهزيمة أهوت إلى سيفي لتقتلني فقتلتها.

فقال النبيﷺ " ما بال النساء، ما شأن النساء " (٢).

فهذه امرأة حاولت قتل آسرها فاضطر آسرها على قتلها للدفاع عن نفسه.

ويقول الزحيلي: ويجوز قتل السبي في أثناء القتال فقط لوجود العلة المبررة، أما بعد الأسر فلا يجوز لقوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ محمد: ٤ (٣).

كما لا يجوز أيضا قتل الأسرى العجزة ومن في حكمهم، وإذا وقع في الأسر بعض ضعفاء العدو كالشيخ الهرم والجريح أو من يخلو من الرهبان وأصحاب الصوامع ذكورا كانوا أو إناثا فإن كانوا ممن يمدون المقاتلون برأيهم ويحرضونهم على القتال جاز قتلهم عند الظفر بهم وكانوا في حكم المقاتلة بعد الأسر، فإن لم يخالطوهم في رأي ولا تحريض فلا يجوز قتلهم عند الجمهور لما روي عن النبيﷺ (٤).

وقد كان الصحابة يقدّمون الأسرى على أنفسهم في مأكلهم ومشربهم، وبهذا التصرف العظيم أثنى الله عليهم في كتابه فقال تعالى﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴾ الإنسان: ٨.

أي أنّ محمدا وأتباعه يؤثرون اليتيم والمسكين والأسير بطعامهم رغم قلته وشدة حاجتهم إليه !!!

---

١) النووي، يحي بن شرف الدين بن مري، شرح صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، بيروت، دار التراث العربي، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ، جـ ١٢ص٣٧.

٢) الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، مصنف عبد الرزاق، كتاب الجهاد، باب عقر الشجر بأرض العدو، جـ٥ ص٢٠١.

٣) الزحيلي، أثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص ٤١٩.

٤) النووي، شرح صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، ح ١٧٤٤، جـ١٢ص٤٨.

المبحث الثاني: تقرير مصير الأسرى حسب الخيارات الأربعة.

وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول : المن على الأسير.

المطلب الثاني : فداء الأسير.

المطلب الثالث : قتل الأسير.

المطلب الرابع : استرقاق الأسير.

المطلب الأول: المن على الأسير.

المن: هو الإنعام على الأسير وإطلاق سراحه من غير فدية (١).

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ محمد: ٤

ودلت الآية على ثلاثة خيارات يختار الإمام فيها الأصلح.

أحدها: أن يقتلهم صبرا – أي بضرب العنق–.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ وفيه وجهان.

الوجه الأول: ضرب رقابهم صبرا بعد القدرة عليهم.

والوجه الثاني: قتالهم بالسلاح والتدبير حتى يفضي إلى ضرب رقابهم.

وثانيها: أن يسترقهم ويجري عليهم أحكام الرق من بيع أو عتق بعد المعركة، ثم قال

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ ﴾ يعني بالإثخان الطعن وبشد الوثاق الأسر.

أو يفادي بهم على مال أو أسرى﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾.

---

(١) مُصطفى البُغا ومصطفى الخن، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله، دمشق دار القلم للطباعة، الطبعة الرابعة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، جـ ٨ ص ١٣١.

وثالثها: أن يمن عليهم ويعفو عنهم.

وفي المن قولان: أحدهما أنه العفو والإطلاق كما مَنَّ رسول الله ﷺ على ثمامة بن أثال بعد أسره، ومَنُّهُ على أسرى أهل مكة بعد أن فتحها ثم إنه لم يتعرض لأحد من أهلها في نفس ولا مال، وأمر مناديا فنادى " ألا لا يجهز على جريح، ولا يتبع مولٍّ، ولا يطعن في وجه مدبر، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن"(١).

والثاني: أنه العتق بعد الرق وهذا قول مقاتل.

وأما الفداء. فهو عوض عن مال يؤخذ، أو أسير يطلق كما فادى رسول الله ﷺ أسرى بدر على مال وفادى في بعض المواطن رجلا برجلين (٢).

كما دلت على ذلك السنة، قال أبو عبيد القاسم: جاءنا الخبر عن رسول الله ﷺ في حكم الأسارى من المشركين بثلاث سنن: المن، والفداء، والقتل.

وبها نزل الكتاب، ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ وقال ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۝٥﴾ التوبة : ٥. وبكلٍّ قد عمل النبي ﷺ " (٣).

---

١) البلاذري، أحمد بن يحي، أنساب الأشراف جـ ١ص٣٥٥.

٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، جـ ١ص٥٣. الماوردي، النكت والعيون " تفسير الماوردي" تحقيق: ابن المقصود عبد الرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية، جـ ٥ ص٢٩٣.

٣) ابن سلام، أبوعبيد القاسم ، ت ٢٢٤هـ، كتاب الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، بيروت، دار الفكر، ص ١٤١.

وقد حفلت كتب السيرة النبوية العطرة بأروع الأمثلة في معاملة نبي الإسلام والصحابة أسرى الحرب، والإحسان إليهم وإيثارهم على أنفسهم، تطبيقاً عملياً لهذه المبادئ القرآنية السامية، وسجل لهم التاريخ صفحات ناصعة في معاملة المسلمين أسرى الأعداء من مشركي مكة وغيرهم في مواقف كثيرة.

وقد شهد بذلك العدل والفضل الأسارى أنفسهم، وكان من أولى نماذج هذه المعاملة المن على بعض أسرى بدر فقد ثبت أنه مَنَّ على أسرى كان لهم ظروف خاصة، كما من على غيرهم في مواقف أخرى سنذكرها فيما يلي.

- المن على بعض أسرى بدر.

قال ابن إسحاق: " وكان ممن سمي لنا من أسارى بدر ممن من عليهم بغير فداء أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى من عليه رسول الله ﷺ بعد أن بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ بفدائه، ورده عليها.

ومن على المطلب بن حنطب بن الحارث المخزومي وكان لا مال له ولم يقدم أحد لفكه وترك في أيديهم حتى خلوا سبيله فلحق بقومه.

وصيفي بن أبي رفاعة بن عابد لم يجد من يفديه، فأخذوا عليه العهد ليبعثنَّ عليهم بفدائه فخلوا سبيله، فلم يف لهم ذلك بشيء.

وأبو عزة عمرو بن عبد الله " الشاعر "كان محتاجا ذا بنات، فكلم رسول الله ﷺ فمن عليه، وأخذ عليه ألا يظاهر عليه أحدا فأرسله بغير فداء (١) لكنه نقض فأسر يوم أحد فضرب عنقه (٢) .

[1]) ابن هشام، السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا، القسم الثاني، ص ٥٨١ وما بعدها.

[2]) مغازي الواقدي، جـ ١ص ١٣٦.

وذكر الواقدي عن أبي الحويرث قال: أسر يومئذ من بني المطلب بن عبد مناف رجلان: السائب بن عبيد وعبيد بن عمرو بن علقمة ولم يقدم في فدائهما أحدٌ، وكانا لا مالا لهما، ففك رسول اللهﷺعنهما بغير فدية (١).

ووهب بن عمير بن وهب بن خلف وكان أبوه قدم المدينة لقتل الرسولﷺ فكشف الله له نيته فأسلم، فأرسل له ابنه بغير فداء (٢).

وفي عام الفتح أمر بقتل ستة أفراد ولو تعلقوا بأستار الكعبة كما جاء في كتب السيرة، ولم يكن قرار القتل لحقد أو غضب عليهم ولكن لجرائمهم الكبيرة التي ارتكبوها، كان منهم عبد الله بن أبي السرح الذي كان يكتب الوحي لرسول اللهﷺ فيغير ما أمر بكتابته، ثم ارتد مشركا إلى قريش زاعما أنه يزيف الوحي حين يكتبه، فعفا عنه لما جاء به عثمان بن عفان تائبا، ولم يقتل إلا اثنان وهم: هلال بن خطل، ومقيس بن صبابة لجرائمهم، وكان بعضهم قد جمع أكثر من جريمتين أو ثلاث، فهم مجرمو حرب وليسوا بأسرى حرب ([3]).

- المن على بعض الأسرى من اليهود

أولا: المن على أسرى بني قريظة ومنها .

١ - المن على الزبير بن باطا .

كان من أمره أنه من على ثابت بن قيس بن شماس يوم بعاث، وفي غزوة بني قريظة أراد ثابت أن يكافئه، فطلب من الرسولﷺ أن يهب له دمه، فوهبه له فأقبل ثابت حتى أتاه وكان قد كف بصره، فقال له: أردت أن أجزيك اليوم بيد لك عندي يوم بعاث، ولكن عدو الله أبى بعد أن عرف بمصرع أحبته من رجال قومه إلا أن يلحق بهم فأمر رسول اللهﷺ الزبير بن العوام بضرب عنقه.

---

[1]) مغازي الواقدي، جـ ١ص ١٣٣.

[2]) المصدر السابق جـ ١ص ١٣٥.

[3]) الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ،ص١٥٠.

فلما بلغ أبا بكرﷺ قوله- ألقى الأحبة – قال: " يلقاهم والله في نار جهنم خالدا مخلدا " واستحيا ثابت من ولد الزبير بن باطا عبد الرحمن بن الزبير، فأسلم وله صحبة (١).

٣ – المن على رفاعة بن سموأل القرظي.

وهب رسول اللهﷺ رفاعة بن سموأل القرظي لأم المنذر سلمى بنت قيس أخت سليط بن قيس من بني النجار وكانت قد صلت إلى القبلتين فأسلم رفاعة وله صحبة ورواية (٢).

وذكر ابن إسحاق بسنده أن سلمى بنت قيس أم المنذر أخت سليط بن قيس إحدى خالات رسول الله سألت رسول الله رفاعة بن سموأل القرظي فقالت : يا نبي الله. بأبي أنت وأمي هب لي رفاعة بن سموأل فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل فوهبه لها فاستحيته (٣).

٣- مصالحة أهل خيبر والمن على السبي.

وممن منّ عليهم الرسولﷺ أهل خيبر حيث قسم رسول اللهﷺ أرضها للغانمين ومن على رجالها وتركهم عمالا فيها، فبعد أن حاصر المسلمون حصني الوطيح والسلالم بضعة عشرة ليلة حتى أيقنوا بالهلكة فطلبوا الأمان وسالوا رسول الله أن يسيرهم ويحقن دمائهم ويخلوا الأموال ففعل، ومنّ على رجالهم وعفا عنهم من القتل، ثم سألوا رسول اللهﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف، وقالوا نحن أعلم بها منكم وأعمر لها منكم، فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف.

---

[١]) البيهقي، السنن الكبرى، جـ ٩ ص١١٣.

[٢]) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، القسم الثاني، ص ٢٠٨وما بعدها. وانظر أيضا: القرطبي " الجامع لأحكام القرآن "، جـ ١٤ ص ١٤١.

[٣]) الطبري، تاريخ الطبري، جـ ٢ ص ١٠٣.وانظر أيضا: ابن كثير، السيرة النبوية ، جـ ٣ ص ٢٤١. وانظر أيضا : ابن كثير، البداية والنهاية، جـ ٤ ص ١٢٦. وذكر الاسم شمويل، وشموأل.

وصالح أهل فدك على مثل ذلك، وبهذا أصبح خيبر فيئا للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول اللهﷺ لأن المسلمين لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب (١).

وقال الواقدي: "وكان رسول اللهﷺ لما فتح خيبر سأله اليهود فقالوا: يا محمد نحن أرباب النخل وأهل المعرفة بها، فساقاهم رسول اللهﷺ خيبر على شطر من التمر والزرع، وكان يزرع تحت النخل، فقال رسول الله: " أقركم على ما أقركم الله " (٢).

قال ابن تيمية: فتح خيبر فقسمها بين المسلمين وسبى بعض نسائها وأقر سائرهم مع ذراريهم حتى أجلوا بعد ذلك فلم يسترقهم (٣).

- المن على الأسرى في بعض الحملات التأديبية.

وقد سبق ذكر أنهﷺ منَّ على بعض الأسرى في الحملات التأديبية ففي سرية زيد بن حارثة إلى الجموم (٤) وهبﷺ للمرأة المزنية التي دلتهم على الطريق إلى بني سليم زوجها مكافئة لها على إرشادها لرجال السرية (٥).

وفي سرية العيص مَنَّ رسول اللهﷺ على صهره أبي العاص بن الربيع بعد أن أسرته كتيبة زيد بن حارثةرضي الله عنه التي أرسلها إلى العيص لتعترض عير لقريش أقبلت من الشام محملة بالبضائع إلى مكة، فأغاروا عليها وأخذوا ما فيها وأسروا أهلها.

---

١) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: السقا، القسم الثاني، ص ٢٨٦. ابن سلام، كتاب الأموال، ص ١٤٦.

٢) المغازي، جـ ٢ ص ٦٩٠.

٣) ابن يتمية، مجموع الفتاوى، جـ ١٧ص ٤٩٢

٤) الجموم: بفتح أوّله وضم ثانيه، على بناء فعول: بلد من أرض بنى سليم. البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، محمد جـ٢ ص٣٩٤. قال البلادري: الجموم ماء لا زال معروفا على السفوح الشرقية لحرة كشب، وهو اليوم للروقة من عتيبة. وحرة كشب: حرة تقابل حرة الحجاز من الشرق بينهما وادي عقيق عشيرة، وهي تمتد من الجنوب في صحراء السي إلى الشمال عند الصحراء المتصلة بمهد الذهب "معدن بني سليم قديما" انظر معجم المعالم الجغرافية أي السيرة النبوية.ص٨٥.

٥) ابن سعد، الطبقات، جـ ٢ص٨٦. وانظر الذهبي، تاريخ الإسلام، جـ ٣ص٣٥٣.

وكان قائد هذا العير أبو العاص بن الربيع زوج زينب ابنة الرسولﷺ من بين الأسرى الذين وقعوا في الأسر وسيقوا نحو المدينة، فدخل أبو العاص إلى زوجته زينب سحرا فاستجارته وشاور الرسولﷺ زيد بن حارثة ورجال سريته إن رأوا إطلاقه لشفاعة زينب، فوافقوا على إطلاق جميع أرسر العير (١).

وفي سرية زيد بن حارثة إلى حسمى الذين هاجموا رسول رسول اللهﷺ دحية الكلبي الذي أرسله إلى قيصر الروم برسالة يدعوه فيها إلى الإسلام، أثناء عودته، وقطعوا عليه الطريق، وسلبوا كل ما معه، فأغار عليهم زيد وقتل وسبى عدا من بني الضيب ثم استولى على أموالهم خطأ، وكانوا قوما مسلمين، فقدموا إلى رسول الله محتجين بإسلامهم، وأنهم هم الذين استرجعوا من الهنيد وجماعته ما سلبوه من دحية وأعادوه إليه، فبعث عليا إلى زيد بن حارثةرضي الله عنهما يأمره أن يخلي بينهم وبين حرمهم وأموالهم، فلقي فأبلغه أمر رسول اللهﷺ فرد إلى الناس كل ما كان أخذ لهم (٢).

- المن على الأسرى والسبايا من بني المصطلق.

ومن رحمته بالأسرى في الوقت الذي كانت فيه الحروب لا تعرف أبسط قواعد أخلاقيات الحرب، ما رواه البخاري ومسلم وأبو داود، عن عبد الله بن عون قال: كتبت إلى نافع فكتب إلي أن النبيﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارُّون وأنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم وأصاب يومئذ جويرية (٣).

١) مغازي الواقدي، جـ ٢ص٥٥٤.

٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٢ص ٨٨. تاريخ الطبري، جـ ٢ص٢٠٢. الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله، جـ ١ص ٥٧٢.

٣) صحيح البخاري، كتاب العتق، باب من ملك من العرب رقيقا، فوهب وباع وجامع وفدى وسبى الذرية، ح ٢٥٤١، جـ ٣ص ١٤٨. وانظر أيضا: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام، ح ١ – "١٧٣٠" جـ ٣ص ١٣٥٦. وانظر أيضا : سنن أبي داود، باب في دعاء المشركين جـ ٣ ص ٤٢.

فأتت رسول اللهﷺ تستعينه في كتابتها فقالت يا رسول الله؛ أنا جويرية ابنة الحارث سيد قومه وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك؛. ووقعت في سهم ثابت فكاتبني على نفسي فأعني على كتابتي؛. فيلتفت إليها رسول اللهﷺ فيقول؛ أوخير من ذلك؟. قالت وماهو؟. قال: أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك؛ فترد على رسول الله بنعم، فينتشر الخبر في الناس أن رسول اللهﷺ تزوج بها فيرسلون ما بأيديهم من الأسرى احتراما لأصهار رسول الأمة ونبي الإسلام، ويعتق بها مائة أهل بيت من بني المصطلق فتكون أعظم النساء بركة على قومها (١).

وتشير الروايات أن النبيﷺ أعتق جويرية وجعل عتقها صداقها وتزوجها، وكان هذا الزواج السعيد سببا في العفو عن الأسرى من بني المصطلق حيث أطلق المسلمون من في أيديهم من الأسرى دون فدية، فكان المن عاما شاملا لهم لكونهم أصهار رسول اللهﷺ وحيال هذا العتق الجماعي، وإزاء هذه الأريحية الفذة، دخلت القبيلة كلها في دين الله.

- المن على أسرى الحديبية.

ومن مواقف الرحمة العجيبة لنبي الرحمة ورسول الإسلام، ما حصل يوم الحديبية حيث منعه المشركون من دخول مكة لأداء النسك، وأعدت قريش سلاحها لحربه وبدأت المفاوضات بينه وبين قريش، وفي أثناء تلك تسلل جمع من فرسان قريش في جنح الظلام إلى معسكر المسلمين يريدون غرة النبيﷺ وأصحابه، فوقعوا في قبضة المسلمين وأسرتهم دوريات الحراسة ثم أقبلوا بهم إلى رسول اللهﷺ فأصدر عفوه عنهم وأطلق سراحهم جميعا، فأنزل الله في ذلك قرآنا يتلى إلى يوم القيامة.

---

١) مسند الإمام أحمد، جـ ٤٣ص٣٨٥. وانظر أيضا : ابن بطال، شرح صحيح البخاري، جـ ٧ص ١٧٧. سنن البيهقي، جـ ٩ص ٧٤. ابن إسحاق، جـ ٥ص٢٤٥.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ الفتح: ٢٤.

قال القرطبي في الآية: هي الحديبية ﴿ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ روى يزيد بن هارون قال: أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على النبيﷺ من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي وأصحابه فأخذناهم سلما فاستحييناهم، فأنزل الله الآية " (١).

ويتكرر بعد صلح الحديبية موقف آخر عجيب من مواقف الرحمة والعفو! يقول سلمة بن الأكوع: ثم إن المشركين راسلونا الصلح حتى مشى بعضنا في بعض واصطلحنا، قال: وكنت تبيعا لطلحة بن عبيد الله أسقي فرسه وأخدمه وآكل من طعامه، وتركت أهلي ومالي مهاجرا إلى الله ورسولهﷺ قال: فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة، واختلط بعضنا ببعض، أتيت شجرة فكسحت شوكها فاضطجعت في أصلها قال: فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة، فجعلوا يقعون في رسول اللهﷺ فأبغضتهم فتحولت إلى شجرة أخرى، وعلقوا سلاحهم واضطجعوا.

فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي، يا للمهاجرين قتل ابن زنيم (٢) قال: فاخترطت سيفي، ثم شددت على أولئك الأربعة وهم رقود فأخذت سلاحهم، فجعلته ضغثا في يدي، قال: ثم قلت والذي كرم وجه محمد لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه.

(١) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، جـ ١٦ص ٢٨٠. وانظر أيضا: مسند الإمام أحمد، جـ ١٩ ص ٢٧٨. وتقدم ذكر الحديث عند مسلم في صحيحه ، في كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى "وهو الذي كف أيديهم عنكم " ح ١٨٠٨، انظر هذا البحث ص٢٠. أنظر خريطة غزوة الحديبية رقم "٢٨" أ" ٢٩" ب "ص

(٢) هو غضيف بن الحارث الكندي وقيل: الأزدي، هو ابن زنيم الثمالي، يكنى أبا أسماء، أبي نعيم، معرفة الصحابة، جـ ٤ ص٢٢٧٤.

قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ قال: وجاء عمي عامر برجل من العبلات ([1]) يقال له مكرز يقوده إلى رسول الله ﷺ على فرس، مجفف في سبعين من المشركين فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال: "دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه" فعفا عنهم رسول الله ﷺ وأنزل الله الآية: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ ﴿٢٤﴾ ﴾ الفتح : ٢٤ ([2]).

فلم ينتقم فيسفك دماء بل العفو من شيمته في كل وقت وفي كل مواجهاته مع العدو. إنها الرحمة في أرقى صورها!.

- المن على أهل مكة.

وفي يوم الفتح الأكبر دخل رسول الله ﷺ مكة ظافرا منتصرا بعد أن نقضت قريش العهد الذي تم إبرامه بينهم وبين المسلمين في الحديبية فكانت من أروع لحظات حياته ﷺ بعد غيابه عن مكة فترة، يعود إليها وهو صاحب السيادة الكاملة والموقف المطلق ومالك الزمام وخضع أهلها واستسلموا له وأصبح صاحب القدرة عليهم، بيد أنه ﷺ عاملهم بغير ما كانوا يتوقعون فقد أمنهم ﷺ وأصدر عفوه العام عليهم.

ثم إنه دخل المسجد فطهر الكعبة من الأصنام ثم طاف بالبيت سبعا ثم وقف على باب الكعبة فنادى قريشا وقال: " ماذا تقولون وماذا تظنون ؟. قالوا: نقول خيرا ونظن خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت! فقال رسول الله ﷺ فإني أقول كما قال أخي يوسف ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ يوسف : ٩٢ ([3]).

---

١) العَبَلات: بطن من بني أمية الصغرى، من قريش، من العدنانية نسبوا الى أمهم عبلة احدى نساء بني تميم، الاصفهاني، أبو الفرج، جـ ١ص ٢١٣.

٢) أنظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها، ح ١٣٢– " ١٨٠٧" جـ ٣ص ١٤٣٣.

٣) الواقدي، جـ ٢ص ٨٣٥. وانظر أيضا: المقريزي، إمتاع الأسماع، جـ ١ص٣٩٢. الشامي، يوسف الصالحي، سبل الهدى والرشاد، جـ ٥ص٢٤٢. أنظر خريطة غزوة فتح مكة رقم "٣٢".

وأورد ابن هشام أن رسول اللهﷺ نادى قريشا فقال: " يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس لآدم وآدم من تراب " ثم تلا هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات: ١٣.

ثم قال: "يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم ؟ قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم. ثم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء " (١).

وكما هو معهود في خلق الرسول الذي ذكر القرآن في حقه ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ التوبة : ١٢٨.

عفا عما سلف من قريش تجاهه، لكنه استثنى منهم نفراً سماهم وأمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة وكان في طليعة هؤلاء النفر عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خطل، ومقيس بن صبابة، وعبد الله بن أبي السرح، وقينتين لعبد الله بن خطل وغيرهم، لكن إرادة الله غالبة حيث قتل بعض منهم، وعفي عن بعض منهم، كان في الإسلام شأن عظيم، كعكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن أبي السرح.

وقد اختلف في عدد هؤلاء الذين أهدر دمهم، بعضهم يذكر ستة، وبعضهم تسعة، وبضعهم يزيد وينقص (٢).

قال الحافظ ابن حجر: "وقد جمعت أسماءهم من مفرقات الأخبار، وذكر أسماءهم إلى أن قال فكملت العدة ثمانية رجال وست نسوة (٣).

---

١) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: السقا، القسم الثاني، ص ٣٤٩.

٢) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني، ص٣٤٧. وانظر أيضا: ابن قيم، زاد المعاد، جـ٥ص٦٢.

٣) العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، قوله باب أين ركز النبيﷺالراية يوم الفتح، وهذه أسماءهم كما ذكر الحافظ ابن حجر وهم: ١- عبد العزى بن خطل٢- وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ٣- وعكرمة بن أبي جهل٤- والحويرث بن نقيذ٥- ومقيس بن صبابة- وهبار بن الأسود ٧- وكعب بن زهير ٨- ووحشي بن حرب٩ - وأما النسوة هن: وقينتان كانتا لابن خطل، وسارة مولاة بني المطلب، وهند بنت عتبة، وأرنب مولاة بن خطل، وأم سعد، ويحتمل أن يكون هما القينتان المذكورتان سابقا.وقيل أن القينتان هما فرتنى وقرينة فاستؤمن لإحداهما فأسلمت وقتلت الأخرى وأما سارة فأسلمت وعاشت إلى خلافة عمر وقال الحميدي بل قتلت.

وهذه أسماء بعض من أصدر رسول الله أوامره بالمنِّ والعفو عنهم بعد هدر دمهم.

١ - عكرمة بن أبي جهل.

كان من أشد الناس عداوة لرسول اللهﷺ والمسلمين ومن صناديد قريش الصادين للدين، وأبرز فرسانها المرموقين، وكان الساعد الأيمن لأبيه يوم قاد معركة الشرك إلى بدر حيث شهد مصرعه، ولما قتل أبوه في بدر تحولت رئاسة بني مخزوم إلى عكرمة وخاض أُحُداً مع المشركين ضد رسول اللهﷺ فكان على ميسرة الجيش ([1]).

وفي النسائي لما فتح رسول اللهﷺ مكة أمَّنَ النّاس إلا أربعة نفر وامرأتين، قال: "أقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة" ([2]).

وكان عكرمة من بين هؤلاء الأربعة فضاقت عليه الأرض بما رحبت فلم يجد ملاذا إلا أن يهرب إلى اليمن، ودخلت على رسول اللهﷺ زوجته أم حكيم بنت الحارث فأسلمت ([3]).

ثم طلبت أمانا لعكرمة فأمنَّهُ رسولﷺ فخرجت إليه حتى أتت به.

فلما دنا من مكة قال رسول اللهﷺ لأصحابه. " يأتيكم عكرمة ابن أبي جهل مؤمنًا مهاجرًا فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ إليه".

وذكر أبو معشر فيمن أهدر دمه الحارث بن طلاطل الخزاعي قتله علي وذكر غير بن إسحاق أن فرتنى هي التي أسلمت وأن قرينة قتلت. ح ٤٢٨٠، جـ ٨ص١١وما بعدها.

١) الواقدي، جـ ١ص ٢٢٠.

٢) النسائي، أحمد بن شعيب، ٣٠٣هـ، المجتبى من السنن " السنن الصغرى للنسائي"كتاب تحريم الدية،باب الْحُكْمُ فِي الْمُرْتَدِّ، ح ٤٠٦٧ تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. جـ٨ص١٠٥.

٣) هي أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أسلمت يوم فتح مكة وأتت النبي فبايعته، ابن سعد الطبقات الكبرى، جـ ٨ ص ٢٦١.

فلما رآه رسول اللهﷺ وقف إليه فرحا ورحب به، فقال عكرمة، إنّ هذه أخبرتني أنك أمنتنى! فقالﷺ صدقت فأنت آمن! فأسلم (١).

وذكر الترمذي والطبراني عن عكرمة قال: قال رسول اللهﷺ يوم جئته: " مرحبا بالراكب المهاجر " وعفا عنه رسول اللهﷺ بعد أن ندم وتاب على ما سبق له (٢).

٢ - **عبد الله بن أبي السرح .**

وأما عبد اللَّه بن سعد بن أبي السرح فإنه لجأ عند عثمان بن عفانرضي الله عنه واختبأ عنده وكان أخوه من الرضاعة فتوسط له عثمان حتى جاء به إلى النبيﷺ فأوقفه فكان ممن مُنَّ عليهم وعفي من القتل (٣).

قال أبو زهرة: وكان عبد الله بن أبي السرح قد أسلم وكان يكتب للنبيﷺ الوحي فارتدّ مشركا إلى قريش زاعما أنه كان يزيف الوحي حين يكتبه (٤).

وروى ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾ النحل : ١٠٦.

واستثنى من ذلك " ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾ ﴾ النحل : ١١٠.

---

١) الواقدي، جـ ٢ص ٨٥١. وانظر أيضا: السهيلي، الروض الأنف، جـ ٧ ص٢٢٧. ابن كثير، جـ ٣ص ٥٦٥.

٢) محمد بن عيسى بن سورة، ت ٢٧٩، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة ١٩٩٨. جـ ٤ ص ٣٧٥. وانظر الطبراني، المعجم الكبير، جـ ١٧ ص ٣٧٣.

٣) ابن حزم، جوامع السيرة، جـ ١ص٢٣٢.وانظر أيضا: البيهقي، دلا ئل النبوة، جـ ٥ص٦٠ وفيه أن عثمان قال للنبي ﷺ يا رسول الله: بايع عبد الله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثا كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه، فقال أما فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رأيتموني كففت يدي عن بيعته ليقتله، قال: ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلا أومأت إلينا بعينك قال: إنه لا ينبغي أن تكون لنبي خائنة أعين.

٤) محمد أبو زهرة، خاتم النبيين ﷺ، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤٢٥هـ، ص جـ ٣ ص٨٩٥.

قال هو عبد الله بن أبي السرح: كان يكتب الوحي لرسول اللهﷺ فأزله الشيطان فلحق بالكفار فأَمر بقتله يوم الفتح، فاستجار بعثمانرضي الله عنه فأجاره رسول اللهﷺ ([1]).

كما منَّ على هبار بن الأسود ([2]) وكان شدي الأذى للمسلمين وهو الذي عرض لزينب بنت رسول اللهﷺ حين هاجرت فنخس بها الجمل حيث سقطت على صخرة وأسقطت جنينها، ثم جاء إلى النبيﷺ واعترف بذنبه وأسلم فعفا عنه ومنع المسلمين من سبه ([3]).

ومنَّ على كعب بن زهير ([4]) بعد أن أهدر دمه، وكان شاعرا يهاجي رسول اللهﷺ فخرج حتى قدم المدينة بعد رجوع النبيﷺ وأعلن إسلامه بين يديه ثم أنشده بلاميته المعروفة.

بنت سعاد فقلبي اليوم متبول .... متيم إثرها لم يفد مقبول([5])

إلى أن قال:

إن الرسول لنور يستضاء به .... مهند من سيوف الله مسلول ([6]).

قال ابن كثير وورد في بعض الروايات أن رسول اللهﷺأعطاه بردته حين أنشده القصيدة، وهى البردة التى عند الخلفاء. وهذا من الامور المشهورة جدا ولكن لم أر ذلك في شئ من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه.فالله أعلم ([7]).

---

١) سنن أبي داود، جـ ٤ص ١٢٨. وانظر أيضا : البيهقي، السنن الكبرى، جـ ٨ ص٣٤١.

٢) هو هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، أسلم بعد الفتح، وحسن إسلامه، وصحب النبيﷺوذكر الزبير أنه لما أسلم وقدم مهاجرا جعلوا يسبونه، فذكر ذلك لرسول اللهﷺفقال: سب من سبك، فانتهوا عنه. انظر ابن عبد البر، الاستيعاب، جـ٤ص١٥٣٦.

٣) المصدر السابق، جـ ٤ص١٨٥٤.

٤) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى، واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، من مزينة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، كان كعب بن زهير شاعرا مجودا كثير الشعر، مقدما في طبقته هو وأخوه بجير. وكعب أشعرهما، وأبو هما زهير فوقهما.انظر بان عبد البر، الاستيعاب، جـ٣ص١٣١٣-١٣١٥.

٥) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني، ص٤٢٦.

٦) المصدر السابق، القسم الثاني، ص٤٣٥.

٧) ابن كثير، السيرة النبوية، جـ٣ ص٧٠٧.

كما منَّ على صفوان بن أمية ([١]) الذي كان من أشد الناس عدواة وأذية لهﷺ بعد أن أهدر دمه واختفى وبعث إليه ابن عمير بن وهب التي دخل بها مكة آية ليعرف بها أمانه له، وقدم إليه فأمهله بالخيار أربعة أشهر، وفي يوم حنين أجزل لهﷺ من العطاء حتى أسلم وحسن إسلامه ([٢]).

ومنَّ على وحشي بن حرب ([٣]) الذي أهدر دمه لأنه قتل حمزةﷺ يوم وهرب إلى الطائف، ولما خرج وفد الطائف ليسلموا ضاقت عليه المذاهب، فخرج حتى قدم على رسول اللهﷺ وشهد شهادة الحق، وفي عهد الصديق خرج مع من خرج لقتال أهل الردة فقتل مسيلمة الكذاب ([٤]).

ومنَّ على هند بنت عتبة ([٥]) زوج أبي سفيان بعد أن أهدر دمهاﷺ لأنها مثلت بحمزةﷺ ولاكت كبده([٦]) وكانت تؤلّب على المسلمين فلما كان يوم الفتح فأسلم زوجها ثم أسلمت هي يوم الفتح ([٧]).

١) هو صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو، ويكنى أبا وهب، وأمه صفية بنت معمر بن حبيب بن وهب، أسلم صفوان بحنين وأعطاه رسول اللهﷺ من غنائم حنين خمسين بعيرا ثم زاده وما زال يعطيه ويزيده حتى رضي، مات بمكة أيام خروج الناس من مكة إلى الجمل وذلك في شوال سنة ست وثلاثين، ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٥ ٤٤٨

٢) المصدر السابق، القسم الثاني، ص ٣٥٣ -٣٥٤.

٣) وحشي بن حرب الحبشي قاتل حمزة بن عبد المطلبﷺ، أسلم بعد ذلك، وصحب النبي ﷺوسمع منه أحاديث، وشرك في قتل مسيلمة الكذاب، فكان يقول: "قتلت خير الناس، وقتلت شر الناس" ونزل حمص حتى مات بها، وولده بها إلى اليوم، وكان الوليد بن مسلم يحدث عن رجل من ولده يقال له وحشي بن حرب أحاديث عن أبيه، عن جده، عن النبيﷺ.

٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ٧ص٤١٨.

٥) هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، امرأة أبي سفيان وأم معاوية، أسلمت عام الفتح بعد إسلام زوجها أبي سفيان بن حرب، فأقرهما رسول الله ﷺعلى نكاحهما، وكانت امرأة لها نفس وأنفة ، شهدت أحدا كافرة مع زوجها أبي سفيان بن حرب. ابن عبد البر، الاستيعاب، جـ٤ص١٩٢٢.

٦) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني، ص٧٩

٧) العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٨ص٣٤٦.

ومن هذا يتبين أن عدد من أهدر رسول الله ﷺ لم يقتل منهم إلا أربعة وأسلم الباقون. ثم أصدر الرسول ﷺ عفوه العام عليهم بقوله: " إذهبوا فأنتم الطلقاء" ويتضح لنا بجلاء من لفظ الطلقاء أنهم كانوا في حكم الأسرى، ومَنَّ عليهم الرسول بإطلاق سراحهم، ولم يمسهم بأدنى سوء؛ بل إنه أكرمهم وأنزلهم منزلة عالية مما يدلّ على سُمُوِّ أخلاقه ورحمته.

- المن على سبي هوازن (١).

هُزم المشركون في معركة حنين وغنم المسلمون غنائم كثيرة من الإبل والشياه أسروا عددا كبيرا من السبي من نساء وأطفال قُدِّرَ عددهم ستة آلاف، وأمر رسول الله ﷺ أن يجمع الغنائم و السبايا بالجعرانة (٢) ثم نزل رسول الله ﷺ وقدم وفد هوازن إلى رسول الله ﷺ فأعلنوا الإسلام ثم سألوه أن يمنّ عليهم بأموالهم وإطلاق سباياهم فقالوا: يا رسول الله " إنا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك فامنن علينا مَنّ الله عليك".

وقام زهير بن صرد وكان عم النبي ﷺ من الرضاعة وناشد رسول الله بمن في الحظائر يقول إنما هم عماتك وخالاتك وحواضنك وأنت خير المكفولين، ولو أنا أرضعنا الحارث بن أبي شمر الغساني (٣) أو النعمان بن المنذر لرجونا عطفه.

ثم أنشد يقول:

أمنن علينا رسول الله في كرم ... فإنك المرء نرجوه وندخر (٤).

---

١) أنظر خريطة غزوة حنين في رقم (٢٨) و (٢٩).

٢) الجعرّانة: تقع، شمال شرقي مكة في صدر وادي سرف، ولا زال الاسم معروفا. أنظر الحموي، معجم البلدان، جـ ٢ ص ١٤٢، وانظر أيضا: حسن شراب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص ٩٠.

٣) هو الحارث بن أبي شمر الغساني: من أمراء غسان في أطراف الشام. كانت إقامته بغوطة دمشق. وأدرك الإسلام، فأرسل إليه النبي ﷺ مع شجاع بن وهب، مات في عام فتح مكة، أنظر الزركلي، الأعلام، جـ٢ ص ١٥٥. أما النعمان فقد سبق ترجمته في ص ٣٣.

٤) الواقدي ، جـ ٣ ص ٩٥٠. الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله ، جـ ٥٣٥.

وسأل رسول اللهﷺ أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فخيرهم بين إحدى الطائفتين، الغنيمة أو السبي، وكان كره أن يقسم على الناس هذه الغنائم، وتأنى يبتغي أن يرجع القوم إليه تائبين فيحرزوا ما فقدوا، ومكث ينتظرهم عشرة ليلة فلم يقدم إليه أحد، فهو يعتذر لهم بسبب تأخر مجيئهم ([1]).

فقالوا: فإنا نختار سبينا، فقام رسول اللهﷺفي المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: " أما بعد، فإن إخوانكم هؤلاء قد جاءونا تائبين، وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب بذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل ".

فقال الناس: قد طيبنا ذلك لرسول الله لهم، وتمسك قوم بحقهم فقال رسول الله "إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفعوا إلينا عرفاؤكم أمركم " فرجع الناس، فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول اللهﷺ فأخبروه: أنهم قد طيبوا وأذنوا (٢).

وذكر أبو عبيد القاسم والطحاوي عن ابن شهاب، حدثني سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير" أن رسول اللهﷺ رد ستة آلاف من سبي هوازن من النساء والرجال والصبيان إلى هوازن حين أسلموا وخير نساءهن عند رجال من قريش منهم عبد الرحمن بن عوف، وصفوان بن أمية وقد كانا استيسرا المرأتين اللتين كانتا عندهما من هوازن، فخيرهما رسول اللهﷺ فاختارتا قومهما ([3]).

---

١) صالح الشامي، من معين السيرة، ص ٤٥٦.

٢) صحيح البخاري، كتاب الوكالة، باب إذا وهب شيئا لوكيل أو شفيع قوم جاز، ح ،٢٣٠٧ جـ ٣ص٩٩. سنن أبي داود، باب فداء الأسير بالمال، ح ٢٦٩٣، جـ ٣ص ٦٢.

٣) الأموال، ص١٥٦ .وانظر أيضا: شرح مشكل الآثار، باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ مما كان منه في سبايا هوازن، ح ٤٥١٠، جـ١١ص٣٩٣.

وسلك رسول اللهﷺفي سبيل الخروج على هذه الأزمة وحل مشكلة السبي ثلاث خطوات فرد سباياهم بعد مفاوضات جرت.

الخطوة الأولى: حاول أن يصل إلى حل وسط، إذ ليس من الإمكان أن يرجع كل شيء فأراد أن يصل إلى أكبر تنازل ممكن، فقال لهم: " أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ ". فقالوا: ما كنا نعدل بالأحساب شيئا اردد علينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب إلينا!.

وفي البخاري : " أحب الحديث إلي أصدقه، فاختاروا إحدى الطائفتين: إما السبي وإما المال، وقد كنت استأنيت بهم " فقالوا: يا رسول الله، لقد خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا، فرُد إلينا نساءنا وأبناءنا؛ فنجحت الخطوة ([1]).

الخطوة الثانية: حاول أن يشعر هوازن أنه معهم قلبا وقالبا وأنه متعاطف بقضيتهم ويضحي من أجلهم، وسيبذل قصارى جهده لاسترداد الأسرى، فوضع نفسه مع هوازن وليثبت لهم ذلك قال: " أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم" فتنازل عن نصيبه وأقنع بني عبد المطلب بالتنازل عن حقوقها، لكنه لا يعطي ما لا يملك.

الخطوة الثالثة: اتفق مع هوازن على موقف يقوم به أمام المسلمين ليقنع به الجيش المسلم بإعادة السبي إلى هوازن، فقال لهمﷺ"فإذا صليت الظهر، فقولوا: إنا نستشفع برسول اللهﷺعلى المؤمنين، وبالمؤمنين على رسول اللهﷺفي نسائنا وأبنائنا" ([2]).

فلما صلى الناس الظهر قام وفد هوازن مخاطبين المسلمين جميعًا، وقالوا إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا، فقامﷺ قابلا شفاعة المسلمين، وقال " أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ".

---

١) صحيح البخاري، كتاب الوكالة، باب إذا وهب شيئا لوكيل أو شفيع قوم جاز جـ ٣ ص٩٩. الغزالي، فقه السيرة، ص ٣٧٩.

٢) مسند الإمام أحمد، جـ١١ص٣٤٠. الحليبي، السيرة الحلبية، جـ٣ص١٧٩.

- **موقف المسلمين من رد السبي.**

وقد استطاع الرسولﷺحل مشكلة تميم وفزراة بمساومة مادية، فقال رسول اللهﷺ " أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض، من أول سبي أصيبه " فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم (١).

أما بنو سليم وزعيمهم عباس بن مرداس فقد كان السبي حق شخصي لكل فرد وليس للقبيلة وكان لابد من موافقة كل فرد وخطب رسول اللهﷺ في عموم المسلمين وقال " أما بعد، فإن إخوانكم هؤلاء قد جاءونا تائبين، وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب بذلك فليفعل ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل".

فقال الناس: قد طيبنا ذلك لرسول الله لهم، فقال رسول اللهﷺ " إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفعوا إلينا عرفاؤكم أمركم " فرجع الناس، فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول اللهﷺ فأخبروه: أنهم قد طيبوا وأذنوا (٢).

وبهذا دخلت هوازن في الإسلام بنفسٍ راضيةٍ، وقد تيقنت أنها تتعامل مع رسول وليس مع مجرد زعيم أو قائد، ولا يوجد في تاريخ الأمم مثل هذا الرُقِيّ في التعامل مع الأسرى وهذا مظهر فريد من مظاهر الرحمة، في وقت كانت تستباح فيه الحرمات والأعراض.

- **الرسول ﷺ يطلق أسرى بني تميم.**

وفي السنة التاسعة من الهجرة وفي شهر الله المحرم، الموافق سنة ٦٣م. بعث رسول اللهﷺ عيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم، في خمسين فارسا من العرب.

---

١) المصدر السابق، جـ ١١ص٦١٣. وانظر الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله، جـ ٢ص ٢٥٩. وانظر أبي عبيد القاسم، الأموال ، ص ١٥٦.

٢) صحيح البخاري، كتاب الوكالة، باب إذا وهب شيئا لوكيل أو شفيع قوم جاز جـ ٣ ص ٩٩.

ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري فكان يسير الليل ويكمن النهار، فهجم عليهم في صحراء، فدخلوا وسرحوا مواشيهم، فلما رأوا الجمع ولوا وأخذ منهم أحد عشر رجلا، ووجدوا في المحلة إحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبيا فجلبهم إلى المدينة، فأمر بهم رسول اللهﷺ فحبسوا في دار رملة بنت الحارث ([1]) فقدم فيهم عدد من رؤسائهم منهم عطارد بن حاجب، والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم، والأقرع بن حابس وغيرهم.

فلما رأوا نساءهم وذراريهم بكوا إليهم. فعجلوا وجاءوا إلى النبيﷺ فنادوا: يا محمد اخرج إلينا، فخرج رسول اللهﷺ وأقام بلال الصلاة، وتعلقوا برسول اللهﷺيكلمونه، فوقف معهم، ثم مضى فصلى الظهر، ثم جلس في صحن المسجد فقدم عطارد بن حاجب فتكلم وخطب، فأمر رسول اللهﷺ ثابت بن قيس بن شماس فأجابهم. ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ الحجرات: ٤. ومنَّ رسول اللهﷺ عليهم فرد الأسرى والسبي (٢).

- المن على أُكيدر (دومة الجندل ([3]).

بعث رسول اللهﷺ خالد بن الوليد في أربعمائة وعشرين فارسا إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل، وأوصاه إذا ظفر بأكيدر أن يأتي به إليه أسيرا ولا يقتله وقال له:إن أبى فاقتله، فلما ظفر به أخبره بما قاله رسول اللهﷺ فقال نعم وطاوعه، وتم الصلح بينهما وفتح الحصن، ثم أقبل معه نحو المدينة حتى دخل به إلى رسول الله ﷺ ومعه أخوه موثوقا. وصالح رسول اللهﷺ أكيدر على الجزية مقابل حقن دمه هو وأخيه، ثم من عليهما وكتب لهما كتاب أمان وختمه بظفره (٤).

---

١) هي رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار. ابن سعد، الطبقات الكبرى،جـ ٣ ص ٤٩١.

[2]) الواقدي، جـ ٣ ص ٩٧٥. ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي، جـ ٢ ص ٢٥٣.

[3]) أنظر خريطة دومة الجندل رقم ٩١" أ " ٢٠" ب" .

[4]) الواقدي، جـ ٣ ص ١٠٢٦. وانظر المقريزي، إمتاع الأسماع، جـ ١٥ ص ٥٠

المطلب الثاني: فداء الأسير

الفداء: هو فكاك الأسير وتخليصه من الأسر بعوض، قال تعالي ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الصافات ١٠٧. أي جعلنا الذبح فداء له وخلصناه به من الذبح (1).

ومنه قوله تعالى ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ ﴾ البلد: ١٣: أي تخليصها من الأسر.

وهو واجب على الكفاية ، قال ابن بطال " فكاك الأسير واجب على الكفاية وبه قال الجمهور " (٢).

والفداء هو أحد الخيارات الثلاثة التي جاءت في الآية: قال تعالى﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴿٤﴾ ﴾ محمد : ٤

وقد ورد الفداء بمعنى آخر في القرآن وهو" العدل " قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ﴿٧٠﴾ ﴾ الأنعام: ٧٠ .

يعني: كل فداء، قال أبو جعفر: يقال منه: عدل يعدل: إذا فدى، عدلا.

ومنه قوله تعالى﴿ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا ﴿٩٥﴾ ﴾ المائدة: ٩٥ وهو ما عادله من غير نوعه (3).

وفي السنة النبوية الشريفة أحاديث كثيرة تحث على فداء الأسير وفكه من الأسر.

---

١) ابن منظور، لسان العرب، جـ ١٥ ص١٥٠.

٢) ابن حجر، فتح الباري ، كتاب الجهاد ، باب قوله فكاك الأسير، جـ ٦ص ١٦٧

٣) الطبري، تفسير الطبري " جامع البيان عن تأويل آي القرآن" جـ ٩ ص٣٢٣.

أورد البخاري بسنده عن أبي جحيفة، قال: قلت لعلي بن أبي طالبﷺ: هل عندكم كتاب ؟ قال: لا . " إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة.

قال: قلت: فما في هذه الصحيفة ؟. قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر " (١).

وكان فيها عقول الديات، أي أسنان الإبل التي تجب فيها الدية، وفيها فكاك الأسير.

وذكر البخاري بسند عن أبي موسىﷺ قال: قال رسول اللهﷺ " فكوا العاني - يعني الأسير- وأطعموا الجائع، وعودوا المريض " (٢).

إن الروايات والشواهد الورادة في الفداء بالمال ومقدارها كثيرة، وأغلبها في شأن أسرى بدر، قال الواقدي: وكان مقدار الفداء أربعة آلاف درهم إلى ما دون ذلك (٣).



- الفداء مع قريش.

١- فداء أسرى سرية نخلة.

وكان أول حادثة فداء تمت بين المسلمين وقريش في السنة الثانية من الهجرة وقبل وقعة بدر بشهرين حيث بعث رسول اللهﷺ عبد الله بن جحش الأسدي في سرية إلى نخلة بين مكة والطائف ومعه ثمانية رهط من المهاجرين وكتب له كتابا أمره فيه أن يترصد لقريش ويتتبع أخبارهم فعاد ومعه غنائم وأسيرين، فلما قدموا على رسول الله ﷺقال: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام (٤).

---

(١) البخاري، صحيح البخاري ،كتاب العلم ، باب كتابة العلم، ح ١١١، جـ ١ ص ٣٣.

(٢) البخاري،كتاب الجهاد ، باب فكاك الأسير، ح ٣٠٤٦ جـ ٤ ص ٦٨.

(٣) ، المغازي جـ ١ ص ١٢٩.

(٤) سبق ذكر الحديث في هذا البحث أنظر ص ١٧١.

ولم يكتف بذلك بل رفض أخذ العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا، إلى أن يأتي وحي يرشده إلى القرار الأحكم في ذلك.

وسقط الأمر في يد ابن جحش ومن معه ورأوا أنهم قد أخطأوا في الاجتهاد وبدأ إخوانهم المسلمون يعنفونهم ويلقون اللوم عليهم، وقامت قريش بحملة دعائية ضد المسلمين وقالوا: إن المسلمين انتهكوا الحرمات وخالفوا الأعراف، وتعدَّوا على القوانين.

فنزل القرآن ليضبط الموازين وليوضح للجميع الحقائق كما ينبغي أن تكون ويبين للناس ما اختلفوا فيه، وليخبر قريشا أنه على الرغم من أن القتال في الشهر الحرام ممنوع وهو أمر كبير لا ينبغي أن يسعى إليه المسلمون إلا أن ما فعلتموه أكبر وأعظم من ذلك فالكفر بالله وعبادة الأصنام، ومنع المسلمين من الطواف بالبيت، وفتنهم الدين أعظم بكثير مما فعله المسلمون وأن ما فعله رجال السرية إنما هو بمثابة دفع أكبر الضررين، وأنهم لم يحرصوا على الإتيان بأصغر الضرر.

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ ﴿٢١٧﴾ ﴾ البقرة : ٢١٧.

كل هذا أكبر من قتل ابن الحضرمي " ثم قال:﴿ وَٱلْفِتْنَةُ ﴾ يعني: "الكفر بالله، وعبادة الأوثان أكبر من هذا كله"(١).

---

(١) المكي، مجاهد بن جبر، ت ١٠٤هـ ، تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، مصر ، دار الفكر الإسلامي الحديثة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ /١٩٨٩م، ص ٢٣١.

وفرج الله تعالى عن المسلمين فقبض رسول اللهﷺ العير والأسيرين، وبعث إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان، فقال رسول اللهﷺ"لا نفديكموها حتى يقدم صاحبانا "- يعني سعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان- وكانا قد أضلا راحلة لهما فأقاما يطلبانها، فشرط الفداء بقدومهما، وقال "فإنا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما، نقتل صاحبيكم" فقدم سعد وعتبة فأفداهما رسول اللهﷺ منهم ([1]).

كانت هذه السرية هي أول عملية عسكرية يظفر فيها المسلمون بأسيرين من قريش بعد طول عناء وتعذيب وتشريد من مشركي مكة، إلا أن ذلك كله لم يدفع رسول اللهﷺ أن يمس الأسيرين بأذى، بل على العكس كان الإكرام والصفح عنهما، وهذا الموقف له دِلالات كبيرةٌ جدًّا حيث إنّه وضَّح من البداية سياسة رسول اللهﷺ في التعامل مع الأسرى.

- ٢ فداء أسرى بدر.

كانت معركة بدر أول مواجهة عسكرية بين المسلمين وقوات الشرك، وقد تمّ النصر فيها للمسلمين مع قِلّة عددهم وعُدَّتهم؛ بل إنهم مع هذا النصر أَسَرُوا من المشركين سبعين رجلاً، واستشار الرسولﷺأصحابه في شأن هؤلاء الأسارى، وماذا يفعل معهم ؟. فأشار أبو بكر أن تأخذ منهم الفدية، ليكون ما أخذناه قوّةً للمسلمبن على الكفار، وعسى أن يهديهم الله.

١) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: السقا، القسم الأول، ص ٥٣٤ وما بعدها. وانظر أيضا: الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله، جـ ١ ص ٣٢٣.

أما عمر: فكان رأيه أن يمكن لكل قريبه ليضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوداة للمشركين، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم، فهوى الرسولﷺما قال أبو بكر، ولم يَهْوَ ما قال عمر وأخذ منهم الفداء.

فنزلت الآيات: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾ الأنفال : ٦٧ .

وقد تفاوت مقدار هذه الفدية بحسب حالة كل أسير وبحسب حاجة الدولة الناشئة وعليه فإن فداء أسرى بدر كانت بما يلي.

ثبت أن رسول اللهﷺ فدى بعض الأسارى بأربعة آلاف درهم وكان منهم العباس بن عبد المطلب عم النبيﷺ وكان قد خرج مستكرها في بدر وقاتل مع المشركين فأسر مع من أسر، وكان رجلا غنيا.

فقال له رسول اللهﷺ افد نفسك وبني أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث، وحليفك عتبة بن عمر أحد بني الحارث بن فهر فإنك ذو مال؛ فقال يا رسول الله ! إني كنت مسلما ولكن القوم استكرهوني؛. فقال رسول اللهﷺ " الله أعلم بإسلامك، إن يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك بذلك فأما ظاهر أمرك فكان علينا فافد نفسك؛ وأخذ منهﷺ عشرين أوقية من ذهب " ([١]).

والحارث بن أبي وجزة أسره سعد بن أبي وقاص، قدم في فدائه الوليد بن أبي عقبة فافتداه بأربعة آلاف، وأبو العاص بن الربيع، قدم في فدائه أخوه عمرو بن الربيع، وعقبة بن الحارث الحضرمي، افتداه عمرو بن سفيان بن أمية، وأبو العاص بن نوفل قدم في فدائه ابن عمه.. وكان أول أسير افتدي أبو وداعة بن ضبيرة، قدم في فدائه ابنه المطلب وافتداه بأربعة آلاف، وفروة بن بن خنيس بن حذافة بن سعيد بن سعد بن سهم.

[١]) ابن حبان، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، جـ ١ ص ١٨٤، البيهقي، دلائل النبوة ، جـ ٣ ص ١٤٢.

وكان الذي أسره ثابت بن أقرم، قدم في فدائه عمرو بن قيس، افتداه بأربعة آلاف.
وحنظلة بن قبيصة بن حذافة بن سعيد بن سعد بن سهم، وسهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود ابن نصر بن مالك.
قدم في فدائه مكرز بن حفص بن الأخيف فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرز بن حفص، وبعث سهيل بالمال إليهم فأطلقوا سراح مكرز ([1]).

وأبو عزيز واسمه زرارة بن عمير - وهو أَخٌ لمصعب بن عمير - وكانت أمه صاحبة مالٍ وفير، فسألت عن أغلى ما فدي به قرشي، فقيل لها: أربعة آلاف درهم فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها ([2]).
وغيرهم من الأسرى الذين أخذ رسول اللهﷺ منهم الفداء، وكان يُراعي الحالة الماديّة لكلّ أسير .
قال الشافعي: أخبرنا عدد من أهل العلم أن رسول اللهﷺ أسر أبا عزة الجمحي يوم بدر فمنَّ عليه ثم أسره يوم أحد فقتله صبراً، وأن رسول اللهﷺ أسر سهيل بن عمرو وأبا وداعة السهمي وغيرهم ففداهم بأربعة آلاف وفادى بعضهم بأقل ([3]).
وكان في الأسارى من يكتب، ولم يكن في الأنصار من يحسن الكتابة، وكان منهم من لا مال له، فدفع الرسولﷺإلى كل أسير منهم عشرة من الغلمان يعلمهم الكتابة فإذا حذقوا فهو فداؤهم، وكان زيد بن ثابت الأنصاري من أبرز من تعلم منهم (٤).

---

١) الواقدي، جـ ١ ص ١٣٨ وما بعدها. ١٤٢

٢) ابن هشام، السيرة النبوية تحقيق: السقا، القسم الأول، ص ٥٧٠.

٣) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، ٤٥٨هـ، معرفة السنن والآثار، كتاب السير، باب الحكم في الرجال البالغين، ح ١٧٩١٠، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، الناشرون جامعة الدراسات الإسلامية، باكستان، كراتشي، دمشق، دار ابن قتيبة، الطبعة الأولي ١٤١٢هـ/١٩٩١م، جـ ١٣ ص١٩٩.

٤) ابن سيد الناس،عيون الأثر جـ ١ص، ٣٣٣. الشامي، سبل الهدى، جـ ٤ص ٦٩.

المطلب الثالث: مبادلة الأسرى بين المسلمين وأعدائهم .

أولا : مبادلته ﷺ الأسرى مع قـريـش.

فقد أطلق الرسولﷺ بعض الأسارى كعمرو بن أبي سفيان مقابل أن يطلق المشركون سراح سعد بن النعمان بن أكال الذي أسره أبو سفيان وهو يعتمر، فبعث رسول الله ﷺ أن يطلق سعدا مقابل ابنه عمرو فخلى سبيله ([1]).

وروى الأعرج أن سعد بن النعمان خرج معتمراً من البقيع بعد وقعة بدر، ومعه زوجته شيخان كبيران، وهو لا يخشى الذي كان، فحبسه أبو سفيان بمكة وقال: لا أرسله حتى يرسل محمدﷺ ابني عمرو بن أبي سفيان، وكان أسر يوم بدر فمشى الخزرج إلى رسول اللهﷺ وكلموه في ذلك فأرسله، ففدوا به سعد بن النعمان ([2]).

- مبادلته ﷺ لأسرى بأسيرة .

وذكر الإمام مسلم وأحمد وأبي داود في حديث سلمة بن الأكوع أن رسول اللهﷺ بعث أبا بكر الصديقرضي الله عنه في سرية إلى بني فزارة قبل نجد فقتلوا وسبوا وكان في السبي امرأة من بني فزارة ومعها ابنة لها من أحسن العرب، يقول سلمة: فنفلني أبوبكر ابنتها فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوبا، فلقيني رسول اللهﷺ في السوق فقال: " يا سلمة هب لي المرأة ".

---

١) ابن هشام، تحقيق: السقا، القسم الأول، ص ٥٧٣ وما بعدها

٢) ابن أبي سهل، محمد، شرح السير الكبير، جـ ٤ ص، ١٥٩١.

فقلت: يا رسول الله ! والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبا، ثم لقيني رسول اللهﷺ من الغد في السوق، فقال: " هب لي المرأة لله أبوك " . فقلت: هي لك يا رسول الله ! فو الله ما كشفت لها ثوبا.

فبعث بها رسول اللهﷺ إلى مكة وفي أيديهم أسارى من المسلمين ففداهم رسول الله بتلك المرأة ([1]).

وروى البيهقي بسنده عن عمران بن حصينﷺ أن النبيﷺ فدى رجلا برجلين، وفي حديث سلمة بن الأكوع في المرأة التي استوهبها رسول اللهﷺ منه وبعث بها إلى مكة وفي أيديهم أسرى ففداهم بتلك المرأة ([2]).

وذكر ابن أبي شيبة عن سهل بن أبي حثمة: أن النبيﷺ فدى رجلا بمائة من الإبل ([3]). وفدى رجلا من المسلمين من حرم أهل الحرب بمائة ألف ([4]).

هكذا وردت المفاداة بالأسرى في عدة حوادث في عهد الرسولﷺ وفيها دليل على جواز المفاداة بالمال أو بالتبادل بين الفريقين كما ألمحنا إلى ذلك سابقا.

---

[1]) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب التنفيل، وفداء المسلمين بالأسارى، ح ٤٦ – "١٧٥٥" جـ ٣ ص ١٣٧٥. وانظر أيضا : مسند الإمام أحمد، جـ ٢٧ص٢٨. وانظر أيضا: سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب الرخصة في المدركين يفرق بينهم، ح ٢٦٩٧، جـ ٣ص٦٤. أبو عبيد القاسم، الأموال ، ص ١٦٠.

[2]) السنن الكبرى، كتاب الجزية، باب الرخصة في الإعطاء في الفداء ونحوه للضرورة ، ح ١٨٨٢٦،جـ ٩ص ٣٧٨.

٣) ابن أبي شيبة ، أبوبكر عبد الله ، ت ٢٣٥ " مصنف أبي شيبة " الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار"كتاب الديات، باب الدية كم تكون، ح ٢٦٧٣٩، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، جـ ٥ ص ٣٤٥.

٤) ابن أبي شيبة ، كتاب الديات، ح ٢٦٧٣٩، جـ ٦ ص ٤٩٦

ثانيا: مبادلته ﷺ الأسرى مع ثقيف.

كما تبادل رسول اللهﷺ بعض الأسرى مع ثقيف ففي حديث عن عمران بن حصينرضي الله عنه قال : كانت ثقيف حلفاء لبنى عقيل، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول اللهﷺ وأسر أصحاب رسول اللهﷺ رجلا من بني عقيل وأصابوا معه العضباء، فأتى عليه رسول اللهﷺ وهو في الوثاق.

قال: يا محمد؟. فأتاه فقال: " ما شأنك ؟ " فقال: بم أخذتني؛. وبم أخذت سابقة الحاج ؟.

فقال: " إعظاما لذلك أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف ".

ثم انصرف عنه. فناداه، فقال: يا محمد يا محمد؛. وكان رسول اللهﷺ رحيما رقيقا فرجع إليه.

فقال: " ما شأنك ؟ " قال: إني مسلم، فقالﷺ" لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح " .

ثم انصرف فناداه، فقال : يا محمد، يا محمد؟.

فأتاه فقال: " ما شأنك ؟ ".

قال: إني جائع فأطعمني، وظمآن فاسقني؛. قال: " هذه حاجتك " ففدي بالرجلين.[1]

---

[1]) مسلم، صحيح مسلم، كتاب النذر، باب لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك العبد، ح ٨ " ١٦٤١ " جـ٣ ص ١٢٦٢. مسند الإمام أحمد، جـ ٣٣ ص ١٢٤.

المطلب الرابع: قتل الأسير.

إن الأسير في الإسلام قد حظي بتشريع متكامل يحفظ له حقوقه ويحول دون ظلمه وقد تعامل رسول اللهﷺ مع الأسارى في غاية الحكمة، وكانت هذه المعاملات تتغير بتغير ظروف الأسارى، فقتل بعضهم وفدى بعضهم ومن على بعضهم وإن لم يكن القتل مذكوراً في الآية ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴿٤﴾ ﴾ محمد ٤

إلا أنه قد أذن بقتلهم في آية أخرى وذلك ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ ﴿٥﴾ ﴾ التوبة: ٥ وقوله تعالى ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴿١٩١﴾ ﴾ البقرة : ١٩١

وقوله تعالى ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ الأنفال : ٥٧ وغير ذلك من الآيات.

عن عليرضي الله عنه أن رسول اللهﷺ قال: إن جبرائيلعليه السلام هبط عليه فقال له خيرهم – يعني أصحابك – في أسارى بدر القتل أو الفداء على أن يقتل منهم قابلاً مثلهم، قالوا: الفداء ويقتل منا ([1]).

فلما كان يوم أحد من العام التالي عوضوا بما صنعوا في يوم بدر فقتل منهم سبعون قال ابن كثير: "وقد استقر الحكم في الأسرى عند جمهور العلماء أن الإمام مخير فيهم، إن شاء قتل،كما فعل ببني قريظة وإن شاء فادى بمال، كما فعل بأسرى بدر أو بمن أُسر من المسلمين" ([2]).

[1]) الترمذي، الجامع الكبير،" سنن الترمذي" أبواب السير، باب ما جاء في قتل الأسارى والفداء ح ١٥٦٧، جـ ٣ ص ١٨٧.

٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ ٤ ص ٩١.

وقال الجصاص: " اتفق فقهاء الأمصار على جواز قتل الأسير لا نعلم بينهم خلافا فيه وقد تواترت الأخبار عن النبيﷺ في قتله الأسير" ([١]).

وعليه فإن قتل الأسير البالغ المحارب جائز في الإسلام حسب رأي إمام المسلمين بما تمليه المصلحة في ذلك، وسبق الحديث عن ذلك والغرض من هذا المطلب هو إيراد الأدلة والشواهد في جواز قتل الأسرى من السنة وغيرها حسب ما يقتضيه المصلحة العامة وبما يراه الحاكم.

وقد ورد في كتب السير والمغازي أن النبيﷺ قتل بعض أسرى الحرب في غير موطن، منها قتله عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث بعد الأسر يوم بدر وقتل يوم أحد أبا عزة الشاعر بعد ما أسر مرة أخرى بأحد، وفتح مكة وأمر بقتل هلال بن خطل، ومقيس بن صبابة، وعبد الله بن أبي السرح، وآخرين، وقال: " اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة "([٢]).

يقول خير الله طلفاح : لم يلجأ الرسولﷺ إلى قتل الأسرى إلا إذا كان أحد هؤلاء الذين في إيذائه وإيذاء أهله وأصحابه وكان خطرا على دعوته وعلى رسالته، وأنه يسعى في كل مرة لتأليب العرب عليه وعلى أتباعه بغية القضاء على النبي والمسلمين ([٣])

وهذا ما حدث في عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث بن كلدة، وسوف نشير إلى ذلك فيما يلي.

---

١) الجصاص، أحكام القرآن ، جـ ٣ ص ٥٢٠.

٢) البيهقي، دلائل النبوة، باب من أمر الرسول ﷺ بقتله يوم فتح مكة، جـ ٥ ص ٥٩.

٣) الجهاد والاستشهاد في الإسلام، بغداد، دار الحرية، ١٩٨٢. جـ ١٦ص ٣٣.

- عقبة بن أبي معيط.

وكان قتله جزاء وفاقا لكل ما قام من العداوة لله ولرسوله والمسلمين كما يتضح معنا فيما يلي.

١ - إيذاؤه لرسول اللهﷺ .

كان أشد ما صنعه هذا المشرك الفاجر الخبيث ما أقدم عليه ذات يوم والنبيﷺ يصلي، فخنق النبيﷺخنقاً شديداً حتى كادت أنفاسه أن تخرج، وجاء الصديق رضي الله عنه فدفع عقبة عن رسول اللهﷺ وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴿٢٨﴾﴾ غافر : ٢٨

وازداد عقبة بن أبي معيط في شقاوته وخبثه وقسوته في إيذاء الرسولﷺ وتخطى حدود الإنسانية، فأقبل إلى رسول الله ﷺ يوما وهو يصلي أمام الكعبة فألقي أمعاء الجزور على ظهرهﷺ وهو ساجد فلم يستطع حراكا حتى جاءت ابنته فاطمة رضي الله عنها فأخذته عن ظهرهﷺ ([1]).

وفي صحيح البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينما أبو جهل يجلس مع أصحابه عند البيت ورسول اللهﷺ يصلي إذ قال أبو جهل: أيكم يجيء بسلا جزور بني فلان ليلقيه على ظهر محمد إذا سجد ؟. فانبعث أشقى القوم عقبة بن أبي معيط فجاء بسلا الجزور، وانتظر حتى سجد النبيﷺ فألقاه على ظهر النبيﷺ بين كتفيه وهو ساجد، يقول ابن مسعود: وأنا أنظر وما أملك أن أفعل لرسول الله شيئاً (٢).

---

١) المقريزي، إمتاع الأسماع، جـ ١٤، ص ٣٣٢.

٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة، لم تفسد عليه صلاته جـ ١ص ٧٥.

٢ - صده للناس عن الإيمان بالله.

كان أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط صديقين متصافين، وبلغ عقبة أن صديقه جالس النبيﷺ فأتى عقبة فقال: ألم يبلغني أنك جالست محمدا وسمعت منه! ثم قال وجهي من وجهك حرام أن أكلمك- واستغلظ من اليمين- إن أنت جلست إليه أو سمعت منه، أو لم تأته، فتتفل في وجهه.

فجاء هذا المجرم الوقح فبصق في وجه الحبيبﷺ فأنزل الله تعالى فيهما قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ۝٢٩ ﴾ الفرقان : ٢٧ - ٢٩ ([1]).

٣ - تحريضه لقريش على قتال المسلمين.

لم يكتف هذا المجرم الحقود بكل ما قام به من عداء لرسوله فحسب وإنما كان من أكبر المتآمرين والمحفزين على الخروج لحرب المسلمين في بدر، كان أمية بن خلف شيخا جليلا جسيما ثقيلا .

وكان قد هم على النكوص والقعود، ولما علم عقبة نبأ تخاذله وتقاعسه أتاه وهو جالس في المسجد بين ظهراني قومه بمجمرة يحملها فيها نار حتى وضعها بين يديه ثم قال: يا أبا علي استجمر، فإنما أنت من النساء.

فقال: قبحك الله وقبح ما جئت به، وخجل واستحيا ثم قام من فوره فتجهز وخرج مع الناس ولولا تشهير عقبة به على هذا النحو الذي رأيناه لما خرج ([2]).

---

[1]) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: السقا، القسم الأول، ص ٣٣٤. وانظر السهيلي، الروض الأنف، جـ ٣ ص ١٨٩. الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله، جـ ١ص٢١٥.

[2]) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق، السقا، القسم الأول، ص ٥٤٠. السهيلي، الروض الأنف، جـ ٥ ص ٦٤.ابن كثير، السيرة النبوية، جـ ٢ ص ٣٨٣. ابن سيد الناس، جـ ١ ص ٢٨٥.

ولما كان يوم بدر دارت عليه الدائرة فأسر هذا المجرم وسيق من بين الأسارى نحو رسول اللهﷺ فأمر الرسولﷺ علي بن أبي طالبرضي الله عنه أن يضرب عنقه من بين الأسارى؛ فبدأ يتوسل إلى رسول الله ويستعطف ويقول: يا محمد، علام أقتل من بين هؤلاء؟. فقال له النبيﷺ بكفرك وفجورك وعتوك على الله ورسوله؛ قال يا محمد: فمن للصبية ؟. قالﷺ النار. اضرب عنقه يا علي، فقام إليه علي فضرب عنقه ([1]).

وقال الواقدي: وأمر رسول اللهﷺ عاصم بن ثابت بن الأقلح بضرب عقبة بن أبي معيط، فلما سمع بأمر مقتله جعل يقول: يا ويلي، علام أقتل يا معشر قريش من بين من هاهنا ؟ فقال رسولﷺ لعداوتك لله ولرسوله.

قال: يا محمد، منك أفضل فاجعلني كرجل من قومي، إن قتلتهم قتلتني وإن مننت عليهم مننت علي وإن أخذت منهم الفداء كنت كأحدهم؛ يا محمد: من للصبية ؟. قال رسول اللهﷺ النار، قدمه يا عاصم فاضرب عنقه! فقدمه عاصم فضرب عنقه. فقال رسول اللهﷺ بئس الرجل كنت والله ما علمت، كافرا بالله وبرسوله وبكتابه مؤذيا لنبيه، فأحمد الله الذي قتلك وأقر عيني منك! ([2]). وقال ابن حزم وقيل: قتله علىرضي الله عنه ([3]).

وقال الشعبي: "لما أمر النبيﷺ بعقبة قال: أتقتلني يا محمد من بين قريش؟ قال نعم أتدرون ما صنع هذا بي؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام، فوضع رجله على عنقي وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستندران ([4]).

وجاء مرة أخرى بسلا شاة فألقاه على رأسي وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي ([5])".

---

١) ابن حبان، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، جـ ١ ص ١٨٣.

٢) الواقدي، جـ ١ ص ١١٤.

٣) ابن حزم، جوامع السير، جـ ١ ص ١١٦.

٤) ستندران: أي ستخرجان من مكانهما.

٥) ابن كثير، السيرة النبوية، جـ ٢ ص ٤٧٣.

- **النضر بن الحارث بن كلدة.**

كان النضر بن الحارث من أكبر شياطين قريش، ومن أشد الناس إيذاءا لرسول الله ﷺفي مكة، قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس القدامى وأحاديث رستم واسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فذكر الناس بالله ووعظهم وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله، خلّفه في مجلسه إذا قام ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه!. فهلم إلي فأنا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار، ثم يقول ما محمد بأحسن مني حديثا وما أحاديثه إلا أساطير الأولين ([1]).

١ – ادعاؤه المقدرة على الإتيان بمثل القرآن.

كان النضر بن الحارث ومن على شاكلته من الوثنيين المعاندين إذا سمعوا القرآن سخروا منه، وقالوا: هذه أساطير الأولين؛ كما قال طاغية من طغاة الأرض قال ابن هشام وهو الذي أنزل فيه ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦ ﴾ الفرقان: ٥:٦ ([2]).

هكذا زعم الخبيث أن كلامه أفضل من كلام الله، كما زعم أنه أحسن حديثا من محمدﷺ. قال عطاء بن أبي رباحرضي الله عنه لقد نزلت فيه بضع عشرة آية من كتاب الله ([3]).

١) السهيلي، الروض الأنف، جـ ٣ ص ٢٨٩.

٢) ابن هشام، تحقيق: السقا، القسم الأول، ص٣٣١.

٣) الواحدي، علي بن أحمد، ت ٤٦٨هـ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد ،تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود بيروت دار الكتب العلمية، الطبعة ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، جـ ٣ ص ٤٤٠. وانظر أيضا : السيوطي، الدر المنثور، جـ ٧ ص ١٤٨.

وقوله ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ الأنفال: ٣١ ([1]).

وقال ابن إسحاق: وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول فيما بلغني: نزل فيه ثمان آيات من القرآن: قول الله عز وجل ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ القلم: ١٥. وكل ما ذكر فيه أساطير الأولين ([2]).

٢ – تشكيكه بالنبوة والرسالة وطلبه إنزال العذاب بهم.

قام هذا المجرم يطلب العذاب من الله سبحانه وتعالى بعد أن سمع القرآن عنادا منه فقال: اللهم إن كان هذا هوالحق من عندك فأنزل الله قوله تعالى

﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ الأنفال:٣٢ (٣).

وكان المفروض أن يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه وكان النضر وعقبة رسولا قريش إلى اليهود، يوم اجتمعت قريش بجوار الكعبة يتحدثون في أمر نبوة محمد ﷺ فقال أحدهم، ما ترون لهذا الذي يزعم أنه نبي؟. فقال النضر بن الحارث: ما نرى إلا أن نذهب إلى اليهود في المدينة فنسألهم أسئلة نعرضها بين يديه، فإن كان صادقا اتبعناه وإن كان كاذبا طردناه فبعثت قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود يسألانهم عن حقيقة نبوته في كتابهم ويسألانهم بأسئلة يعرضونها على الرسول ﷺ لاختبار صدق نبوته (٤).

---

١) الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، جـ١٣ ص ٥٠٤.

٢) السهيلي، الروض الأنف، جـ ٣ ص ٧٠.

٣) الطبري، جامع البيان، جـ١٣ ص ٥٠٥.

٤) ابن هشام، تحقيق السقا، القسم الأول، ص ٢٨٣. وفيه أنهم قالوا لهما: سلوه عن ثلاث يأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول.

- **مقتل النضربن الحارث.**

ثم ارتحلﷺ مؤيَّداً منصوراً، قرير العين بنصر الله له، ومعه الأسرى والمغانم، فلما كان بـ الأثيل وقسّم الغنائم ([1]) عرض النبيﷺ الأسرى فنظر إلى النضر بن الحارث بن كلدة فأبده البصر فارتعدت مفاصله وأعصابه، فقال لرجل بجانبه: محمد والله قاتلي؛ لقد نظر إلي بعينين فيهما الموت!.

فقال الرجل: والله ما هذا منك إلا رعب، ثم لجأ إلى مصعب بن عمير وجعل يناشده بالقرابة ويتوسل إليه بما كان بينهما من عهد فقال: يا مصعب؛ أنت أقرب مني ممن هنا بي رحما؛ كلم صاحبك أن يجعلني كرجل من أصحابي، هو والله قاتلي إن لم تفعل؛ ولكن ذلك كله لم ينفعه بشيء فقد رد عليه مصعب قائلا إن الإسلام قطع العهود.. وكان النضر أسير المقداد وهو أحد المطعمين في يوم بدر، فلما سمع ما قاله مصعب خشي أن يقتل النضر وتفوته الفدية: فصاح قائلا النضر أسيري؛.

وأمر النبيﷺ عليا بضرب عنقه صبرا ثم دعا لهﷺ فقال اللهم أغن المقداد من فضلك ([2]).

كان قتل هذين الطاغيتين واجبا من حيث وجهة الحرب، فلم يكونا من الأسارى فحسب بل كانا من مجرمي الحرب بالاصطلاح الحديث، ولم يقتلهما الرسولﷺ انتقاما لنفسه فقد ثبت في حديث عائشةرضي الله عنها قالت " وما انتقمﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله بها " ([3]).

ما كان من أمرهم، فإنه كان لهم حديث عجب، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان بناؤه، وسلوه عن الروح ما هو، فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه، وإن لم يخبركم فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

١) الأُثَيِّل: موضع قرب المدينة، الحموي، معجم البلدان، جـ ١ص ٩٤. وتسمى أيضا بـ الصفراء.

٢) الواقدي، جـ ١ ص ١٠٦.

٣) صحيح البخاري ،كتاب المناقب، باب صفة النبيﷺ، ح ٣٥٦٠، جـ٤ ص ١٨٩. وانظر أيضا: سنن أبي داود ،كتاب الأدب، باب في التجاوز في الأمر، ح ٤٧٨٥، جـ ٤ص٢٥٠.

بل إنهما لو تركا لأفسدا غيرهما فقد كانوا بمثابة السرطان في الجسم فكان لا بد من بترهما والتخلص من شرهما ولم يقتل من أسارى بدر غيرهما.

يقول ابن كثير: كان هذان الرجلان من شر عباد الله وأكثرهم كفرا وعنادا وبغيا وحسدا وهجاء للإسلام وأهله (١).

ومن المعلوم أن الأطباء المختصين لو قرروا أن في الإنسان عضوا خطيرا يشكل ضررا بالغا أنه يبتر، فكذلك يجب قتل الكفار ابتداءاً لأنهم يقودون أنفسهم من حيث يعلمون أو لا يعلمون إلى عاقبة وخيمة في الدارين.

- **قتل أبي عزة الجمحي.**

وفي يوم أحد أسر أسير واحد هو أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي " الشاعر " الذي كان يهجو النبي والإسلام شعراً ونثراً، وكان قد أسر يوم بدر، فشكا إلى رسول اللهﷺ حاله واستعطفه بعياله فعطف عليه ومن عليه بغير فداء، وأخذ عليه ألا يظاهر عليه أحدا، فجادت قريحته بأبيات مدح فيها رسول اللهﷺ قائلا:

من مبلغ عني الرسول محمدا ... بأنك حق والمليك حميد.
وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى ... عليك من الله العظيم شهيد.

لكن عدو الله نكث عهده مع الرسول ﷺ يوم أحد بعد تحريض من زعماء قريش فدخل عليه صفوان بن أمية وقال: يا أبا عزة، إنك امرؤ شاعر فأعنا بلسانك واخرج معنا؛. فقال: إن محمدا قد منّ عليّ فلا أريد أن أظاهر عليه، فقال صفوان اخرج معنا وأعنا بلسانك – وكان سليط اللسان– ولك إن رجعت أن أغنيك.

١) ابن كثير، البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٣٠٦.

فخرج أبو عزة يدعو العرب ويحشرهم ويشحذ هممهم بلسانه ويستنفر المشركين إلى أحد، ثم خرج مع قريش يوم أحد، فوقع أسيرا وأمكن الله منه، ولما جيء به إلى رسول اللهﷺ أردا المكر والخديعة لرسول الله مرة أخرى. فقال: يا محمد، إنما خرجت مكرها، ولي بنات فامنن علي واعف عني ولا أعود!. فقال رسول اللهﷺ أين ما أعطيتني من العهد والميثاق ؟.

لا والله، لا تمسح عارضيك بمكة تقول " سخرت بمحمد مرتين "! ثم أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه. وفيه قالﷺ " لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين " (١).

وعن أبي هريرةرضي الله عنه عن النبيﷺ قال " لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين " (٢).

وهكذا يستحب مغايظة أعداء الله تعالى في مواطن الغلظة، والتسامح له نهاية.

- قتل أسرى بني قريظة.

صدق الله وعده على نبيهﷺ ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب ووقع بنو قريظة في الأسر وفوض رسول اللهﷺ حكمهم سيد الأوس سعد بن معاذ وقابل الأوس سيدهم سعداً في المسجد النبوي، وأخبروه أن النبيﷺ قد جعل أمر بني قريظة إليه ليحكم فيهم بما يريه الله تعالى، وفي ظنهم أن يرأف في الحكم بحلفائه ويخفف الحكم عنهم، وجيء بسعد ووقف الجميع ينتظرونه ليعلن الحكم النهائي في هؤلاء اليهود، فإذا به يصدر حكما يوازي مقدار الغدر والخيانة ونقض العهود، فحكم سعد بالإعدام على رجالات يهود بني قريظة، وحكم بالأسر والسبي والغنائم على نسائهم وجواريهم وأموالهم، ولما نطق سعد بهذا الحكم علق النبيﷺ عليه تعليقاً تهتز له الجبال الشامخات فقال ﷺ لسعد: " لقد حكمت فيهم يا سعد! بحكم الله من فوق سبع سماوات" (٣).

---

(١) الواقدي، جـ ١ ص ١١١. وانظر أيضا : ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: السقا، القسم الأول، ص ٥٨١ . و ما بعدها. وانظر السهيلي، الروض الأنف، جـ ٥ ص ١٣٨. أنظر خريطة أحد رقم (٩) و (١٠) (١١).

٢) صحيح مسلم ، جـ ٤ ص ٢٢٩٥.

٣) جاء في صحيح البخاري " لقد حكمت فيهم بحكم الملك " أنظر البخاري، جـ ٤ ص ٦٧.

قال ابن إسحاق: " ثم استنزلوا فحبسهم رسول اللهﷺ بالمدين، في دار زينب بنت الحارث النجارية، ثم خرج رسول اللهﷺ إلى موضع خنادق سوق المدينة فخندق فيها، ثم بعث إليهم، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، يخرج بهم إليه أرسالا" (١).

وقد نفذ فيهم حكم الإعدام بعد إدانتهم في أخطر الجرائم التي يمكن أن تمس أمن وسلامة الدولة وهو التخابر مع العدو وقت الحرب والاتفاق معه على فتح ثغرة له لإلحاق الضرر بالمدينة، والتفافهم خلف صفوف المسلمين، ونقض العهد بينهم وبين المسلمين والغدر بهم، والنيل من الرسولﷺ وأهل بيته والتشاور مع الأحزاب في إعلان الحرب على المسلمين (٢).

وعليه فإن ما حل ببني قريظة إنما هو العقاب الرادع واللائق بخونة مجرمين جاوزوا الحد في الطغيان وتآمروا ضد وطنهم ومواطنيهم، ونكثوا العهود والمواثيق التي أبرموها مع الرسولﷺ أكثر من مرة، وقد دلت هذه الأحداث المتلاحقة أن بقاءهم في المدينة يعد مصدر خطر كبير في كيان الدولة الإسلامية فكان لا بد من قتلهم وإبادتهم بعد الانتصار عليهم والظفر بهم، فأصدر سعد رضي الله عنه حكم الله عليهم من فوق سبع سموات، كما جاء في القرآن الكريم.

وفي مسلم . " لقد حكمت فيهم بحكم الله " وقال مرة " لقد حكمت بحكم الملك " صحيح مسلم، جـ ٣ ص ١٣٨٩.

٣) ابن هشام، السيرة النبوية ،تحقيق: السقا، القسم الثاني، ص ٢٠٦. وانظر أيضا: البيهقي، دلائل النبوة، جـ ٤ ص " لقد حكمت فيهم بحكم الله " وقال مرة " لقد حكمت بحكم الملك " صحيح مسلم، جـ ٣ ص ١٣٨٩.

١) ابن هشام، السيرة النبوية ،تحقيق: السقا، القسم الثاني، ص ٢٠٦. وانظر أيضا: البيهقي، دلائل النبوة، جـ ٤ ص ٢٣.

٢) قال ابن إسحاق: وقدم رسول الله ﷺعلي بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة وابتدرها الناس. فسار علي بن أبي طالب، حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال : يا رسول الله، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: لم ؟ أظنك سمعت منهم لي أذى ؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا. فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم. قال: يا إخوان القردة ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولا.أنظر ابن هشام، تحقيق : السقا، القسم الثاني، ص ٢٠٠ وما بعدها.

قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ٥٦ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٥٧﴾ الأنفال ٥٦ –٥٧ (١).

وكتب الله عليهم هذه الملحمة وأنزل عليهم بأسه وعذابه الذي لا يرد عن القوم المجرمين ونُفّذ أمر الله عليهم، واقتصر الحكم على الرجال البالغين فقط، أما النساء والذراري فإنهم سبوا، وقتلت إحدى نسائهم قصاصا، وقد سبق ذكر ذلك.

- **قتل كنانة بن أبي الحقيق بخيبر.**

وفي غزوة خيبر تم الصلح مع اليهود وبعد استسلامهم على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة، وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر، وأرضها بذراريهم ويخلون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من مال وأرض وعلى الصفراء والبيضاء والكراع والحلقة، وأن ذمة الله بريء منهم إن كتموه شيئا فقالوا نعم وصالحوه على ذلك.

غير أن كنانة بن أبي الحقيق عمد إلى كنز آل أبي الحقيق وحليهم فأخفاها ولما سأله الرسول ﷺ عنها جحد كنانة بن الربيع أن يكون يعرف مكانه وكان عنده كنز بني النضير، فأتى رسول الله ﷺ رجل من يهود فقال لرسول الله ﷺ إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله ﷺ لكنانة أرأيت إن وجدناه عندك أأقتلك ؟. قال نعم؛.

١) قال الخازن، نزلت الآية في يهود بني قريظة عاهد يهود بني قريظة الرسول ﷺ أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا العهد وأعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله ﷺ وأصحابه ثم قالوا نسينا وأخطأنا فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد أيضا ومالئوا الكفار على رسول الله ﷺ يوم الخندق. الشيحي، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر،ت ٧٤١هـ، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ، ج ٢ ص ٣٢١.

فأمر رسول اللهﷺ بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله عما بقي فأبى فعذبه الزبير بن العوام حتى أشرف على نفسه بالهلاك ولم يدله على شيء من أمر الغنيمة، ثم دفعه رسول اللهﷺ إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة (١).

- من قتل من الأسرى في فتح مكة.

فتح الله مكة على رسوله فأحلها له ساعة من النهار وظل أهل مكة الذين كفروا بالله وأخرجوا رسوله وحاولوا قتله وآذوه وآذوا أصحابه وحاربوهم ينتظرون في جو من الخوف والقلق ما سيفعل بهم الرسولﷺ بعد كل ما فعلوه، ولكنهﷺ أصدر العفو العام عن أهلها، فقال لهم " اذهبوا فأنتم الطلقاء " غير أنه استثنى من ذلك العفو نفرا معدودين بسبب جرائم سابقة فأمر بقتلهم وإن وجدوا متعلقين بأستار الكعبة.

وذكر البيهقي: عن مصعب بن سعد عن أبيه، قال: لما كان يوم فتح مكة أمن رسول اللهﷺ إلا أربعة نفر وامرأتين، وقال: اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة وهم: عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خطل، ومقيس بن صبابة وعبد الله بن أبي السرح، وقينتي عبد الله بن خطل (٢).

وفي رواية أبي داود أن رسول اللهﷺ قال يوم فتح مكة: " أربعة لا أؤمنهم في حل ولا حرم فسماهم " (٣).

---

١) الواقدي، جـ ٢ ص ٦٧١ وما بعدها. وانظر البيهقي، دلائل النبوة، جماع أبواب غزوة خيبر، باب ما جرى بعد الفتح في الكنز الذي كتموه، جـ ٤ ص ٢٣٢. وانظر أيضا: المقريزي إمتاع الأسماع، جـ ١ ص ٣١٥.

٢) البيهقي، السنن الكبرى، كتاب المرتد، باب من قال في المرتد: يستتاب مكانه، فإن تاب وإلا قتل، ح١٦٨٧٩، جـ ٨ ص ٣٥٦. وانظر أيضا : ابن كثير، السيرة النبوية، جـ ٣ ص ٥٦٥.

٣) سنن أبي داود، كتاب الجهاد ، باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام، ح ٢٦٨٤، جـ ٣ص٥٩.

١- **عبد الله بن خطل.**

فأما ابن خطل التميمي فكان من جرمه أنه أسلم وهاجر مع المسلمين إلى المدينة فبعثه رسول اللهﷺ ساعيا، وبعث معه رجلا من خزاعة، فكان يصنع طعامه ويخدمه، فنزلا في مجمع فأمره أن يصنع له طعاما، ونام نصف النهار، فاستيقظ والخزاعي نائم ولم يصنع له شيئا، فعدا عليه فقتله، ثم ارتد مشركا إلى مكة فأقام على شركه، وكان له قينتان تغنيان وتقولان الشعر في هجاء النبيﷺ (١).

وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾ البلد: ١ – ٢.

قال ابن عباسرضي الله عنه: أحل له يوم دخل مكة أن يقتل من شاء، فقتل ابن خطل ومقيس بن صبابة وغيرهما (٢).

وروى الحاكم في المستدرك عن السائب بن يزيد قال: رأيت رسول اللّهﷺ أخرج عبد اللّه بن خطل من بين أستار الكعبة فقتله صبرا، ثم قال: لا يقتل أحد من قريش بعد هذا صبرا (٣).

وفي يوم الفتح أُخْرجَ عبد الله بن خطل وهو معلق بأستار الكعبة فَضُربت عنقه بين الركن والمقام، ويقال: قتله سعيد بن حريث المخزومي، ويقال: عمار بن ياسر ويقال: شريك بن عبدة العجلاني (٤).

وقيل لما طافﷺ بالكعبة قيل هذا ابن خطل معلقا بأستار الكعبة، فقال: "اقتلوه فإن الكعبة لا تعيذ عاصيا، ولا تمنع من إقامة حد واجب"(٥).

---

١) الواقدي، جـ ٢ ص ٨٥٩ وما بعدها.

٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جـ ٢٠ ص ٦٠.

٣) النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، ذكر يزيد بن عبد الله أبي السائب، ح ٦٦٨٩، جـ ٣ ص ٧٣٩.

٤) الواقدي، المغازي، جـ٢ص٨٥٩. الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله، جـ ١ ص ٥٠٧.

٥) السيرة الحلبية جـ٣ص ١٣١.

وكان لعبد الله بن خطل قينتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ فأمر بقتلهما مع ابن خطل غير أن إحداهما استؤمن لها رسول الله ﷺ فأمنها فعاشت مدة ثم ماتت في حياة النبي ﷺ أمّا الآخرى فقتلت مصلوبة ([1]).

٢- مقيس بن صبابة.

كان من جرمه أن أخاه هشام بن صبابة أسلم وشهد غزوة بني المصطلق مع رسول الله ﷺ وفي أثناء المعركة قتل على يد أحد بني عوف وهو يظن أنه من المشركين خطأ فقدم أخوه مقيس إلى المدينة ودخل على رسول الله مطالبا دية أخيه فقضى له رسول الله بالدية، فأخذها ثم أعلن إسلامه وأقام مع المؤمنين ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم هرب مرتدا كافرا ([2]).

قال البيهقي وابن كثير: وأما مقيس فأدركه الناس في السوق فقتلوه ([3]).

ومن الملاحظ أن ابن خطل ومقيس بن صبابة قد ارتكب كل منهما جريمتين كبيرتين استحقا فيهما القتل.

فأما ابن خطل فجريمته الأولى: أنه قتل نفسا بريئة بغير حق.

والجريمة الثانية: أنه ارتد عن الإسلام وجزاء المرتد هو قتله.

وأما مقيس بن صبابة فجريمته الأولى: أنه قتل بعد أن أخذ الدية، ومقتل أخيه كان خطأً فلا قصاص وأخذ الثأر اعتداء آثم.

والجريمة الثانية: أنه ارتد بعد إسلام أظهره.

وذكر الحافظ ابن حجر أن رسول الله ﷺ أهدر دم نفر سماهم وقد جمعت أسماءهم من مفرقات الأخبار، وذكرهم بأسمائهم وعددهم ثمانية رجال وست نسوة ([4]).

١) ابن سيد الناس،عيون الأثر . جـ ٢ ص ٢٢٥ وما بعدها

٢) الواقدي، جـ ٢ ص ٨٦١.

٣) البيهقي، دلائل النبوة، جـ ٥ ص ٥٩. ابن كثير، السيرة النبوية، جـ ٣ ص ٥٦٥.

٤) وذكر الحافظ ابن حجر منهم هبار بن الأسود، والحويرث بن نقيد، ووحشي بن حرب، وكعب بن زهير ومن النساء هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان، وسارة مولاة بني المطلب وهي التي وجد معها كتاب حاطب وأرنب وأم سعد هما القينتان مولاة بن خطل، ثم قال: نسوة ويحتمل أن تكون أرنب وأم سعد هما القينتان.

وكان ذلك في بداية الفتح ولما استقرت الأمور وهدأ الوضع أصدر عفوه الشامل عنهم، وجل من أهدر رسول اللهﷺ دماءهم كانوا من أكابر مجرمي مكة وسفهائهم الذين آذوه وأصحابه عليه الصلاة والسلام فكان لا بد من إزالة شرهم وعدوانهم، ولكن إرادة المولى سبحانه وتعالى غالبة حيث لم يقتل منهم إلا من ذكرناهم سابقا أما غالبيتهم فقد عفا عنهم.

يقول الزحيلي: "أما قتل الأسرى فيكاد يكون التاريخ الإسلامي خلوا منه ما عدا حالات نادرة فرضتها الضرورة، واقتضتها طبيعة قيام الدولة الإسلامية في فجر عهدها وإبان تركزها ([1])".

كما صح أنه عفا عن بعض الأسرى ومنع من قتلهم لمروءة بعضهم وحسن أخلاقهم مع المسلمين، فنهى عن قتل أبي البحتري لأنه وقف يوما بسلاحه في وجه أهل مكة يقول: " لا يعترض اليوم أحد لمحمد بأذى إلا وضعت فيه السلاح. فشكر ذلك له النبيﷺ. ونهى أيضا: عن قتل الحرب بن عامر بن نوفل وقال: " ائسروه ولا تقتلوه وكان أجبر على الخروج إلى بدر، فلقيه خبيب بن يساف ([2]) فقتله وهو لا يعرفه، فبلغ ذلك النبيﷺفقال: " لو وجدته قبل أن تقتله لتركته لنسائه ". ونهى عن قتل زمعة بن الأسود، فقتله ثابت بن الجذع ولا يعرفه ([3]).

ابن حجر، فتح الباري، جـ ٨ ص ١١. قال الواقدي: كان الحويرث ممن يؤذي النبيﷺ فأهدر دمه فهرب فتلقاه علي فضرب عنقه، أما هبار بن الأسود فكان من جرمه أنه ضرب ظهر زينب بنت رسول اللهﷺ برمح وكانت حبلى فأسقطت، فأهدر النبيﷺ دمه فبينما رسول اللهﷺ في المدينة جالس بين أصحابه، إذ طلع هبار بن الأسود فقال : يا محمد ! سب من سبك، إني قد جئت مقرا بالإسلام، فنطق بالشهادة فقبل منه ﷺ.مغازي الواقدي، جـ ٢ص ٨٥٧.

[1]) الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص ٤٥٧.

٢) خبيب بن يساف بن عنبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم بن الحارث بن الخزرج وأمه سلمى بنت مسعود بن شيبان بن أمية، كان قد تأخر إسلامه حتى خرج رسول اللهﷺ إلى بدر، فلحقه فأسلم في الطريق، وشهد بدرا وأحدا، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول اللهﷺ وتوفي في خلافة عثمان بن عفان، ابن سعد، الطبقات الكبرى جـ ٣ص ٥٣٤وما بعدها.

٣) مغازي الواقدي، جـ ١ص٨٠ . قال ابن سعد: هو ثابت بن ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام بن كعب وأمه أم أناس بنت سعد من بني عذرة، يقال له: ثابت بن الجذع، والجذع ثعلبة بن زيد، وسمي بذلك لشدة قلبه وصرامته، شهد بدرا، وأحدا، والخندق، والحديبية، وخيبر، وفتح مكة، ويوم الطائف وقتل يومئذ شهيدا.الطبقات.جـ ٣ ص ٥٦٩.

٣ – الحويرث بن نقيذ .

وأما الحويرث بن نقيذ من ولد قصي، فإنه كان يؤذي النبيﷺ فأهدر دمه، فبينا هو في منزله يوم الفتح قد أغلق بابه عليه، وأقبل عليرضي الله عنهيسأل عنه، فقيل هو في البادية. فأخبر الحويرث أنه يطلب، وتنحى علي رضي الله عنهعن بابه، فخرج الحويرث يريد أن يهرب من بيت إلى بيت آخر، فتلقاه علي فضرب عنقه ([1]).

وفى شفاء الغزام الحويرث بن نقيد هو الذى نخس بزينب بنت رسول اللهﷺحين أدركها هو وهبار بن الاسود، فسقطت عن دابتها، وألقت جنينها ([2]).

– ما حصل في قتل خالد بن الوليدرضي الله عنه لأسرى جذيمة ([3]) .

أما ما حصل في مقتل أسرى بني جذيمة فإنما كان عن خطأ حيث ظنَّ خالد بن الوليدرضي الله عنه أنهم يهزؤون به وأنكر رسول اللهﷺ ما فعله خالد، وقد تعددت الروايات في هذه القصة وتنوعت فيها الأخبار في كتب السير والمغازي.

وأصح ما ورد فيها ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: " بعث النبيﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، قال: ودفع إلى كل رجل منا أسيرا حتى إذا أصبح يوما أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره.. قال ابن عمر: فقلت والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره.

---

١) مغازي الواقدي، جـ٢ص٨٥٧.

٢) التقي الفاسي، محمد أحمد، ت ٨٣٢هـ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، جـ٢ص١٧٤.

٣) أنظر خريطة سرية بني جذيمة رقم " ٣٤".

قال: فقدمنا على النبيﷺ فذكرنا له ما فعل، فرفع يديه فقال: " اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد مرتين " ([١]).

وبعثﷺ علي بن أبي طالبؓ فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال، ثم سألهم: هل بقي لكم من دم أو مال ؟. فقالوا لا.

فدفع لهم بقية المال احتياطا، ثم رجع إلى رسول اللهﷺ فأخبره بما صنع، فقالﷺ " أصبت وأحسنت " ([٢]).

هذه الرواية هي المعتمدة والمشهورة والتي تروي أن خالداؓ لما دعا بني جذيمة إلى الإسلام لم يحسنوا الإخبار عن إسلامهم ودخولهم في الإسلام وإيمانهم بالله وبرسوله. وفهم عبد الله بن عمر ؓ ومن كان معه من أصحابه أن القوم مسلمون فكفوا أيديهم عنهم وعذروا عنهم بجهلهم وقبلوا حقن دمائهم بقولهم " صبأنا "!.

أما خالد ومن معه فاستبعدوا ألا يحسنوا التعبير عن إسلامهم بعنوانه الذي ارتضاه الله للناس وهو كلمة التوحيد التي تعصم به الدماء، ولكن خالدا لم يكتف بما اكتفى به ابن عمر ولم يرض العدول عن عنوان الإسلام إلى هذه الكلمة، والتي كانت قريش تتخذها سبا وشتما لمن يعتنق الإسلام؛.

أفلا يعذر لخالد إذا لم يرض من القوم التعبير بإسلامهم وإعلانهم بقولهم" صبأنا"!.

وأما براءته ﷺ من صنع خالد فإنما هو بيان وجه الخطأ في التأويل وعدم درء الحدود بالشبهات والإسراع وعدم التريث، ولذلك لم يعاتبه ولم يعزله عن الإمارة وقيادة الجند بل أقره على مكانه وفضله ([٣]).

---

١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب إذا قضى الحاكم بجور، أو خلاف أهل العلم فهو رد، ح ٧١٨٩، جـ ٩ ص٧٣. وانظر أيضا: مسند الإمام أحمد، جـ١٠ ص ٤٤٥.

٢) ابن هشام، السيرة النبوية ، تحقيق: السقا، القسم الثاني، ص ٣٦٣، وما بعدها وانظر أيضا السيرة النبوية لابن كثير، جـ ٣ ص ٥٩٣.

[٣]) صادق عرجون، خالد بن الوليد، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠١/١٩٨١م ص١٠٠، وما بعدها.

المطلب الرابع: الإسترقاق.

أولا: موقف الإسلام من الرق.

جاء الإسلام والرق منتشر لدى الأمم المجاورة بوسائلها السائدة بين الناس على اختلافها ولكن لم يكن بوسعه أن يلغي ولم يكن من الممكن إلغاء الرق نهائياً من طرف واحد، لكن الإسلام منع كل الموارد الظالمة الآثمة التي كانت تمد نظام الرق وتجعل الأحرار عبيداً، وكان من اللازم أن تعامل الشعوب بالمثل في أسرى الحرب فقط، لأن الأسرى من المسلمين عند غير المسلمين كانوا عرضةً للاسترقاق فكان الحل الأوفى أن يفدوهم بنظرائهم، أو بالأموال أو يعاملوهم بالمثل ([1]).

وقد مر بنا ما فعله الهذليون بأسرى الرجيع عندما أسروا خبيبا وصاحبه عبد الله ابن طارق واسترقوهما ثم باعوهما لأهل مكة بعد أن قتلوا أصحابهما، فسجنوهما وعذبوهما وانتهى الأمر بهما إلى القتل صلبا والتمثيل بهما ([2]).

وقد أعطى الإسلام القيادة المسلمة خيارات على المن بإطلاق الأسرى دون مقابل أو الفداء، وقد وردت أية صريحة في ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ﴿٤﴾ ﴾ محمد: ٤.

وسكت عن الاسترقاق، إشعاراً بعدم الرغبة فيه فلم يقل القرآن: وإما استرقاقاً ليدل على أن الاسترقاق غير مرغوب فيه، وإنما قد تدعو الحاجة إليه، بمقتضى المعاملة بالمثل.

---

[1]) الزحيلي، آثار الحرب، ص ٤٢٠

٢) أنظر التفصيل في هذا البحث، ص ٨٤ وما بعدها.

وليدل على أن من صلاحيات القيادة الإسلامية أن تتفق مع محاربيها على أن يكون التعامل فيما بينهم على إيقاف نظام الاسترقاق، والاكتفاء بالمن وهو إطلاق الأسرى دون مقابل " أو بالفداء بالمال " ([1]).

أما الاسترقاق فإنه لم يرد في القرآن كحكم من أحكام الأسرى ولم ترد آية من الكتاب تدعوا إليه أو تبيحه، وليس من المتصور أن يدعوا القرآن إلى استرقاق الأحرار مرة، وهو الذي يدعوا إلى فك الرقاب وتحرير الأرقاء والمساواة البشرية والتحرر وسد مسالك الاسترقاق ووضع من الوصايا ما يسد تلك المسالك ووقف الإسلام مع الرق موقفا حازما في تشريعاته ([2]).

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات : ١٣

وقد بينت الآية المساواة البشرية ودعت إلى الحرية، ووضح أن معيار التمايز بين الناس إنما هو بالتقوى، فلا تفاضل بينكم في النسب ولا الأفخاذ ولا البطون إنما الفخر بالتقوى وكلكم لآدم وحواء ([3]).

وجاء في الحديث القدسي: " ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره " (٤).

---

١) عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، التبشير – الاستِشراق الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه، دمشق، دار القلم، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ، ص ٦٦٩.

٢) عبد اللطيف عامر، أحكام الأسرى والسبايا، ص ١٩٦.

٣) الفلالي، لا رق في القرآن، ص ٤٠

٤) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب إثم من باع حر، جـ ٣ ص ٨٢. وانظر أيضا: مسند الإمام أحمد، جـ ١٤ ص ٣١٨

ويقول النبيﷺ " ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة: وذكر منهم رجل اعتبد محرره (١)".

وقد حرص الإسلام على تضييق روافد الرق بجميع طرقه وجفف ينابيعه بمنع وسائل الاسترقاق المتعددة، وقصرها على وسيلة واحدة، وهي الأسر في الحرب، ودعا إلى المن والفداء فأباح للإمام المن على الأسير أو الفداء، ولم يجعل الاسترقاق أمرا لازما بالضرورة، وكان فعلهﷺ في غزواته دليلا على إيثاره المن والفداء على الاسترقاق ([٢]).

فقد أجازه رسول اللهﷺ لأصحابه من قبيل المعاملة بالمثل، ولم يفعله هو أبداً مع الرجال، وكان رسول اللهﷺ أحرص الناس على فكاك الأسرى وعدم استرقاقهم، ويحرم استرقاق أسرى الأعداءإذا لم يسترقوا أسرى المسمين ([٣]).

ومن الشواهد على ذلك ما يلي.

أنهﷺ يوم بدر لم يسترقّ أحداً من أسرى بدر، بل إنه فرقهم بين أصحابه وأوصى بهم خيرا، وفدى بعضهم ومن على بعضهم فأطلق سراحهم بغير فداء، وقد عاتبه المولى تبارك وتعالى على ذلك ([٤]).

وغزا بني قريظة بعد أن نقضوا العهد وجرُّوا أنفسهم إلى الحكم الذي أودى بحياتهم وعرضوا نساءهم للسبي وأموالهم للضياع، فقتل رجالهم واسترقّ النساء والأطفال لأنّه لا يجوز قتلهم باعتبارهم غير مقاتلين .

١) البيهقي، السنن الكبرى، باب ما جاء فيمن أم قوما وهم له كارهون، ح ٥٣٣٩، جـ ٣ ص ١٢٨.

٢) الفلالي، لا رق في القرآن، ص ٢٠٥.

٣) توفيق علي وهبة، الجهاد في الإسلام، الرياض، دار اللواء، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ١٧٨.

٤) ابن كثير، السيرة النبوية، جـ ٢ ص ٤٧٥.

قال الماوردي: " وفرق سبيهم أثلاثا فبعث ثلثا بيعوا بتهامة، وثلثا بيعوا بنجد وثلثا بيعوا بالشام، وكانت مكة والشام دار شرك، وكذلك أكثر بلاد تهامة ونجد ([1]).

وقد عامل الإسلام الرقيق باللطف والعدالة، وكثيرا ما كان الرسولﷺ يعمل على الإقلال منه، بالعفو عن الأسرى أو قبول فدائهم ([2]).

وفي غزوة بني المصطلق أخذ المسلمون الأسرى والسبايا أرقّاء، بناءً على العرف المعمول به تلك الأيّام، ولما تزوّج رسول اللهﷺ بجويرية بنت سيّد بني المصطلق تسابق الصحابة لإعتاق أسراهم وقالوا: " أصهار رسول اللهﷺ "فأرسلوا ما بأيديهم من الأسرى والسبايا، وكان لهذا الصنيع الإسلامي جميل الأثر وعظيم الوقع في نفوس بني المصطلق جميعاً فسارعوا إلى اعتناق الإسلام وجاهدوا في سبيله وبذلوا المهج والأرواح لنشر الإسلام وأطلق سراح من صالحوا المسلمين من الكفار الأعداء يوم الحديبية لما تم الصلح ولم يسترقهم ([3]).

عن علي بن أبي طالبرضي الله عنه قال: خرج عبدان إلى رسول اللهﷺ يعني يوم الحديبية قبل الصلح، فكتب إليه مواليهم فقالوا: يا محمد والله ما خرجوا إليك رغبة في دينك وإنما خرجوا هربا من الرق، فقال ناس صدقوا يا رسول الله ردهم إليهم.

فغضب رسول اللهﷺ وقال: " ما أراكم تنتهون يا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم من يضرب رقابكم على هذا " وأبى أن يردهم وقال: " هم عتقاء الله عز وجل" ([4]).

---

١) ابن حبيب، علي بن محمد، ت ٤٥٠هـ، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، تحقيق ، الشيخ علي محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية،الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، جـ ١٤ ص ٢٤٧.

٢) عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، القاهرة، دار المعارف،١٩٦١م، ص ٣٠٠.

٣) البيهقي، دلائل النبوة ،باب غزوة بني المصطلق، جـ ٤ص ٥٠.

٤) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في عبيد المشركين يلحقون بالمسلمين فيسلمون ، ح ٢٧٠٠ جـ ٣ص ٦٥ .

وفي يوم فتح مكّة وقف على باب الكعبة وقد طأطأ القوم رؤوسهم وغضوا أصواتهم ينتظرون ماذا سيفعل بهم بعد تكذيبهم وإيذائهم له ولأصحابه، لكنه أطلق الجميع وأرسلهم في رفق وعاطفة وعزة وإباء فقال لهم: " اذهبوا فأنتم الطلقاء" ([1]).

وفي غزوة حنين أمرﷺ بإطلاق سبايا هوازن وردهم إلى أهاليهم وكانوا ستة آلاف من السبي والذراري منهم الشيماء أختهﷺ من الرضاعة، ولما تعرف عليها أكرمها وأعطاها وأحسن إليها فرجعت إلى أهلها مختارة ([2]).

قال ابن عباس رضي الله عنه : أعتق رسول اللهﷺ يوم الطائف من خرج إليه من عبيد المشركين ([3]).

والرسولﷺ كثيرا ما كان أوصى أصحابه بحسن معاملة الرقيق، فأمرهم ألا يكلفوا عبيدهم فوق طاقتهم من الأعمال، وأن يساعدوهم إذا كلفوهم، وأمرهم أن يطعموهم مما يطعمون، ويكسوهم مما يلبسون ([4]) وشجع العبيد على حضورهم مجالس العلم، والتزود من المعرفة، وكان أصحابه ينفذون تعليماته بكل دقة، وقد حرص الإسلام على تحرير الأرقاء وفك الرقاب، فقد جعل عتق العبد أحد أبواب ثمانية، من مصاريف الزكاة فالعبد يساعد من أموالها في سداد أقساطه لسيده ليصير بعد أدائها حراً ([5]).

---

١) ابن حبان، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، جـ ١ ٣٣٧. وانظر أيضا : البيهقي، جـ ٩ ص ١٩٩.

٢) ابن حزم، جوامع السيرة، جـ ١ ص ١٩٥.

٣) مسند الإمام أحمد، جـ ٣ص ٤٢٨.

٤) جاء في حديث المعرور بن سويد رضي الله عنه قال: رأيت أبا ذر الغفاري رضي الله عنه وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألناه عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلا، فشكاني إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي النبي ﷺ"أعيرته بأمه"، ثم قال: "إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم"أنظر صحيح البخاري، كتاب العتق وفضله، باب قول النبي ﷺ "العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون" ح ٢٥٤٥، جـ ٣ ص ١٤٩.

٥) عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، ص ٣٠١

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴿٦٠﴾ ﴾ التوبة: ٦٠

وجعل العتق كفارة الخطأ قال تعالى ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـًٔا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ ﴿٩٢﴾ ﴾ النساء: ٩٢

بل إنه رغَّب في العتق لغير تلك المخالفات، فجعله طريقاً من طرق شكر الله على نعمته فقال تعالى يخاطب الإنسان ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ ﴾ البلد: ١١ - ١٣

وعليه فإن الاسترقاق إنما أبيح في أضيق الحدود، وهي حالة الحرب على أساس مبدأ المعاملة بالمثل، ولا يتنافى مبدأ العدالة أن يعامل المسلم من يعتدي عليه بمثل ما يعامله ذلك المعتدي .قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ ﴿١٩٤﴾ ﴾ البقرة : ١٩٤.

وبسبب تطبيق هذا المبدأ أبيح الرق ولم يثبت أن رسول الله ﷺ أنشأ رقا على حُرٍّ في حياته، بل استرق الصحابة رضي الله عنهم من بعده على أساس أن الأعداء كانوا يسترقون أسرى المسلمين فعاملوهم بالمثل، وكان استرقاق الأسرى هي الحالة الوحيدة التي أخذ فيها المسلمون بمبدأ المعاملة بالمثل، ولكن لم يدخل تحت هذا المبدأ إساءة معاملة الأسير أو إهدار كرامته الإنسانية ([1]).

[1]) محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام، القاهرة، دار الفكر العربي، الطبعة ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م، ص ٣٨ وما بعدها.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمدﷺأما بعد: فأحمد الله تعالى على توفيقه وامتنانه بإتمام هذه الرسالة العلمية بعد جهد كبير وتقديمها بين يدي القارئ والباحث، وأسأل الله أن يكون هذا العمل خالصا لوجه الله وأن يوفق الجميع لخدمة هذا الدين إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وتتناول هذه الرسالة أهم صور معاملة الأسرى في عصر النبوة والرسالة.

وقد توصلت من خلال البحث إلى النتائج التالية:

أ- بيان ماهية الأسر وأن الأسر قد يقع بعد قتال وقد يكون بغير قتال، وهو أقدم من الرق، والأسير هو الأخيذ سواء كان في معركة أو بحيلة، وقد شرع الأسر في الإسلام لكسر شوكة العدو وإبعاده عن ساحة المعركة.

ب- بدأت مسألة الأسرى مع ظهور الحروب والصراعات بين الأمم والشعوب، وكان مصير الأسرى عند الأمم القديمة هو قتلهم في ساحة المعركة أو تقديمهم قربانا لمعبوداتهم وذبحهم، وكان اليونان يأسرون أعداءهم ويعذبونهم بشتى أساليب التعذيب بآلات اخترعوها.

ج- كان ممن سخروا الشعوب المغلوبة واستعبدوا الأسرى واسترقوهم وسخروهم للأعمال الشاقة والمهن الدنيئة هم الرومان.

أما اليهود والنصارى فقد خالفوا ما جاء به الرسل في كتابهم وسعوا إلى تحريف كتبهم وأحلوا ما حرم الله عليهم فحاربوا وقتلوا وسفكوا دماءهم وأسروا بعضهم بعضا فسلط الله العماليق والرومان على اليهود فأخرجوهم في مصر والقدس وساموهم سوء العذاب حيث أجبروهم على قتل نسائهم وأولادهم بأيديهم وأبادوهم من بيت المقدس.

د- اختلف العرب في الجاهلية في معاملاتهم الأسير كان معظم القبائل العربية ترى قتل الأسير مذمة وعيب وكان المن على الأسير عندهم مفخرة تباهى به شعراءهم .
كما تعامل بعض القبائل العربية مع أسراهم بقسوة لا هوادة فيها نتيجة تأثرهم بعادات مجاوريهم كالمناذرة والغساسنة الذين نكلوا بأسراهم نتيجة مجاورتهم الرومان في بلاد الشام والعراق.

وما لقيه المسلمون من الأسر والحبس والتعذيب بعد إسلامهم أثناء محاولتهم للهجرة، وما حدث لأسرى الرجيع وبئر معونة كان من قبيل هذا النوع.

ذ- كانت الهجرة إلى المدينة بداية التحول من فترة الضعف إلى مرحلة القوة وقد بدأ الرسولﷺ يرسل الحملات والسرايا إنذارا لقريش والقبائل الأخرى المعادية عن عقبى طيشها وعادت معظم هذه السرايا بغنائم وأسرى.

ر- جاء القرآن بنظام وأحكام الأسرى، وبمعاملة ليس لها نظير في تاريخ الأمم والشعوب، إذ لم يعرف تاريخ الإنسانية محاربا كان أرفق وأرحم بأسراه من محمدﷺ فقد قال لأصحابه في بدر . " استوصوا بالأسارى خيرا " .

وقد وجد الأسارى في ظل الإسلام كل عناية ورعاية ورفق وإحسان وتقدير تحت هذه القاعدة النبوية.

وكانت غزوة بدر الكبرى منطلق الوضع لأحكام الأسرى بشكل عام. وهي: القتل، أو المن، أو الفداء. وبها نزل القرآن.

وقد ثبت قتل الأسارى والمفاداة بهم والمن عليهم واسترقاقهم في السنة النبوية، بحسب ما تمليه المصلحة العامة للإسلام والمسلمين.

ز- وقد عامل الرسولﷺ الأسرى بالرفق والرحمة وحفظهم في المكان الملائم إلى أن تقرر مصيرهم حسب الخيارات الأربعة ،وكان المن والعفو عن الأسير هو السائد في معاملة الأسرى في صدر الإسلام إذ لا يجوز قتل الأسير إلا لضرورة حربية.

س- كان إكرامهﷺ السيدة جويرية بنت الحارث وإعانته على كتابتها والزواج بها وكذا مَنُّهُ على سبي هوازن بعد القسمة وطلبه من المسلمين أن يطلقوا سراح أسراهم أثرا كبيرا في إسلام تلك القبيلتين .

كما تبين أن أموال العدو كلها ليست مباحة بسبب الحرب، فلا يجوز التخريب والتدمير لممتلكاته لأن التخريب إنما هو إفساد والله لا يحب الفساد، وليس المقصود من الإسلام في الحروب هو السيطرة والحصول على الغنائم.

ص- عامل الرسولﷺ قبائل اليهود القاطنة في المدينة بالعدل وكتب بينهم كتابة تنص على التعايش السلمي واحترام المواطنة وعدم المظاهرة على البعض عير أن طبيعة اليهود الساعية إلى الغدر والخيانة أبت إلا نكث العهود.

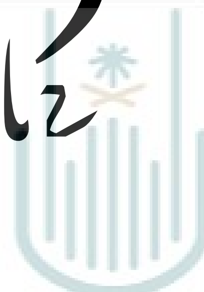
فكانت بني قينقاع أول قبيلة نكثت بالعهد فحاصرهم الرسولﷺ ثم أجلاهم من المدينة بعد تدخل حليفهم المنافق عبد الله بن أبي بن سلول.

أما بني قريظة فقد جاوزوا حدود الإنسانية وخانوا الشعب والوطن وتحالفوا مع العدو في أصعب الظروف وأحرج المواقف وظاهروه ضد وطنهم فكان ما حصل بهم هو العقاب العادل والرادع لمجرمين خونة عاشوا بأمن بلادهم وناصبوا العداء لوطنهم فكان العقاب جزاء وفاقا بل لو وجد ما هو أعظم من القتل لاستحقوا ذلك.

س- وجد الأسارى في ظل الإسلام كامل حقوقهم من عناية ورعاية واحترام فقد حرص الإسلام على الإحسان إليهم فقال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾الإنسان:٨ . وأوصى النبيﷺ لهم بحق الكسوة والحرية الدينية. وقال الرسولﷺ في حق بني قريظة " لاَ تَجْمَعُوا عَلَيْهِمْ حَرَّ الشَّمْسِ وَحَرَّ السّلاَحِ، وَقَيِّلُوهُمْ وَاسْقُوهُمْ حَتَّى يَبْرُدُوا " كما نهى عن تعذيبهم وامتهانهم.

أما استرقاق الأسرى إنما كان مبنيا على أساس المعاملة بالمثل والعرف السائد بين الأمم المتحاربة، وقد حرم الإسلام جميع روافد الرق ما عدا رق الحرب المشروعة.

الفهارس



فهرس الفهارس

أولا : فهرس الآيات القرآنية.

﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾ الأحزاب١٠ .... ٢٢٣

﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ الأنفال ٥٦ –٥٧-............. ٣١٨

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ ﴾ غافر٠٠٥ .... ٧٦

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ المائدة٠٥٢ – ٢١٧

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ البقرة٢١٧-.. ١٧٢

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنفال٠٣٠- ٧٧

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس الأسماء والأعلام.



فهرس الأماكن

فهرس القبائل.

فهرس المصطلحات.

المخلعة: هي آلةُ تعذيب كانت تستخدم غالبًا في القرون الوسطى .... ص ٢٥

المُشهرة: أداة للتشهير تدخل فيها يدا المجرم ورأسه بين لوحين خشبيين .... ص ٢٥

المعنق ليموت: أي المسرع، وإنّما لقِّب بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة .... ص ٩٢

الناصية: مقدم الرأس وشعر مقدم الرأس إذا طال، وكان العرب إذا أنعموا على الرجل جزوا ناصيته وأطلقوه، . ص ٤١

النسع: الشراك الذي يشد به الرحل .... ص ٦١

بددا متفرقين .... ص ٨٧

ستدران: أي ستخرجان من مكانهما .... ص ٣١١

ضجنان: بفتح أوله وسكون ثانيه على وزن فعلان: حرة مستطيلة من الشرق إلى الغرب .... ص ١٧٧

فقه الأولويات: هو وضع كل شيئ في مرتبته بالعدل، من الأحكام والقيم والأعمال، ثم يقدم الأولى فا الأولى بناء على معايير شرعية صحيحة، يهدي إليها نور الوحي، ونور العقل .... ص ١٧٢

فقه الموازنة هو: تقدير المصالح والمفاسد وفقه الموازنات مما تتفاوت فيه الاجتهادات وتتباين فيه التقديرات، . . ص ١٧٢

فقه الواقع: هو علم يبحث في فقه الأحوال المعاصرة، من العوامل المؤثرة في المجتمعات، والقوى المهيمنة على الدول. ص١٧٢

ليستحد بها: ليحلق بها عانته .... ص ٦٨

متوركتك: حاملتك على وركي. والورك: ما فوق الفخذ .... ص ١٥٨

سابعا: المصادر والمراجع.

أولا: المصادر

١- ابن أبي سهل ، محمد بن أحمد ، ت، ٤٨٣هـ ، شرح السير الكبير، الناشر: الشركة الشرقية للإعلانات، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر : ١٩٧١م.

٢- ابن أبي نصر، علي بن هبة الله، ت، ٤٧٣هـ ، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٣- ابن الأثير ، علي بن محمد ، ت ، ٦٣٠ هـ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق : عادل أحمد الرفاعي ، بيروت، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

٤- ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، بيروت ، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٥- الحَميدي، محمد بن فتوح، ت ٤٨٨هـ، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥/١٤١٥.

٦- الأزهري ، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة ، ت ، ٣٧٠هـ ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، بيرت ، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٧- الأصبهاني ، أبو الفرج ، ت ، ٣٥٦هـ ، كتاب الأغاني، تحقيق : علي مهنا ، لبنان ، دار الفكر الطبعة ، الثانية ١٩٩٤م.

٨- الأصبهاني ، أحمد بن عبد الله، ت ، ٤٣٠ هـ ، معرفة الصحابة ، تحقيق : عادل يوسف العزازي ، الرياض ، دار الوطن للنشر ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

٩- انظر الجوزي ، عبد الرحمن بن محمد، ت ، ٥٩٧هـ ، زاد المسير في علم التفسير ، بيروت، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ،١٤٠٤هـ.

١٠- البخاري ، محمد بن إسماعيل، ت ، ٢٥٦هـ ، الجامع المسند الصحيح ، تحقيق : محمد زهير ناصر، دار طوق النجا، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١١- البري ، محمد بن أبي بكر بن عبد الله ، ت ، ٦٣٥هـ ، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة ، تعليق : محمد التونجي ، الرياض، دار الرفاعي للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.

١٢- البصري ، صدر الدين علي بن الحسن ،ت ، ٦٥٩هـ ، الحماسة البصرية ، تحقيق : مختار الدين أحمد، بيروت ، عالم الكتب ، الطبعة ١٤٠٣ / ١٩٨٣م.

١٣- ابن بطال ، علي بن خلف بن عبد الملك، ت، ٤٤٩هـ ، شرح صحيح البخاري ، تحقيق : أبو تميم ياسر إبراهيم الرياض، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

١٤- البغدادي : عبد القادر عمر ، ت ، ١٠٩٣هـ ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب تحقيق : محمد نبيل طريفي أميل بديع اليعقوبي ، بيروت ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

١٥- البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت ، ت ٤٦٣هـ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، تحقيق : محمود الطحان الرياض ، مكتبة المعارف، ١٤٠٣هـ

١٦- البغوي ، الحسين بن مسعود ، ت ، ٥١٠هـ ، معالم التنزيل "تفسير البغوي " تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، بيروت دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١٧- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، ت ، ٨٨٥هـ ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

١٨- البكري، عبد الله بن عبد العزيز ، ت ، ٤٨٧هـ، معجم ما استعجم ، بيروت ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.

١٩- البكري، المسالك والممالك ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة ١٩٩٢م.

٢٠- البكري، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ، تحقيق : عبد العزيز الميمني، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٢١- البلاذري، أحمد بن يحي، ت، ٢٧٩هـ، جمل من أنساب الأشراف ، تحقيق: سهيل زكار، ورياض الزركلي، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٧٤م.

٢٢- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين،ت، ٤٥٨هـ، معرفة السنن والآثار، تحقيق : عبد المعطي قلعجي، الناشرون جامعة الدراسات الإسلامية ، باكستان ، كراتشي، دمشق ، دار ابن قتيبة ، الطبعة الأولي ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

٢٣- البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٤- البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٢٥- البيهقي، سنن البيهقي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٢٦- تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت. بدون تاريخ طباعة.

٢٧- التبريزي ، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ، ت، ٥٠٢هـ ، شرح ديوان الحماسة بيروت دار القلم.

٢٨- الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة ، ت ، ٢٧٩، سنن الترمذي ، تحقيق :بشار عواد معروف، بيروت دار الغرب الإسلامي ، الطبعة ١٩٩٨.

٢٩- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم، ت ، ٧٢٨هـ ، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية المملكة العربية السعودية ، وزارة الشئون الإسلامية والدعوة والأوقاف ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

٣٠- ابن تيمية، مجموع الفتاوى ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم المدينة المنورة ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، عام ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

٣١- الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر، ت ، ٢٥٥ هـ ، البيان والتبيين ، تحقيق، المحامي فوزي عطوي ، دار صعب، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

٣٢- الجصاص ، أحمد علي أبو بكر الرازي ، ت ، ٣٧٠هـ ، أحكام القرآن ، تحقيق : محمد صادق قمحاوي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة ، ١٤٠٥هـ .

٣٣- ابن قيم ، محمد بن أبي بكر ، ت ٧٥١هـ ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، الطبعة : السابعة والعشرون ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

٣٤- ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج ، ت ، ٥٩٧هـ ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ،تحقيق: عبد القادر عطا، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٣٥- ابن الجوزي ، الموضوعات ، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان المدينة المنورة ، المكتبة السلفية ، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.

٣٦- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي ، الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٣٧- الجوهري، إسماعيل بن حماد، ت، ٣٩٣هـ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٣٨- ابن حبان ، محمد أحمد ، ت ، ٣٥٤هـ ، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، صحّحه ، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، بيروت، دار الكتب الثقافية، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ.

٣٩- ابن حبان، الثقات ، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية ، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير ، دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

٤٠- ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد، ت ، ٤٥٦هـ ، جمهرة أنساب العرب ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٤١- ابن حزم ، جوامع السيرة ، تحقيق : إحسان عباس ، مصر دار المعارف ، الطبعة ١٩٠٠م.

٤٢- الحلبي، علي بن إبراهيم، ت، ١٠٤٤هـ ، السيرة الحلبية" إنسان العيون في سيرة المأمون،" السير الحلبية " بيروت ، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ.

٤٣- الحليبي، الحسن بن عمر بن حبيب ، ت ، ٧٧٩هـ ، المقتفى من سيرة المصطفى تحقيق : مصطفى محمد الذهبي، القاهرة، دار الحديث ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

٤٤- ابن حمدون محمد بن حسن بن محمد بن علي، ت ، ٥٦٢هـ ، التذكرة الحمدونية ، تحقيق : إحسان عباس بكر عباس ، بيروت، دار صاري، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

٤٥- الحميري ، محمد بن عمر مبارك، ت ،٩٣٠هـ ، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار، تحقيق ، محمد حسان نصوح عزقول، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٤٦- ابن حنبل ،مسند الإمام أحمد، ت ٢٤١هـ ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ /٢٠٠١م.

٤٧- ابن حنبل ، فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله محمد عباس، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٤٨- الحوت ، محمد بن درويش بن محمد، ت ، ١٢٧٧ هـ ، أسنى المطالب في أحاديث مختلف المراتب، بيروت دار الكتب العلمية، الطبعة ١٤١٨هـ /١٩٩٧م.

٤٩- الخازن ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي ،ت، ٧٤١هـ ، لباب التأويل في معاني التنزيل ، تحقيق : محمد علي شاهين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٥٠- الخرساني ، سعيد بن منصور ، ت ، ٢٢٧هـ ، سنن سعيد بن منصور ، تحقيق : حبيب الله الأعظمي ، الهند ، الدار السلفية الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م.

٥١- الخشني، الإملاء المختصر في شرح غريب السير، أبي بكر بن مسعود ت٦٠٤هـ " أبو ذر" ، تحقيق: بولس برونله، دار الكتب العلمية، بيروت بدون تاريخ طباعة

٥٢- ابن خلدون ، عبد الرحمن، بن محمد، ت ، ٨٠٨هـ مقدمة ابن خلدون ، تحقيق : محمد الأسكندراني ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، الطبعة ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م .

٥٣- ابن خياط ، خليفة ، ت ٢٤٠هـ ، طبقات خليفة بن خياط ، تحقيق : سهيل زكار، دمشق دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، سنة النشر ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.

٥٤- الدار قطني ، علي محمد أبو الحسن ، ت ٣٨٥هـ ، سنن الدار قطني ، تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني ، بيروت دار المعرفة ، الطبعة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.

٥٥- الدينوري ، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد ، ت ، ٣٣٣هـ ، المجالسة وجواهر العلم ، دار ابن حزم – لبنان ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م .

٥٦- الدينوري ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، ت ، ٢٧٦هـ ، الشعر والشعراء ، القاهرة ، دار الحديث ، الطبعة ١٤٢٣هـ.

٥٧- الدينوري، المعارف ، تحقيق: ثروة عكاشة ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ١٩٩٢م.

٥٨- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، ت ، ٧٣٨هـ ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٥٩- الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، ت ، ٦٦٦هـ ة، مختار الصحاح ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.

٦٠- الرازي ، محمد بن عمر بن الحسين ، ت ، ٦٠٦هـ ، مفاتيح الغيب " التفسير الكبير " بيروت ، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ .

٦١- ابن ربيعة، محمد بن عبد الله ، ت ، ٣٧٩هـ ، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ، تحقيق عبد الله أحمد سليمان الحمد الرياض ، دار العاصمة، الطبعة ١٤١٠هـ.

٦٢- ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي، ت ، ٧٩٥هـ ، فتح الباري، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الطبعة الثانية، السعودية / الدمام ، دار ابن الجوزي ١٤٢٢هـ.

٦٣- الروياني، محمد بن هارون ، ت ، ٣٠٧هـ ، مسند الروياني، تحقيق: أيمن أبو يماني، القاهرة، مؤسسة قرطبة، حالطبعة الأولى ١٤١٦هـ ،.

٦٤- الزركلي، خير الدين بن محمود ، ت ، ١٣٩٦هـ ، الأعلام ، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢ م.

٦٥- ابن زنجويه، حميد بن مخلد، ت ٢٦١هـ، الأموال.

٦٦- السجستاني ، أبي داود سليمان بن الأشعث ، ت ، ٢٧٥هـ ، سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الجيد، بيروت ، دار المكتبة العصرية.

٦٧- السخاوي ، محمد بن أبي بكر ، ت، ٩٠٢هـ ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، بيروت ، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٦٨- ابن سعد، محمد،ت، ٢٣٠هـ ، الطبقات الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا بيروت ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٦٩- ابن سلام ، أبو عبيد القاسم ، ت، ٢٢٤هـ ، الأموال ، تحقيق : خليل محمد هراس ، بيروت ، دار الفكر ، الطبعة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٧٠- السمعاني عبد الكريم بن محمد، ت ، ٥٦٢هـ ، الأنساب، تحقيق : عبد الرحمن بن يحي المعلمي وغيره ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م.

٧١- السهمودي ، علي عبد الله بن أحمد ، ت ، ٩١١هـ ، وفاء الوفاء بأخبار المصطفى، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، ١٤٩١هـ.

٧٢- السهيلي ، عبد الرحمن بن عبد الله ، ت ، ٥٨١هـ الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام ، تحقيق : عمر عبد السلام السلامي ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م بيروت ، دار إحياء التراث العربي.

٧٣- ابن سيد الناس ، محمد بن محمد، ت ، ٧٣٤هـ ، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، تعليق : إبراهيم محمد رمضان ، بيروت ، دار القلم ، الطبعة ١٤١٤هـ م ١٩٩٣م .

٧٤- السيوطي ، عبد الرحمن بن الكمال ، ت ، ٩١١هـ ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت ، دار الفكر ، الطبعة ،١٩٩٣.

٧٥- الشافعي، محمد بن إدريس، ت ٢٠٤هـ، كتاب الأم، بيروت، دار المعرفة، الطبعة بدون طبعة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م

٧٦- الشامي ، محمد بن يوسف الصالحي ، ت، ٩٤٢هـ ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود . علي محمد معوض ، بيروت دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٧٧- الشيرازي ، إبراهيم بن علي بن يوسف، ت ، ٤٧٦هـ ، المهذب في فقه الإمام الشافعي ، بيروت ، دار الفكر.

٧٨- الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، دلائل النبوة، تحقيق، محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٧٩- الصنعاني ، عبد الرزاق بن همام، ت ، ٢١١هـ ، المصنف ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت ، المكتبة الإسلامي، الطبعة ١٣٠٣هـ .

٨٠- الطبراني ، سليمان بن أحمد ، ت ،٣٦٠ هـ ، المعجم الأوسط ، تحقيق : طارق بن عوض بن محمد ، و، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، القاهرة ، دار الحرمين ، الطبعة ١٤١٥هـ

٨١- الطبراني ، الروض الداني " المعجم الصغير " تحقيق : محمد شكور محمود الحاج أمرير ، دار عمار بيروت ، عمان ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٨٢- الطبراني ، المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، القاهرة، مكتبة ابن تيمية ، الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.

٨٣- الطبراني، مسند الشاميين، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى، ١٤٠٥/ ١٩٨٤م.

٨٤- الطبري ، محمد بن جرير ، ت ، ٣١٠هـ ، تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، تحقيق : محمود محمد شاكر ، القاهرة ، مطبعة المدني.

٨٥- الطبري ، تفسير الطبري / جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة : الأولى ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.

٨٦- الطحاوي ، أحمد بن محمد بن سلامة ، ت ، ٣٢١هـ شرح مشكل الآثار ، تحقيق ، شعيب الأرناوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ/١٤٩٤م.

٨٧- الطهطاوي ، رفاعة بن رافع، ت، ١٢٩٠هـ نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، القاهرة دار الذخائر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٨٨- ابن عبد البر يوسف بن عبد الله ، ت ، ٤٦٣هـ ، الدرر في اختصار المغازي والسير ، تحقيق : شوقي ضيف ، القاهرة ، وزارة الأوقاف المصرية ، الطبعة : الأولى ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

٨٩- ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٩٠- عبد الغني ، عمر بن رضا بن محمد راغب ، ت ، ١٤٠٨هـ ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، بيروت مؤسسة الرسالة ، الطبعة : السابعة ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ .

٩١- عبد بن محمد، أبوبكر ، ت ، ٢٣٥ ، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار " مصنف أبي شيبة " تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٩٢- ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد ، ت، ٣٢٨هـ ، العقد الفريد ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٩٣- ابن عبيد، محمد بن سلاَّم ، ت، ٢٣٢هـ ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق : محمود شاكر ، جدة ، دار المدني.

٩٤- ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله ، ت ، ٥٧١هـ ، تاريخ دمشق ، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي دمشق ، دار الفكر ، الطبعة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٩٥- العسقلاني، أحمد بن علي، ت ٨٥٢هـ ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود. وعلي محمد عوض ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٩٦- العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت ، دار المعرفة ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٩٧- العصامي، عبد الملك بن حسين ، ت ، ١١١١هـ ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، تحقيق : عادل عبد الموجود – علي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية ، الطبعة ٢٤١٩هـ / ١٨٨٩م.

٩٨- العقيلي ، محمد بن عمر بن موسى، ت ، ٣٢٢هـ ، ضعفاء العقيلي، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي ، بيروت، دار المكتبة العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

٩٩- علي بن محمد بن حبيب، ت ، ٤٥٠ هـ ، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي ، تحقيق : علي محمد معوض ، وعادل أحمد عبد الموجود ، بيروت، دار الكتب العلمية ، الطبعة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

١٠٠- العليمي ، محمد بن عبد الرحمن الحنبلي، ت ، ٩٢٨هـ ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، تحقيق : عدنان يونس عبد المجيد نباتة ، عمان ، مكتبة دنديس .

١٠١- ابن عمرو ، محمد بن حبيب ، ت، ٢٤٥هـ ، المنمق في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، بيروت عالم الكتب، الطبعة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م

١٠٢- عياض ، أبو الفضل عياض بن موسى، ت ، ٥٤٤هـ ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، دمشق ، دار الفكر.

١٠٣- العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، ت، ٨٥٥ هـ ، عمدة القاري ، شرح صحيح البخاري ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ طباعة.

١٠٤- ابن فارس ، أبو الحسين أحمد ، ت ، ٣٩٥هـ ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دمشق دار الفكر الطبعة ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م.

١٠٥- الفراء، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ، ت ، ٤٥٨هـ الأحكام السلطانية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، بيروت ، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

١٠٦- الفسوي ، يعقوب بن سفيان، ت، ٢٧٧هـ ، المعرفة والتاريخ ، تحقيق : خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٠٧- الفيومي، أحمد بن محمد علي المقري، ت، ٧٧٠هـ ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، بيروت المكتبة العلمية. بدون تاريخ طباعة.

١٠٨- القرشي، محمد أبي الخطاب، ت،١٧٠هـ ، جمهرة أشعار العرب، تحقيق : علي محمد البيجادي نهضة مصر للإنتاج والتوزيع.

١٠٩- القرشي، عبد الله بن وهب ، ت، ١٩٧هـ ، الجامع في الحديث ، تحقيق مصطفى حسن حسين أبو الخير، السعودية ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

١١٠- القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري ، ت ، ٦٧١هـ ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، القاهرة ، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤ م.

١١١- القزويني، محمد بن يزيد أبو عبد الله، ت، ٢٧٥هـ ، سنن ابن ماجة، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت دار الفكر.

١١٢- القزويني، أحمد بن فارس بن زكرياء، ٣٩٥هـ، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية،١٤٠٦هـ ،١٩٨٦م

١١٣- القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر، ت ، ٩٢٣هـ، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، القاهرة ، المكتبة التوفيقية. بدون تاريخ طباعة.

١١٤- القطيعي، عبد المؤمن عبد الحق، ت، ٧٣٩هـ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، بيروت ، دار الجيل، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ.

١١٥- القلقشـندي، أحمـد بـن علـي، ت ، ٨٢١هـ ، نهايـة الأرب في معرفـة أنسـاب العـرب ، تحقيـق : إبراهيم الأبيار بيروت، دار الكتاب اللبنانيين ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠ هـ /١٩٨٠ م

١١٦- القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشاء ، تحقيق: عبد القادر زكار، دمشق، وزارة الثقافة، الطبعة ١٩٨١م.

١١٧- القنوجي، صديق بن حسن، ت ، ١٣٠٧هـ ، أبجد العلوم الوشي المرموق في بيان أحوال العلوم، تحقيق : عبد الجبار زكار، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة ١٩٧٨م.

١١٨- ابن القيسراني، ت ، ٥٠٧هـ ، محمد بن طاهر المقدسي ، معرفة التذكرة في الأحاديث الموضوعة ، تحقيـق : عمـاد الـدين أحمـد حيـدر ، بـيروت ، مؤسسـة الكتـب الثقافيـة، الطبعـة: الأولى، ١٤٠٦ هـ /١٩٨٥م.

١١٩- ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، ت ، ٧٧٤هـ ، السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، بيروت ، دار المعرفة، عام النشر ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٦ .

١٢٠- ابن كثير ، جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سَنَن تحقيق : عبد الملك بن عبد الله الدهيش ، بيروت، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة : الثانية ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

١٢١- ابن كثير ، البداية والنهاية ، ت ، ٧٧٤هـ ، بيروت ، مكتبة المعارف.

١٢٢- الكلاعي ، سليمان بن موسى، ت ، ٦٣٤هـ ، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله تحقيق : محمد كمال الدين عز الدين علي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ بيروت ، دار الكتب العلمية.

١٢٣- الكوفي عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، ت ، ٢٣٥هـ ، مصنف بن أبي شيبة ، تحقيق : كمال يوسف الحوث ، الرياض مكتبة الرشد ، الطبعة ١٤٠٩هـ.

١٢٤- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب ، ت ، ٤٥٠هـ ، النكت والعيون ، تفسير الماوردي ، تحقيق : ابن المقصود عبد الرحيم ، بيروت ، دار الكتب العلمية.

١٢٥- الماوردي ، الأحكام السلطانية، بيروت ، دار الكتب العلمية الطبعة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

١٢٦- المبرد، محمد بن يزيد، ت، ٢٨٥هـ، الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار الفكر ، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٧م.

١٢٧- محمد بن يوسف ، أبو حيان، ت، ١٧٤٥هـ، البحر المحيط في التفسير ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، بيروت ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

١٢٨- محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، التاج والإكليل لمختصر الخليل، أبو عبد الله المواق المالكي، ت ، ٨٩٧هـ دار الكتب العلمية الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٤ .

١٢٩- المرزباني ، محمد بن عمران ، ت ، ٣٨٤هـ ، معجم الشعراء ، تصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، بيروت مكتبة القدسي، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م.

١٣٠- المسعودي، علي بن الحسين، ت ٣٤٦هـ، مرج الذهب، بدون تاريخ طباعة.

١٣١- المكي، مجاهد بن جبر، ت ١٠٤هـ ، تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، مصر ، دار الفكر الإسلامي الحديثة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ /١٩٨٩م

١٣٢- ابن الملقن ، عمر بن علي بن أحمد الأنصاري، ت ، ٨٠٤هـ ، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير ، الرياض، دار الهجرة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٣٣- ابن منظور ، محمد بن مكرم ، ت ، ٧١١هـ ، مختصر تاريخ دمشق ، تحقيق : روحية النحاس وغيره ، دمشق ، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٤م.

١٣٤- ابن منظور، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ.

١٣٥- الهمذاني، عبد الجبار،ت، ٤١٥هـ، تثبيت دلائل النبوة، القاهرة، دار المصطفى بدون تاريخ طباعة.

١٣٦- ابن هشام، عبد الملك الحميري، ت ، ٢١٨هـ السيرة النبوية ، تحقيق: مصطفى السقا، بيروت ، دار المعرفة الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

ثانيا: المراجع

٥٧- آبترى، مدخل إلى تاريخ الرومان وأدبهم وآثارهم ، ترجمة : يوئيل يوسف عزيز ، الطبعة ، ١٩٧٧م.

٥٨- إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي، دار الساقي، مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثامنة ١٩٧٤م.

٥٩- إبراهيم شقرة ، محمد، السيرة النبوية في الآيات القرآنية ، الرياض ، مكتبة المعارف ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

٦٠- إبراهيم قريبي ، مرويات غزوة بني المصطلق ، المدينة المنورة ، الجامعة الإسلامية ، عمادة البحث العلمي.

٦١- إبراهيم قريبي، مرويات غزوة حنين، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة، الأولى، ١٤١٢هـ

٦٢- إبراهيم هاشم الفلالى، لا رق في القرآن ، القاهرة ، دار القلم ، شارع سوق التوفيقية.

٦٣- أبو فيصل البدراني، معالم الطريق إلى الله.

٦٤- أبي زهرة ، محمد بن أحمد، ت، ١٣٩٤هـ ، زهرة التفاسير ، دار الفكر العربي.

٦٥- أبي الحسن علي الندوي، ت ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، تحقيق : مصطفى أبو سليمان الندوي ، مكة المكرمة، مكتبة الباز الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

٦٦- أحمد أمين- زكي نجيب، قصة الفلسفة اليونانية، القاهرة، مطبعة دار الكتاب المصرية ،١٩٣٥م

٦٧- أحمد مختار البرزة ، الأسر والسجن في الشعر العربي ، بيروت ، مؤسسة علوم القرآن الطبعة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٦٨- أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العبيكان، الطبعة السابعة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م

٦٩- إنجونغو، امبكي ، صمب ، أروع القيم الحضارية في سيرة خير البرية، تحقيق علمي حول الشبهات المثارة حول زواج النبي الكريم وجهاده وشمائله ، دكار، السنغال ، مطبعة دار يمبل الطبعة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

٧٠- إيليا الجاوي ، شرح ديوان الفرزدق، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

٧١- بريك بن محمد بريك ، أبو مايلة العمري، غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م

٧٢- بطرس البستاني ، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، دار الكشوف ، ودار الثقافة ، لبنان ، الطبعة العاشرة ١٩٩٨م.

٧٣- توفيق برو ، تاريخ العرب القديم، دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١.

٧٤- توفيق علي وهبة، الجهاد في الإسلام، الرياض، دار اللواء، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م

٧٥- الجريوي ، محمد بن عبد الله، السجن وموجباته في الشريعة الإسلامية ، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ/١٩٩٧م

١٣٧- جواد علي، ت ، ١٤٠٨هـ ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٧٦- خير الله طلفاح، الجهاد والاستشهاد في الإسلام، بغداد، دار الحرية،١٩٨٢.

٧٧- رأفت الباشا ، صور من حياة الصحابة ، دار النفائس ، الطبعة الأولى ١٣١٢هـ /١٩٩٢م

٧٨- سامي المغلوث ، الأطلس التاريخي ، لسيرة الرسولﷺ ، الرياض ، مكتبة العبيكان ، الطبعة الثالثة،١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٧٩- سهيل حسين الفتلاوي، نظام أسرى الحرب في القانون الدولي ، بغداد، أعظمية ، دار القادسية للطباعة ، ١٩٨٢م.

٨٠- السيد الجميلي، غزوات النبي ﷺ ، بيروت، دار ومكتبة الهلال ، الطبعة ١٤١٦هـ.

٨١- الشامي، صالح أحمد، من معين السيرة ، المكتب الإسلامي ، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١.

٨٢- شوقي أبو خليل، أطلس السيرة النبوية ، دمشق، دار الفكر ، الطبعة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

٨٣- صادق إبراهيم عرجون ، خالد بن الوليد، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية، ١٤٠١/١٩٨١ م.

٨٤- صبحي الصالح ، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، بيروت ، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية ١٩٩٢ م.

٨٥- صبحي محمصاني، القانون والعلاقات الدولية في الإسلام ، بيروت ، دار الملايين، ١٩٧٢م.

٨٦- عاتق بن غيث بن زوير البلاذي الحربي، ت ، ٢٠١٠م ، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، مكة دار مكة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

٨٧- عامر ، عبد اللطيف، أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية ، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٨٨- عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، القاهرة، دار المعارف،١٩٦١م.

١٣٨- عبد الرحمن حسن حَبَنَّكَة الميداني، ت، ١٤٢٥ هـ ، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، التبشير – الاستِشراق الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه، دمشق، دار القلم، الطبعة الثامنة،١٤٢٠هـ /٢٠٠٠ م.

١٣٩- عبد الرحمن رأفت الباشا، صور من حياة الصحابة،بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩/٢٠٠٨م

٨٩- عبد العزيز الثعالبي ، معجزة محمد رسول الله ، تحقيق : حماد الساحلي ، تقديم ومراجعة : محمد اليعلاوي دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

٩٠- عبد الله بن خميس ، المجاز بين اليمامة والحجاز. موسوعة تهامة ١٤٠٢هـ.

٩١- عبد الله بن خميس ، المجاز بين اليمامة والحجاز. موسوعة تهامة الطبعة ١٤٠٢هـ.

٩٢- عبد الله سيف قائد الأزدي، معاملة الأسير في ضوء الكتاب والسنة ، رسالة ماجستير جامعة أم القرى، ١٤٠٢- ١٤٠٣هـ.

٩٣- علي محمد الصلابي ، السيرة النبوية ، بيروت ، دار المعرفة ، الطبعة السابعة ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٩٤- عماد الدين خليل ، دراسة في السيرة ، مؤسسة الرسالة ، دار النفائس ، الطبعة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

٩٥- محمود سعيد عمران ، تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة ، دار المعرفة الجامعية، الطبعة ١٩٩٧م.

٩٦- الفريد بتلر ، فتح العرب لمصر، تعريب ، محمد فريد أبو حديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة ١٩٨٩م.

٩٧- محمد ابن سويلم، ت، ١٤٠٣هـ ، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، دمشق، دار القلم، الطبعة الثامنة، ١٤٢٧هـ.

٩٨- محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، الطبعة ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م.

٩٩- محمد أحمد باشميل، غزوة بني قريظة، دمشق، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

١٠٠- محمد السيد الوكيل ، تأملات في سيرة الرسول ﷺ، جدة ، دار المجتمع، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

١٠١- محمد الغزالي ، ت ، ١٤١٦هـ ، فقه السيرة ، خرج أحاديثه : محمد ناصر الألباني ، بيروت ، دار القلم ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦م.

١٠٢- محمد بن أحمد بن مصطفى ، ت ، ١٣٩٤ هـ ، خاتم النبيينﷺ ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٤٢٥هـ.

١٠٣- محمد بيوم مهران ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٣م.

١٠٤- محمد بيومي مهران ، تاريخ العرب القديم ، القاهرة ، دار المعرفة الجامعية ، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ.

١٠٥- محمد حسن شراب ، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ، بيروت ، دار القلم ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

١٠٦- محمد علي جعفر ، تاريخ القانون والفقه الإسلامي ، المؤسسة الجامعية للدرا سات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.

١٠٧- محمد متولى الشعراوي ، ت ١٤١٨هـ ، تفسير الشعراوي ، راجعه، أحمد عمر هاشم ، نائب رئيس جامعة الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، إدارة الكتب والمكتبات، أخبار اليوم قطاع، الثقافة.

١٤٠- محمود شيت خطاب ،ت، ١٤١٩هـ ، الرسول القائد، بيروت، دار الفكر، الطبعة السادسة ١٤٢٢هـ.

١٠٨- مصطفى مراد الدباغ ، بلادنا فلسطين ، مطبوعات رابطة الجامعيين بمحافظة الخليل دار الطليعة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٤م.

١٠٩- مُصطفى البُغا الشربجي ، ومصطفى الخن ، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله ، دمشق دار القلم للطباعة، الطبعة الرابعة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

١١٠- المعجم الوسيط ، تحقيق مجمع اللغة العربية ، الإسكندرية. (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) دار الدعوة.

١١١- مهدي رزق الله ، السيرة النبوية ، الرياض، دار إمام الدعوة ، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.

١١٢- الموسوعة العربية العالمية ، دائرة المعارف العالمية "World Book International" السعودية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

١١٣- الموسوعة الفقهية الكويتية ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت ، دار السلاسل الطبعة الثانية ، ١٤٢٧هـ.

١١٤- المولى بك ، محمد أحمد وآخرون ، أيام العرب في الجاهلية ، مطبعة عيسى البابي وشركائهم بمصر ، دار إحياء الكتب العربية. بدون تاريخ طباعة.

١١٥- هروود ، بيرنهاردت ج . التعذيب عبر العصور ، ترجمة : ممدوح عدوان ، اللاذقية ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

١١٦- وهبة مصطفى الزحيلي ، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، دمشق، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

١١٧- ناصر العمر، فقه الواقع

١١٨- يوسف الفار، عبد الواحد محمد، أسرى الحرب ، القاهرة ، عالم الكتب ، الطبعة ١٩٧٥م.

١١٩- يوسف القرضاوري، في فقه الأولويات، دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، القاهرة، مكتبة وهبة، شارع الجمهورية، عابدين، الطبعة الثانية ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

الـدوريـات.

١- جمعة الخولي، معاملة الرسول لبني قريظة والرد على ما يثار حولها من شبهات ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد ٥٧.

٢- الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مجلة البحوث الإسلامية، العدد الثاني والثلاثون - الإصدار: من ذو القعدة إلى صفر سنة ١٤١١هـ / ١٤١٢هـ،

٣- عبد القادر عبار، المسلمون وضرورة الوعي التاريخي، مجلة الأمة، العدد ٤٢، جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ

٤- مجلة البيان ، المنتدى الإسلامي، العدد ٢٢ سنة من ١٤٠٦هـ إلى ١٤٢٨ هـ

٥- محمد جب بيومي، افتراء حول سعد بن معاذ، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مجلة البحوث الإسلامية، الإصدار الثالث، سنة ١٣٩٧هـ.

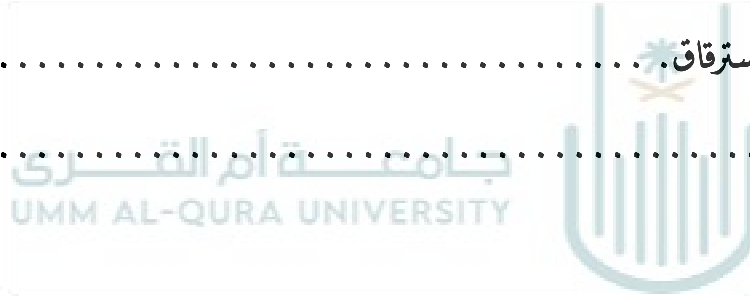
٦- محمد بن شاكر الشريف"مجلة البيان " العدد ٢٣٨ " جـ ٢٤٣ص ٤،عنوان المقالة: أهل الذمة والولايات السياسية.

فهرس لمحتويات " الموضوعات"

الفصل الأول: الأسرى المسلمون في عصر النبوة.

الفصل الثاني: الأسرى المشركون.

الفصل الرابع: معاملة الأسرى وحقوقهم في عصر النبوة.



سـابعا: الملاحق.

أطلال عكاظ" أشهر أسواق الجزيرة العربية رقم "٣ "

أشهر أسواق الجزيرة العربية في العهد الجاهلي

صورة لأطلال سوق عكاظ التاريخي الأدبي والذي كان عبارة عن منتدى فكري يتزاحم فيه الشعراء والخطباء والأدباء من أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية .

أطلال سوق عكاظ

كان للعرب في الجاهلية مجموعة أسواق محلية وعامة . فالأسواق المحلية : كسوق بدر والطائف ونحو ذلك . أما الأسواق العامة : فهي تربو على مايزيد من عشرين سوقاً . يُعقد معظمها في الأشهر الحرم ، التي يأمن الناس فيها على انفسهم وأموالهم ، فيجتمعون في هذه الأسواق لتبادل البضائع المتنوعة بينهم والتي تُجلب عادة من داخل وخارج جزيرة العرب ، مما يدعو إلى تشوق التجار والعامة لمعرفة كل ما هو جديد من سلع ومؤن . بيد أن أشهر الأسواق ، سوق المجنّة وسوق دومة الجندل في شمال الجزيرة العربية ، وسوق ذي المجاز ثم سوق هجر على ساحل خليج البحرين (العربي) إلا أن أشهر وأهم هذه الأسواق على الإطلاق سوق عكاظ بالطائف الذائع الصيت لقربه من مكة المكرمة ولحسن تنظيمه حيث تقوم كل قبيلة باختيار مكاناً لها من الأماكن لتمارس عليه ما تريد ، وكان يشرف على السوق رئيس من بني تيم من قريش للفصل بين الخصومات التي عادة ما تحدث نتيجة للتفاخر والتباهي بين القبائل ولاسيما في مجالي الشعر والخطابة .



صورتان لأطلال سـوق عـكـاظ بالطـائف

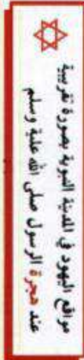
سامي المغلوث الأطلس التاريخي لسيرة الرسولﷺ الرياض مكتبة العبيكان، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م ص٢٨

مكة المكرمة في زمن الرسولﷺ خريطة رقم (٤)



أنظر الخرائط في كتاب أطلس السيرة النبوية، شوقي أبو خليل ، دمشق دار الفكر الطبعة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م

مواقع اليهود في المدينة رقم " ٨ " " أ "



مواقع اليهود في المدينة المنورة

مواقع اليهود في المدينة رقم "٩ "ب "

الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ

مواقع اليهود
في الحجاز بصورة تقريبية عند هجرة الرسول
صلى الله عليه وسلم

تجمعات يهودية كبيرة	تجمعات يهودية صغيرة
بنو النضير	بنو عكرمة
بنو قينقاع	بنو ثعلبة
بنو قريظة	بنو محمر
يهود خيبر	بنو زعورا
يهود تيماء	بنو عوف
يهود فدك	بنو بهدل
يهود وادي القرى	بنو القصيص

إلى الشام
تبوك
تيماء
وادي
القرى
مدائن صالح
العلا
المدرّج
أملج
خيبر
أرض
الحجاز
حليفة
عقلة الصقور
بريدة
عنيزة
الرس
نقرة
الحناكية
جبل رضوى
سويق
ينبع
المدينة النبوية
الحمراء
بدر حنين
أم البرك
مستورة
رابغ
مهد الذهب
قضيمة
خليص
ذهبان
عسفان
السيل الكبير
جدة
مكة المكرمة
الحوية
الطائف
الليث
الدحو
بحر
القلزم (الأحمر)
الشمال
الشرق
الغرب
الجنوب
مقياس الرسم
صفر ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ كم

قال تعالى

(لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا)
المائدة٨٢

بعض الصفات التي اتصف بها اليهود وورد ذكرها في القرآن الكريم

قال تعالى (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) آل عمران ٧٨
قال تعالى (أوكلما عاهدوا عهداً نبذه فريقاً منهم) البقرة ١٠٠
قال تعالى (ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) البقرة٧٤
قال تعالى (ويقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم) الفتح ١١
قال تعالى (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً) المائدة٦٤
قال تعالى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) المائدة ٢٤
قال تعالى (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) البقرة ٩٦
قال تعالى (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله) البقرة ٧٩
قال تعالى (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) آل عمران ١٨٠



مواقع اليهود في المدينة جـ " رقم " ١٠"



سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة سنة ٢هـ. " أ " رقم "١٠ " .

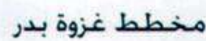


سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة سنة " ب "١١"

غزوة بدر الكبرى سنة ٢هـ . " أ " رقم (١٢) .

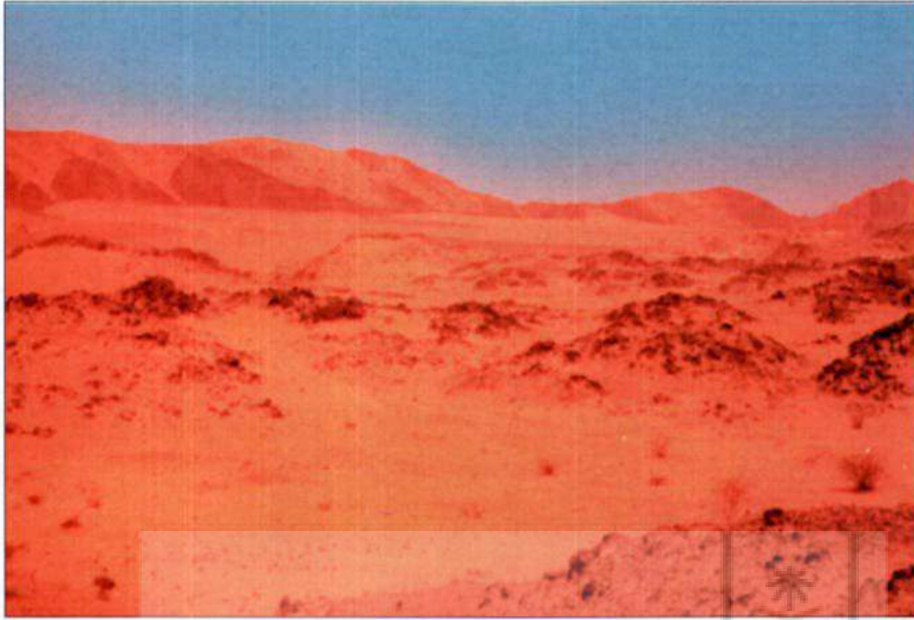
غــزوة
بــدر الكبــرى
١٧ رمضان ٢ هـ

غزوة بدر الكبرى سنة ٢هـ رقم ١٣" ب "

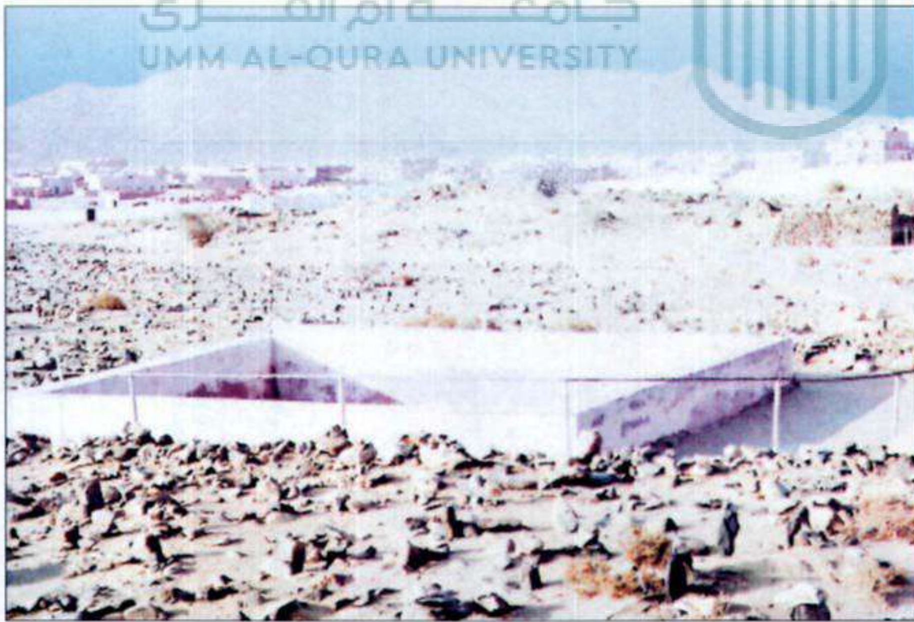


مخطط غزوة بدر

إحدى العدوات في بدر "جـ رقم"(١٤) .

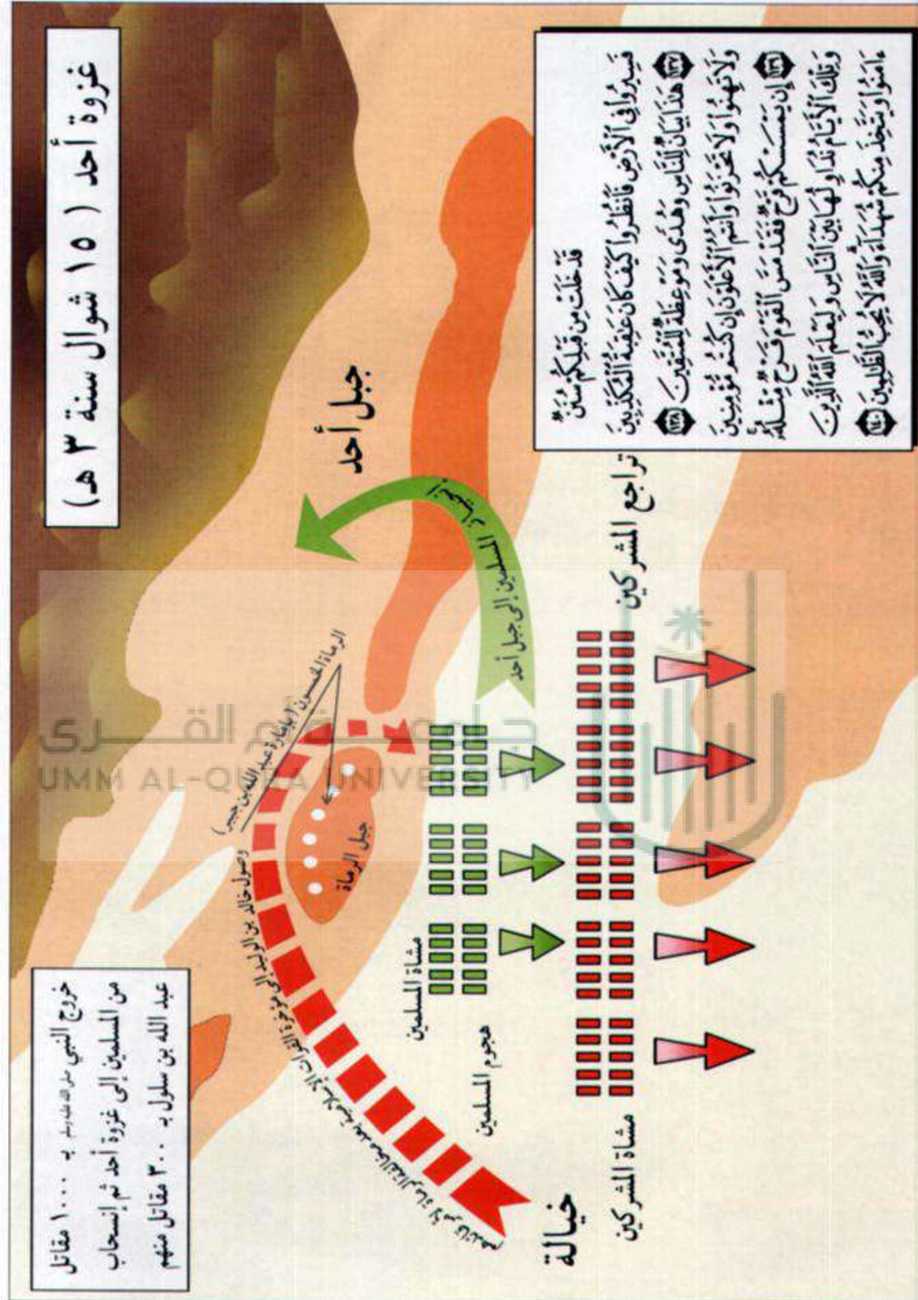


أحد العدوات في بدر



ساحة شهداء بدر

غزوة أحد . رقم – أ– (١٥)

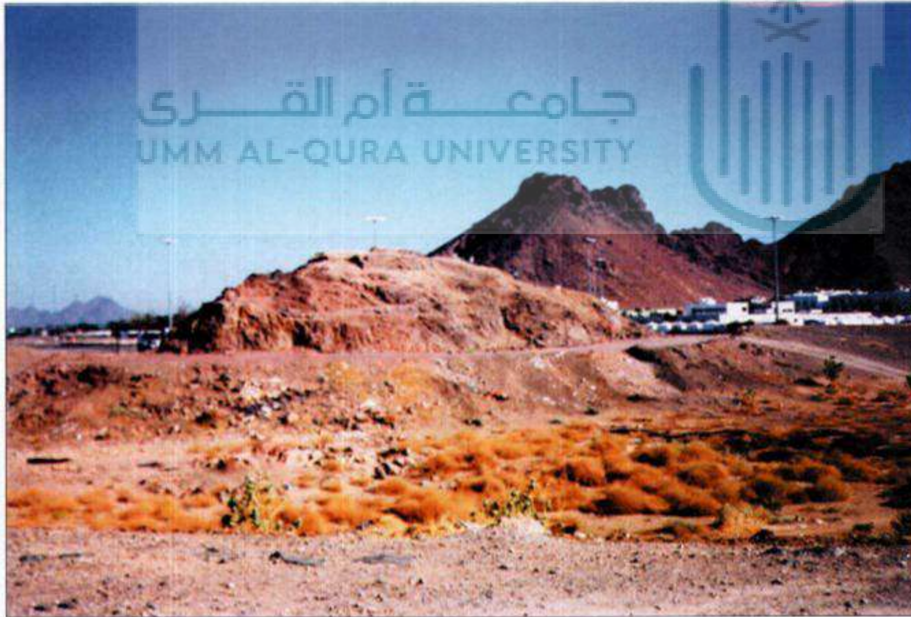


غزوة أحد ساحة القتال "ب "١٦"

الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ

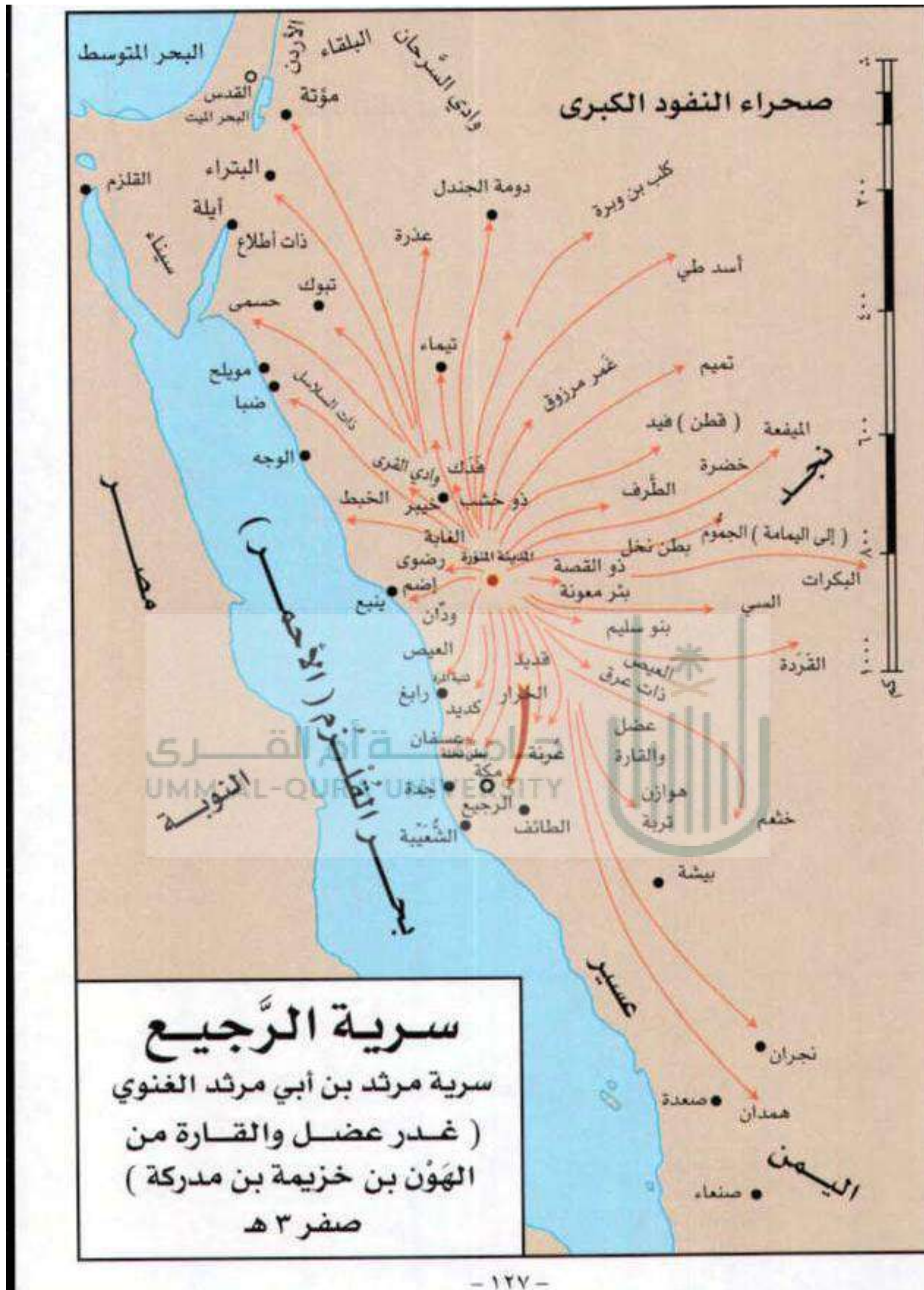


ساحة القتال في معركة أحد - تصوير المؤلف .



جبل أحد وأسفل منه جبل الرماة (عينين) - تصوير المؤلف .

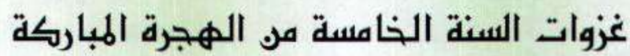
سرية الرجيع. رقم (١٧).



سرية بئر معونة. رقم (١٨) .



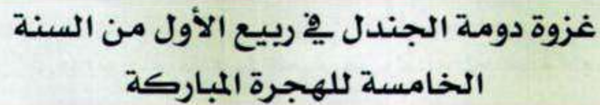
سرية دومة الجندل. " أ " رقم (١٩).



سرية دومة الجندل " ب " رقم "٢٠"

الإمبراطورية البيزنطية
البحر الكبير (المتوسط)
فلسطين
دومة الجندل
قضاعة
سيناء
أرض
تبوك
تيماء
جذام
الحجر
عذرة
الوجه
خيبر
طيء
أسد
شبه الجزيرة العربية
غطفان
المدينة النبوية
نجد
ينبع
بدر
خزاعة
الحجاز
بنوسليم
رابغ
هذيل
لحيان
أرض السودان
جدة
مكة المكرمة
قريش
هوازن
الطائف
ثقيف
النوبة

دومة الجندل : تقع ضمن نطاق منطقة الجوف في شمال المملكة العربية السعودية ، وبها مسجد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه والمسافة بينها وبين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم حوالي تسعمائة كيلو متر تقريبا .
والمسافة إليها في الماضي تستغرق من أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع على ظهور الإبل .


غزوة دومة الجندل في ربيع الأول من السنة الخامسة للهجرة المباركة



الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ
١٧٣

غزوة بني المصطلق سنة ٥هـ . "أ" رقم (٢١) .

غزوة بني المُصْطَلِق
(المُرَيْسِيع)
شعبان ٥ هـ

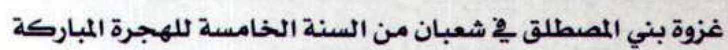
غزوة بني المصطلق سنة ٥هـ "ب" "٢٢"

المريسيع ماء لبني خزاعة يقع في وادي قديد.

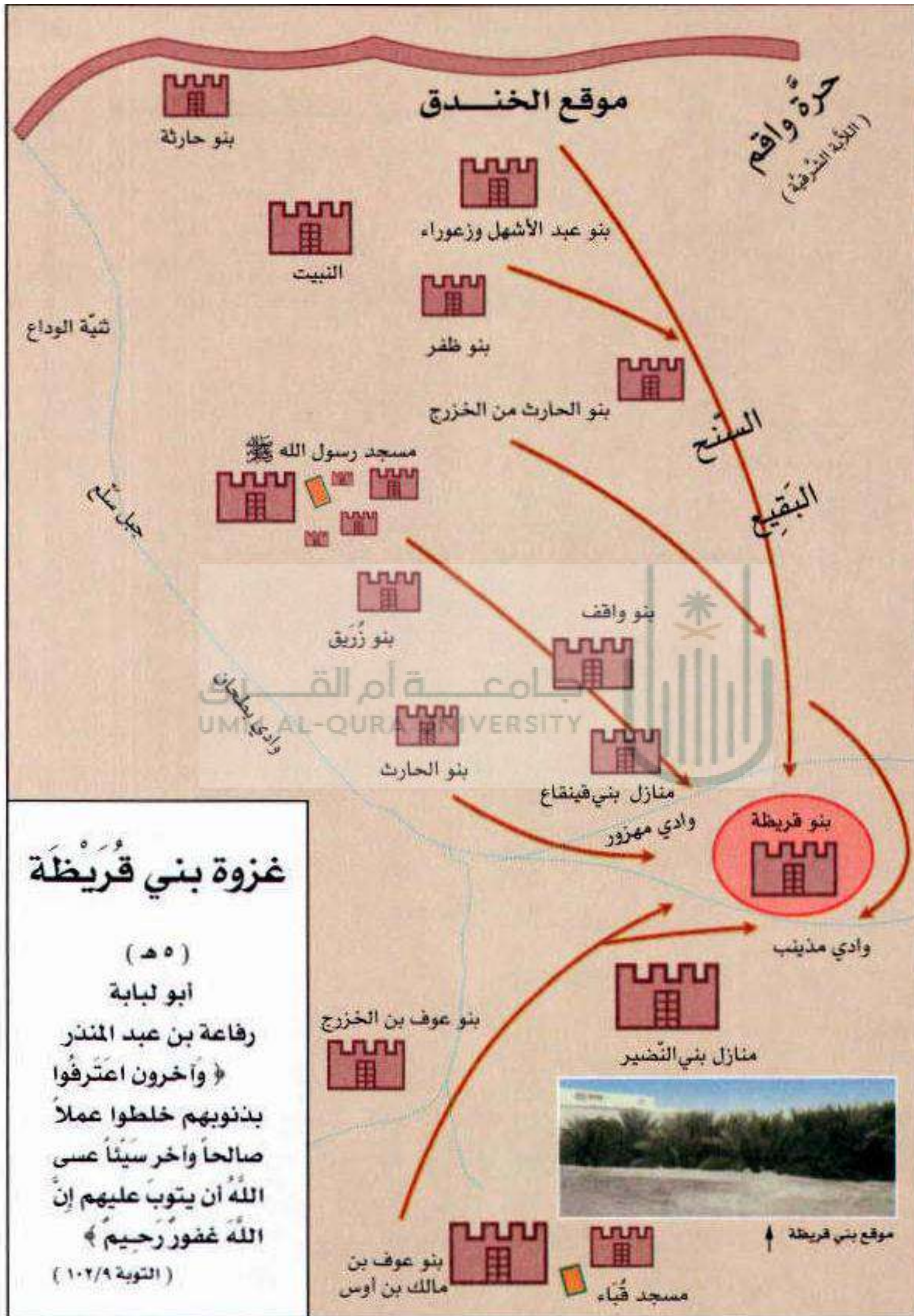
المسافة بين المدينة النبوية ووادي قديد حوالي ٢٩٧كم تقريباً.

المسافة بين مكة المكرمة ووادي قديد حوالي ١٢٠كم تقريباً.

وقعت خلال هذه الغزوة حادثة الأفك ضد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فبرأها الله تعالى من ذلك .


غزوة بني المصطلق في شعبان من السنة الخامسة للهجرة المباركة

غزوة بني قريظة. (٢٣) .

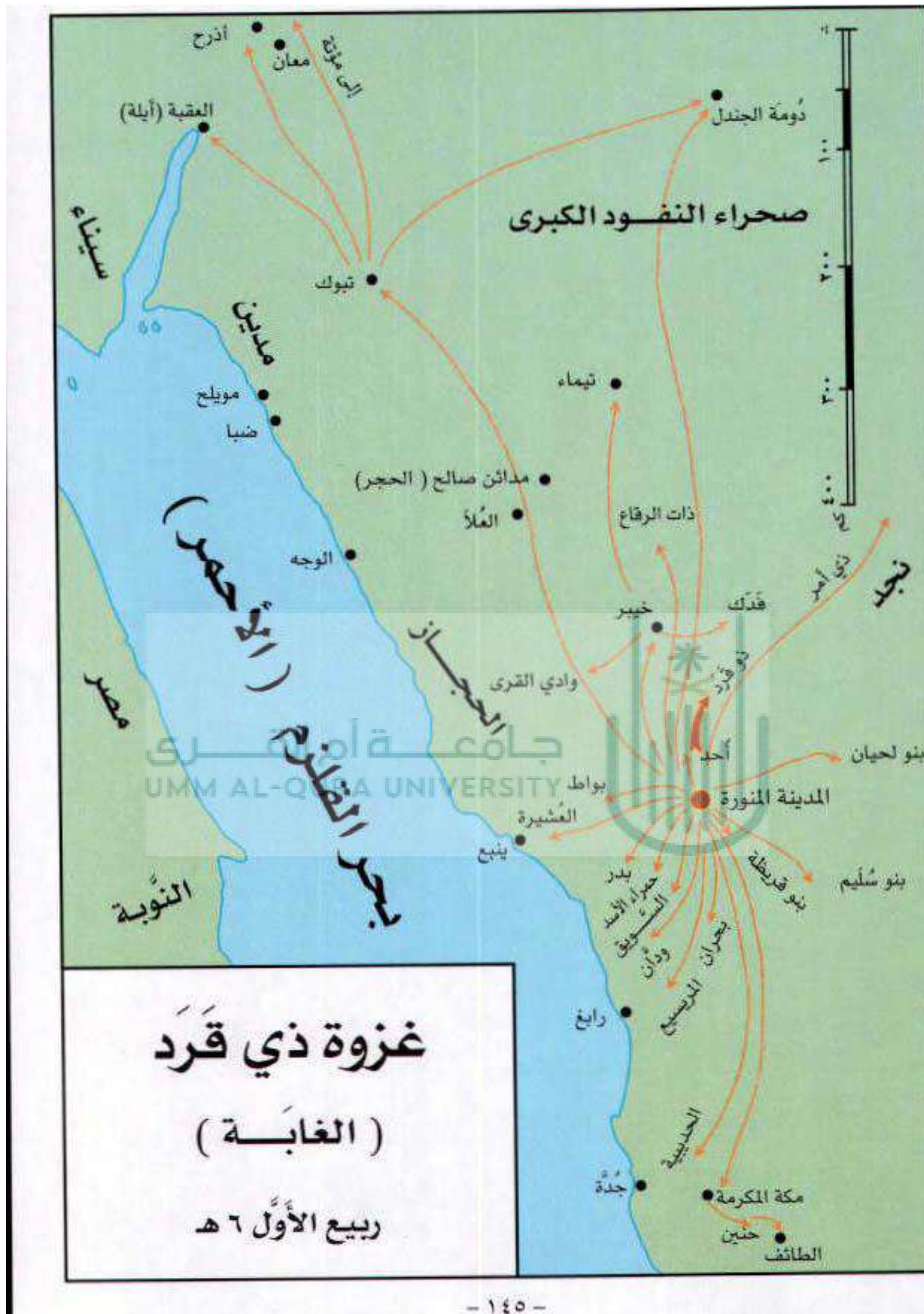


سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء . رقم (٢٤) .

سـرية
محمد بن مسلمة الأنصاري
(القُرَطـاء)
بطن من بطون بكر بن كلاب
البكرات بناحية ضريّة - نجد
١٠ المحرَّم ٦ هـ

-١٣٩-

غزوة الغابة (القردة)سنة ٦هـ. رقم (٢٥) .



سرية أبي عبيدة إلى ذي القصة سنة ٦. رقم (٢٦).

سريـة
أبي عبيدة بن الجرّاح
إلى ذي القَصَّة
ربيع الآخر ٦ هـ

سرية زيد بن حارثة إلى كل من الجموم، والعيص، والطرف،وحسمى. رقم (٢٧).

سرية زيد بن حارثة :

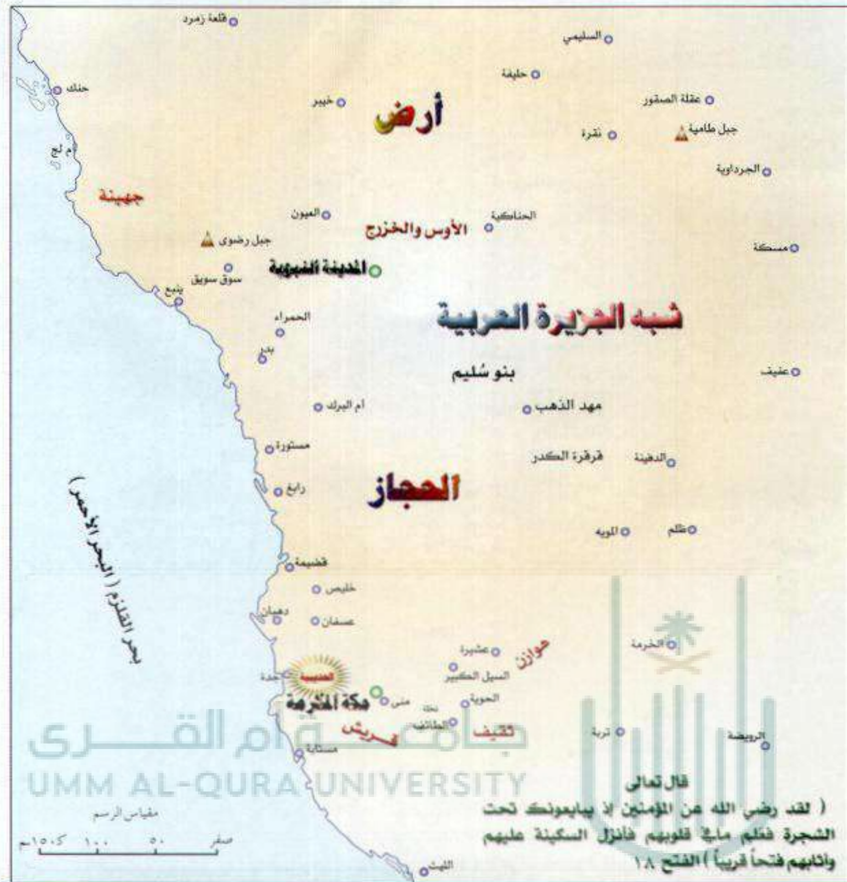
- إلى بني سليم بالجَمُوم ، ربيع الأول ٦ هـ
- إلى العيص ، جمادى الأولى ٦ هـ
- إلى الطرف ، جمادى الآخرة ٦ هـ
- إلى حِسْمَى ، جمادى الآخرة ٦ هـ

سرية كرز بن جابر إلى العرنيين سنة ٦. رقم (٢٨).

غزوة الحديبية سنة ٦هـ " أ ". رقم (٢٨).



غزوة الحديبية سنة ٦هـ " ب " رقم "٢٩"



غزوة الحديبية في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة المباركة



مبنى قديم بجوار مسجد الحديبية بين جدة ومكة . تصوير المؤلف .



مسجد الحديبية في الخلف من البناء القديم . تصوير المؤلف .

خريطة غزوة خيبر ومعالمها سنة ٧هـ. رقم (٣٠).

الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ

تل الشقّ

تل النطاة

تل الكتيبة

الصخرة الرجيع

أُبير

البريء

القموص

حصن أبي الحقيق، أعظم حصون خيبر

حصن القموص

الخرصة

مسار المسلمين

المنزلة

مسجد الصخرة

حصن مرحب اليهودي

أرض زراعية

حصن النزار

حصن سلالم

حصن ناعم

أول حصون خيبر فتحاً

أرض زراعية

وفيها صحائف من التوراة

قلعة الزبير

حصن الوطيح

حصن

الصعب بن معاذ

عين الحمة

الدومة

طريق دخول المسلمين خيبر

من آثار خيبر

شمال

شرق

غرب

حرة

الرجيع

دار بني قمة

حصون خيبر التي فتحها المسلمون

حصن مرحب اليهودي

جبل أشمذ

الغابة

فتح خيبر

محرم سنة ٧هـ

ثنية الوداع

مقياس الرسم

١ : ٧٥,٠٠٠٠

المدينة النبوية



معالم خيبر "جـ رقم " ٣١"

الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ



خيبر

تقع خيبر شمال المدينة المنورة على بعد ١٧١ كم على الطريق إلى تبوك، وتميزت بزراعة نخيل التمر، هاجر إليها اليهود وتحصنوا فيها، وكانت عند بعثة الرسول ﷺ من أهم مراكز اليهود في الحجاز، فتحها المسلمون في العام السابع للهجرة، وطلب اليهود من الرسول ﷺ البقاء فيها على أن يعطوا المسلمين نصف إنتاجهم، أجلاهم منها عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عهد خلافته .

وهناك مراكز حضارية أخرى مثل: تبوك وهي أقصى أثر رسول الله ﷺ حين غزا الروم في آخر غزواته سنة ٩ هـ، ووادي القرى شمال المدينة النبوية وكان يسكنها يهود، وتيماء والتي اشتهرت بحصن الأبلق وسكانها من اليهود أيضاً وقد صالحوا الرسول صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر سنة ٧ هـ .

وقد كانت الشعيبة هي الميناء الرئيس لمكة في العصر الجاهلي، كما أن (جدة) عرفت في أواخر عصر الرسول ﷺ كميناء صغير [١] .

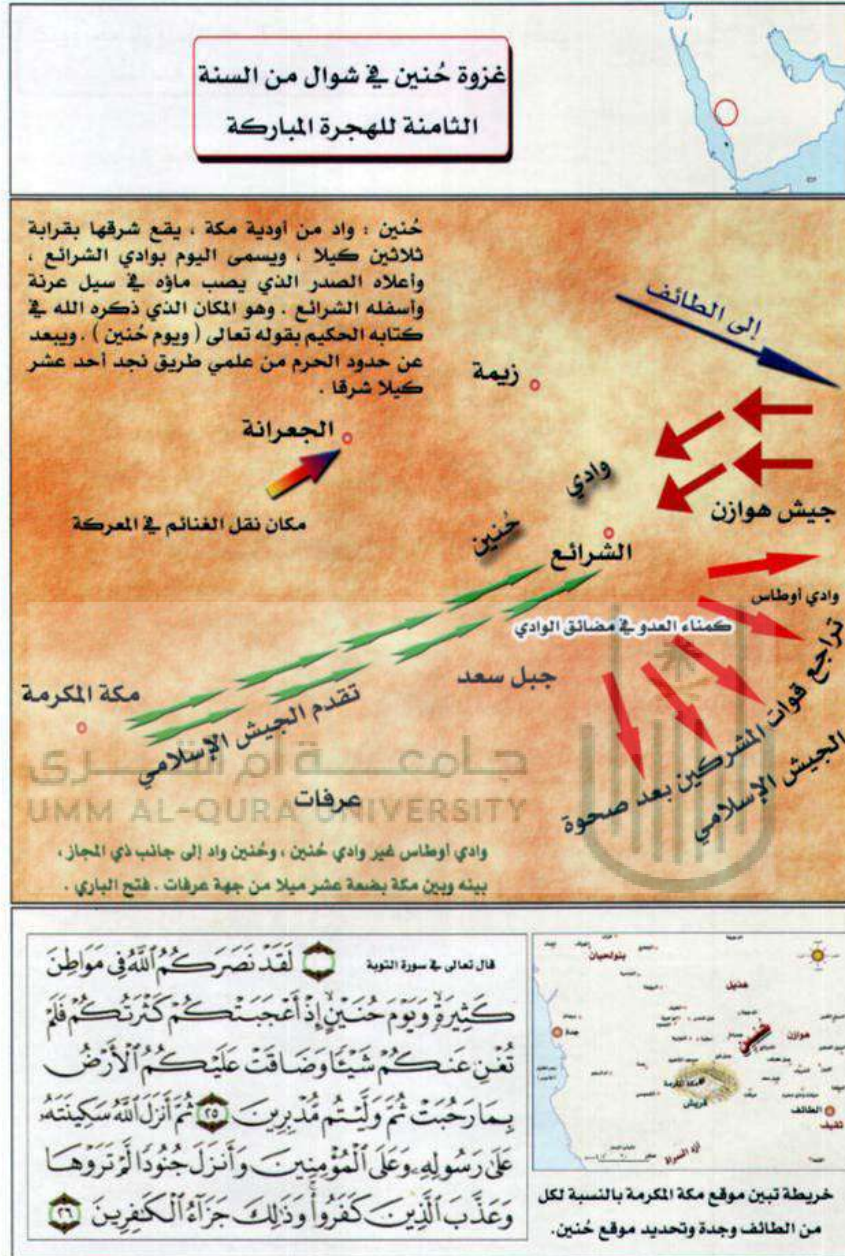
(١) عبدالعزيز العمري، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، ص ٣٤ .

فتح مكة سنة ٨ رقم "٣٢ "

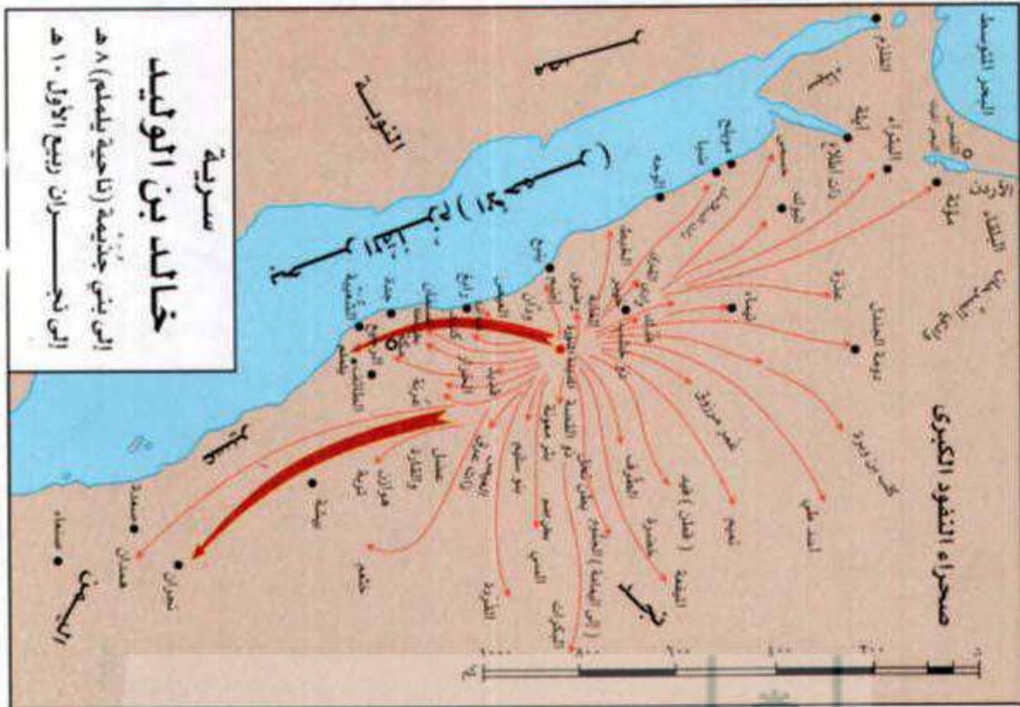


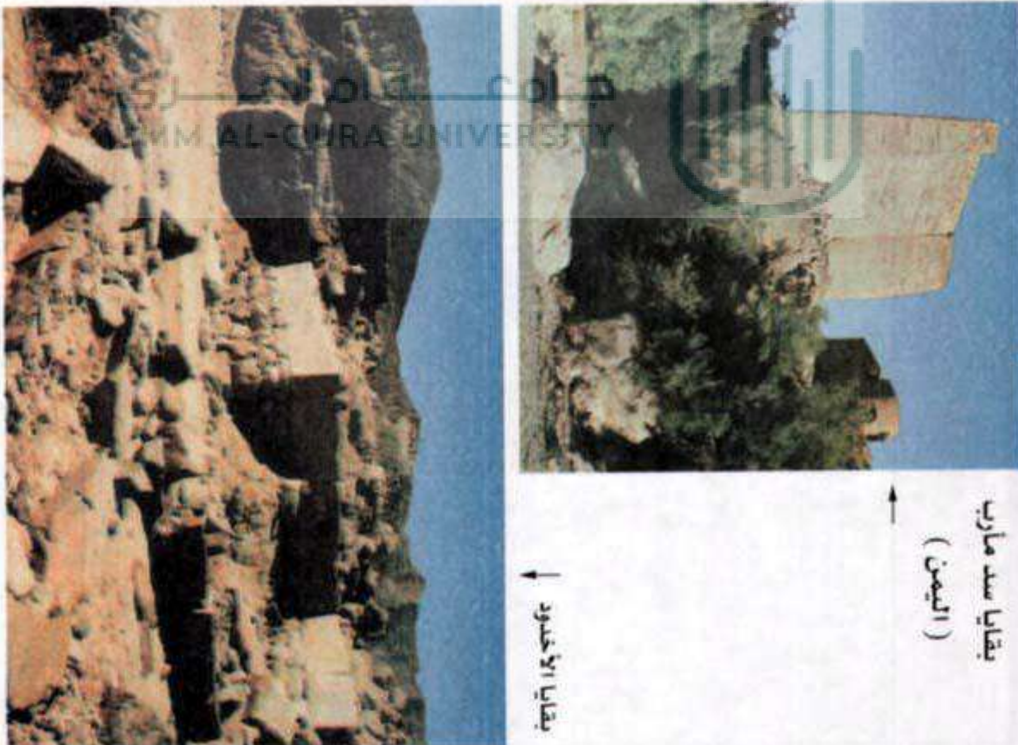
فتح مكة

غزة حنين سنة ٩. رقم "٣٣"

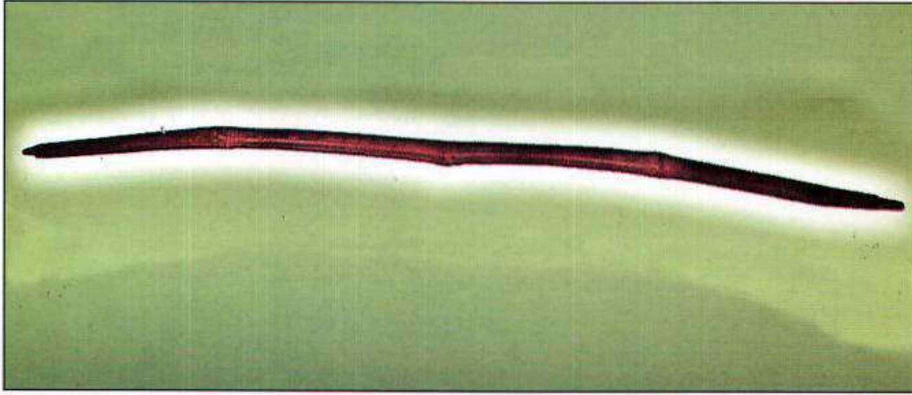


سرية خالد بن الوليد إلى جذيمة رقم "٣٤"



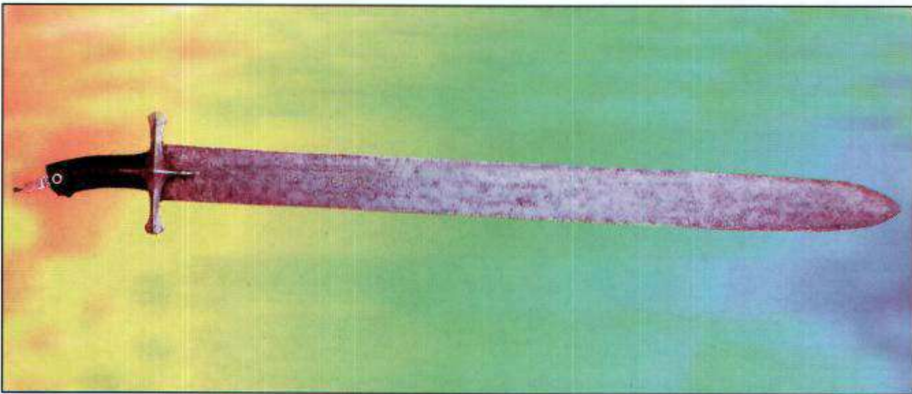


سيف الرسولﷺ وقوسه رقم" ٣٥"

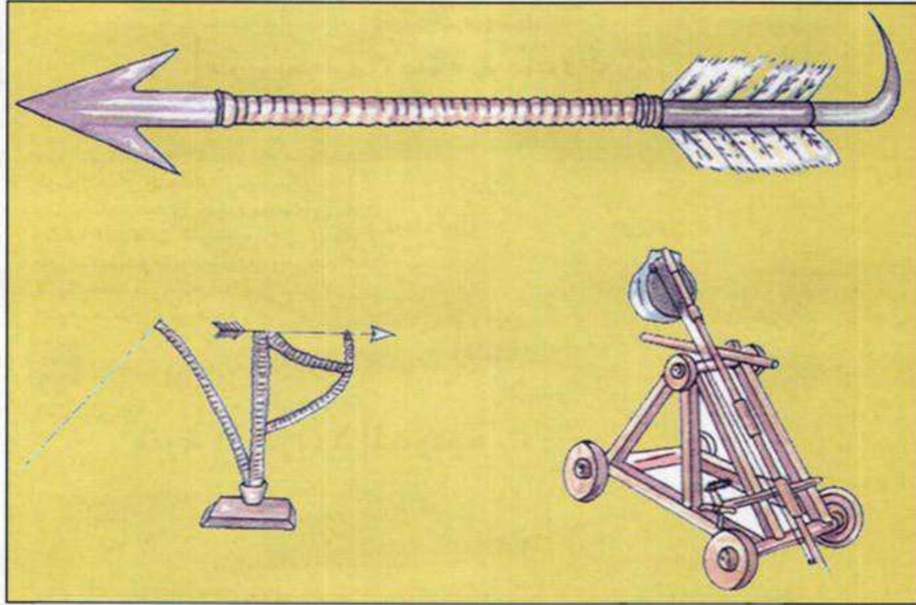

الصفراء قوس رسول الله ﷺ - المصدر الدار العربية للنشر والتوزيع.



المأثور سيف رسول الله ﷺ - المصدر الدار العربية للنشر والتوزيع.


البتار سيف رسول الله ﷺ - المصدر الدار العربية للنشر والتوزيع.

آلات حربية استخدمها المسلمون. رقم "٣٦ "



آلات حربية استخدمها المسلمون في صدر الإسلام.



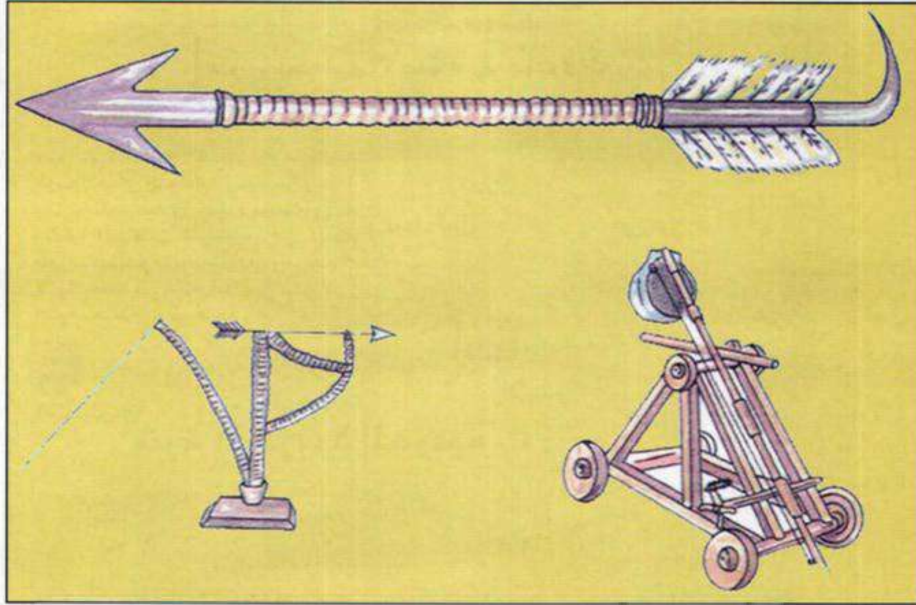
ذو الفقار سيف علي بن أبي طالب رضي الله عنه.



سيف سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه.

الأطلس التاريخي لسيرة رسول الله ﷺ تأليف سامي عبد الله المغلوث الطبعة الثانية١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م مكتبة العبيكان الرياض- العليا- طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

آلات حربية. " رقم ٣٧"



آلات حربية استخدمها المسلمون في صدر الإسلام.



ذو الفقار سيف علي بن أبي طالب رضي الله عنه.



سيف سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه.

خريطة العالم الجغرافية. رقم "٣٨"



خريطة العالم الجغرافية

خريطة الجزيرة العربية. رقم "٣٩"

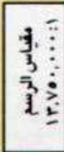
الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ

بلاد الشام
بلاد العراق
بلاد الفرس
خليج عمان
عمان
البحرين
خليج
شبه الجزيرة العربية
المدينة النبوية
مكة المكرمة
البحر الأحمر (القلزم)
اليمن
الحبشة
بحر العرب
أرض السودان
مصر

قال تعالى: (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين) آل عمران ٩٦ .

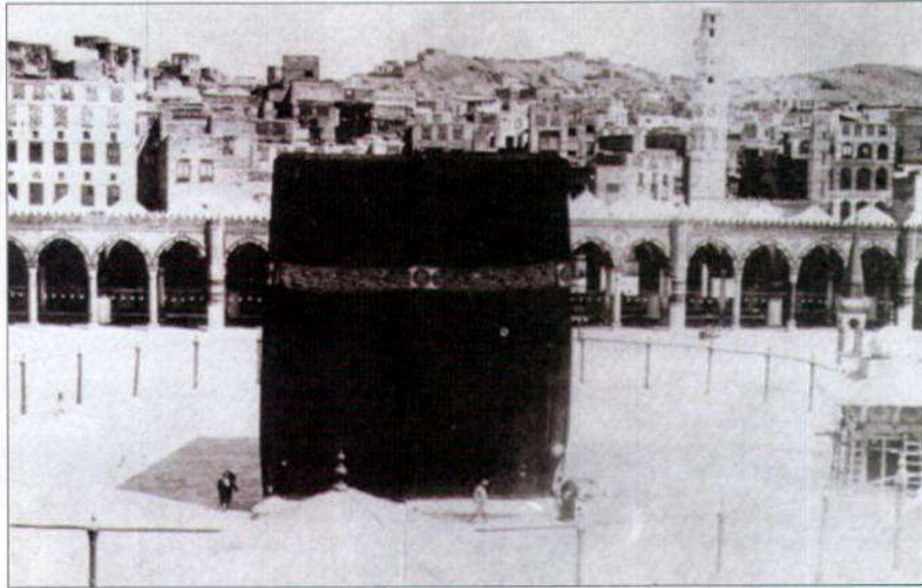
قال صلى الله عليه وسلم (إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض .....) رواه البخاري

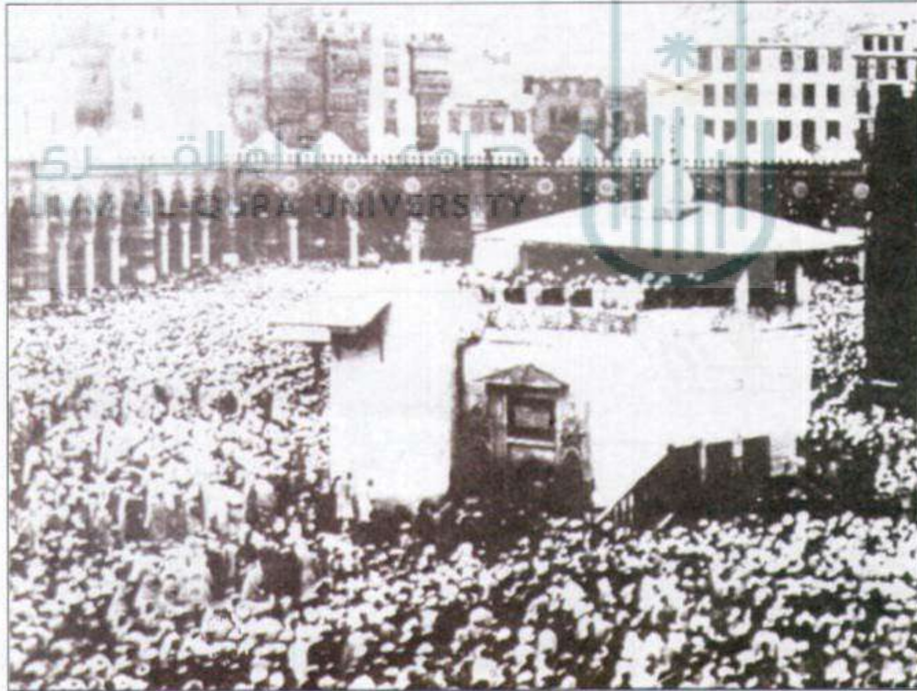
مقياس الرسم ١:١٣،٧٥٠،٠٠٠



الجزيرة العربية (مهد البشرية جمعاء)

صورتان قديمتان للمسجد الحرام والكعبة المشرفة. رقم " ٤٠"





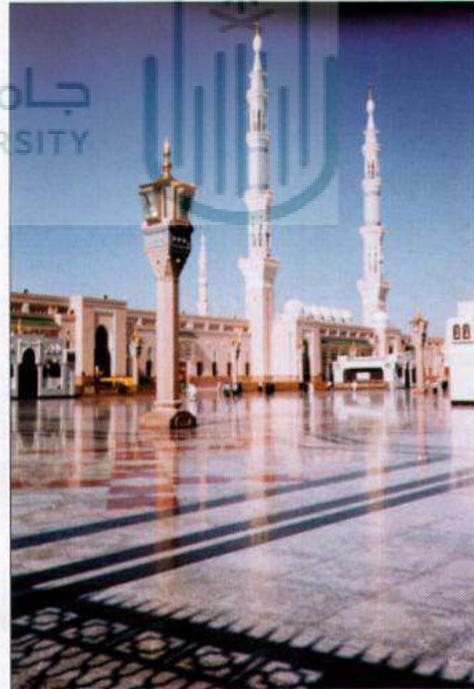
صورتان قديمتان للمسجد الحرام والكعبة

صورة تاريخية للمدينة المنورة

الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ



صورة تاريخية للمدينة المنورة / م - تاريخ المدينة المنورة (قسم المساجد) محمد الياس عبدالغني



المدينة النبوية
في العهد السعودي الزاهر
تصوير المؤلف

٦٥

المدينة في العهد السعودي الزاهر

الغزوات التي قاتل فيها الرسولﷺ. رقم "٤١"



هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.


جامعة أم القرى
UMM AL-QURA UNIVERSITY